تابع : تفسير سورة المائدة

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى الرّسُولِ تَرَىَ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ مِمّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقّ يَقُولُونَ رَبّنَآ آمَنّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّاهِدِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى الذين وصفت لك يا محمد صفتهم أنك تجدهم أقرب الناس مودّة للذين آمنوا, ما أنزل إليك من الكتاب يتلى, تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ. وفيض العين من الدمع: امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء, وفيض الإناء, وذلك سيلانه عن شدّة امتلائه ومنه قول الأعشى:

فَفاضَتْ دُمُوعِي فَطَلّ الشّؤونِ إمّا وَكِيفا وإمّا انْحِدَارَا

وقوله: مِمّا عَرَفُوا مِنَ الحَقّ يقول: فيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله إلى رسول الله حقّ. كما:

9699ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني, عن إسماعيل بن عبد الرحمن السديّ, قال: بعث النجاشيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره, فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا. وكان منهم سبعة رهبان وخمسة قسيسون, أو خمسة رهبان وسبعة قسيسون, فأنزل الله فيهم: وَإذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ... إلى آخر الآية.

9700ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عمر بن عليّ بن مقدّم, قال: سمعت هشام بن عروة يحدّث عن أبيه, عن عبد الله بن الزبير, قال: نزلت في النجاشيّ وأصحابه: وَإذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ.

حدثنا هناد, قال: حدثنا عبدة بن سليم, عن هشام بن عروة, عن أبيه, في قوله: تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ مِمّا عَرفُوَا مِنَ الحَقّ قال: ذلك في النجاشيّ.

حدثنا هناد وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن هشام بن عروة, عن أبيه, قال: كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت في النجاشيّ: وَإذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ.

9701ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: قال ابن إسحاق, سألت الزهري عن الآيات: ذَلِكَ بأنّ مِنْهُمْ قِسّيسِينَ وَرُهْبانا وأنّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَإذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ... الآية. وقوله وَإذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما قال: ما زلت أسمع علماءنا يقولون: نزلت في النجاشيّ وأصحابه.

وأما قوله: يَقولُونَ فإنه لو كان بلفظ اسم كان نصبا على الحال, لأنّ معنى الكلام: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ, قائلين ربنا آمنا. ويعني بقوله تعالى ذكره: يَقُولُونَ رَبّنا آمَنا أنهم يقولون: يا ربنا صدّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك, وأقررنا به أنه من عندك وأنه الحقّ لا شكّ فيه.

وأما قوله: فـاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ فإنه رُوي عـن ابـن عبــاس وغيـره فــي تأويـله, ما:

9702ـ حدثنا به هناد قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبــي وابن نـمير جميعا, عن إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عـن ابـن عبــاس فـي قوله: اكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ قال: أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم.

9703ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنــي حجـاج, عـن ابـن جريج: فـاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ مع أمة مـحمدصلى الله عليه وسلم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عـن علــيّ بـن أبــي طلــحة, عـن ابـن عبــاس: فــاكْتُبْنا مَـعَ الشّـاهِدِينَ يعنـون بـالشاهدين: مـحمدا صلى الله عليه وسلم وأمته.

حدثنـي الـحرث, قال: حـدثنا عبـد العزيـز, قال: حـدثنا إسرائيــل, عـن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, فـي قوله: فـاكْتُبْنا مَعَ الشّـاهِدِينَ قـال مـحمد صلى الله عليه وسلم وأمته, أنهـم شـهدوا أنـه قـد بلّـغ, وشـهدوا أن الرسل قد بلّغت.

حدثنا الربـيع, قال: حدثنا أسد بن موسى, قال: حدثنا يحيـى بـن زكريـا, قال: ثنـي إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, مثـل حـديث الـحرثق بن عبد العزيز, غير أنه قال: وشهدوا للرسل أنهم قد بلّغُوا.

فكأنّ متأوّل هذا التأويـل قصد بتأويـله هذا إلــى معنـى قـول اللـه تعالــى ذكـره: وكَـذَلِكَ جَعَلْنـاكم أمّـةً وَسَـطا لِتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ علــى النّـاسِ وَيَكُـونَ الرّسُولُ عَلَـيْكُمْ شَهِيدا فذهب ابن عبـاس آلــى أن الشـاهدين هـم الشـهداء فـي قوله: لِتَكُونوا شُهَدَاءَ علــى النّـاسِ وهـم أمـة مــحمد صـلى اللـه عليـه وسلم.

وإذا كان التأويـل ذلك, كان معنـى الكلام: يقولـون ربنـا آمنـا فــاكتبنا مـع الشـاهدين الـذين يشـهدون لأنبــيائك يـوم القــيامة أنهـم قـد بلّغـوا أمــمهم رسالاتك.

ولو قال قائل: معنى ذلك: فـاكتبنا مع الشاهدين الذين يشدون أن ما أنزلته إلـى رسولك من الكتب حقّ, كان صوابـا لأن ذلك خاتـمة قوله: وَإذَا سَـمِعُوا ما أُنْزِلَ إلـى الرّسُولِ تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِـيضُ مِنَ الدّمْعِ مِـمّا عَرَفُـوا مِـنَ الــحَقّ يَقُولُونَ رَبّنا آمَنّا فـاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ وذلك صفة من الله تعالـى ذكـره لهـم بإيـمانهم لـما سمعوا من كتاب الله, فتكون مسألتهم أيضـا اللـه أن يجعلهـم مـمن صحت عنده شهادتهم بذلك, ويُـلـحقهم فـي الثواب والـجزاء منازلهم. ومعنى الكتاب فـي هذا الـموضع: الـجَعْل, يقـول: فــاجْعَلْنا مَـعَ الشّـاهِدِينَ, وأثبتنا معهم فـي عدادهم.

الآية : 84

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَـا لَنَـا لاَ نُـؤْمِنُ بِـاللّهِ وَمَـا جَآءَنَـا مِـنَ الْحَقّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصّالِحِينَ }..

وهذا خبر من الله تعالـى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فـي هذه الآيات, أنهم إذا سمعوا ما أنـزل إلــى رسـوله مــحمد صـلى اللـه عليـه وسلم من كتابه, آمنوا به وصدّقوا كتاب الله, وقالوا: ما لنـا لا نـؤمن بــالله؟ يقول: لا نقرّ بوحدانـية الله وما جَاءَنا مِنَ الـحَقّ يقـول: ومـا جاءنـا مـن عنـد الله من كتابه وآي تنزيـله, ونـحن نطمـع بإيــماننا بـذلك أنْ يُدْخِــلَنا رَبّنـا مَـعَ القَوْمِ الصّالِـحِينَ يعنـي بـالقوم الصالـحين: الـمؤمنـين بـالله الـمطيعين له,

الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم إياه. وإنما معنى ذلك: ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة, ويلحق منازلنا بمنازلهم ودرجاتنا بدرجاتهم في جناته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

9704ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَما لَنا لا نُـؤْمِنُ بـاللَّهِ وَما جاءَنا مِنَ الـحَقّ وَنَطْمَعُ أنْ يُدْخِلَنا رَبّنا مَعَ القَوْمِ الصّالِحِينَ قال: «القَوْم الصالحون»: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

الآية : 85

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فجزاهم الله بقولهم: فجزاهم الله بقولهم: ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين, وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقّ, ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ يعني: بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار خَالِدِينَ فِيَها يقول: دائما فيها مكثهم, لا يخرجون منها ولا يحولون عنها. وذَلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ يقول: وهذا الذي جزيت هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا من الجنات التي هم فيها خالدون, جزاء كلّ محسن في قيله وفعله. وإحسان المحسن في ذلك أن يوحد الله توحيدا خالصا محضا لا شرك فيه, ويقرّ بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب, ويؤدّي فرائضه, ويجتنب معاصيه, فذلك كمال إحسان المحسنين الذين قال الله تعالى: جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خالِدِينَ فيها.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }..

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله, وأنكروا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم, وكذّبوا بآيات كتابه, فإن أولئك أصحاب الجحيم, يقول: هم سكانها واللابثون فيها. والجحيم: ما اشتدّ من النار, وهو الجاحم والجحيم.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرّمُواْ طَيّبَاتِ مَآ أَحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ }..

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه حقّ من عند الله لا تُحَرّمُوا طَيّبَاتِ ما أَحَلّ لَكُمْ يعني بالطيبات: اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب, فتمنعوها إياها, كالذي فعله القسيسون والرهبان, فحرّموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة, وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم, وساح في الأرض بعضهم. يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك, ولا تعتدوا حَدّ الله الذي حدّ لكم فيما أحلّ لكم وفيما حرّم عليكم فتجاوزوا حَدّهُ الذي حَدّه, فتخالفوا بذلك

طاعته, فإن الله لا يحبّ من اعتدى حدّه الذي حدّه لخلقه فيما أحلّ لهم وحرّم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

9705ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر أبو زبيد, قال: حدثنا حصين, عن أبي مالك في هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ... الآية, قال: عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين حرّموا عليهم النساء, وامتنعوا من الطعام الطيّب, وأراد بعضهم أن يقطع ذَكَره, فنزت هذه الآية.

9706ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: ثني خالد الحذاء, عن عكرمة, قال: كان أناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء, فنزلت هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ.

9707ـ حدثني يعقوب قال: حدثنا ابن علية, عن خالد, عن عكرمة: أن رجالاً أرادوا كذا وكذا, وأرادوا كذا وكذا, وأن يختصوا, فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ إلى قوله: الّذِي أنْتُمْ بِهِ مُؤمِنُونَ.

9708ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ قال: كانوا حرّموا الطيب واللحم, فأنزل الله تعالى هذا فيهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي, قال: حدثنا خالد, عن عكرمة: أن أناسا قالوا: لا نتزوّج, ولا نأكل, ولا نفعل كذا وكذا. فأنزل الله تعالى: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ.

9709ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أيوب, عن أبي قِلابة قال: أراد أناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا, فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة, ثم قال: «إنما هَلَكَ مَنْ كَان قَبْلَكُمْ بالتّشْدِيدِ, شَدّدُوا على أنْفُسِهِمْ فَشَدّدَ الله عَلَيْهِمْ, فأولئك بَقَايَاهُمْ في الدّيار والصّوَامِعِ, اعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا به شيئا, وحجّوا واعْتَمِرُوا, واسْتَقِيمُوا يَسْتَقِمْ لَكُمْ». قال: ونزلت فيهم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ... الآية.

9710ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ قال: نزلت في أناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, أرادوا أن يتخلوا من اللباس ويتركوا النساء ويتزهدوا, منهم عليّ بن أبي طالب وعثمان بن مظعون.

9711ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن زياد بن فياض, عن أبي عبد الرحمن, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا آمُرُكُمْ أنْ تَكُونُوا قِسّيسينَ وَرُهْبانا».

9712ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, عن سعيد, عن قتادة, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ... الآية ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه

وسلم رفضوا النساء واللحم وأرادوا أن يتخذوا الصوامع فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «ليس في ديني تَرْكُ النّساءِ واللّحْم, ولا اتّخَاذُ الصّوَامِعِ». وخُبّرنا أن ثلاثة نفر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا, فقال أحمدهم: أما أنا فأقوم الليل لا أنام, وقال أحدهم: أما أنا فأصوم النهار فلا أفطر, وقال الآخر: أما أنا فلا أتي النساء. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم, فقال: «ألَمْ أُنَبّأْ أنّكُمُ اتّفَقْتُمْ على كَذَا؟» قالوا: بلى يا رسول الله, وما أردنا إلا الخير. قال: «لَكِنّي أقُومُ وأنامُ وأصُومُ وأفْطِرُ وآتِي النّساءَ, فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي». وكان في بعض القراءة: «من رغب عن سنتك فليس من أمتك وقد ضلّ عن سواء السبيل». وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأناس من أصحابه: «إنّ مَن قبلكم شدّدوا على انْفُسِهِمْ فَشدّدَ الله عَلَيْهِمْ, فهَؤُلاء إخْوَانُهُم في الدّور والصّوَامِعِ, اعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا به شَيْئا, وأقِيمُوا الصّلاةَ, وآتُوا الزّكاة, وصُومُوا رَمَضَانَ, وحُجّوا واعْتَمِرُوا, واسْتَقِيمُوا يُسْتَقَم لكم».

9713ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما, فذكّر الناس, ثم قام ولم يزدهم على التخويف, فقال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة, منهم عليّ بن أبي طالب, وعثمان بن مظعون: ما حقنا إن لم نحدث عملاً فإن النصارى قد حرّموا على أنفسهم, فنحن نحرّم. فحرّم بعضهم أكل اللحم والوَدَك وأن يأكل بالنهار, وحرّم بعضهم النوم, وحرّم بعضهم النساء, فكان عثمان بن مظعون ممن حرّم النساء, وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه, فأتت امرأته عائشة وكان يقال لها: الحولاء, فقالت لها عائشة ومَن عندها من نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما بالك يا حولاء متغيرة اللون, لا تمتشطين ولا تطيبين؟ فقالت: وكيف أتطيب وأمتشط وما وقع عليّ زوجي ولا رفع عني ثوبا منذ كذا وكذا فجعلن يضحكن من كلامها, فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن, فقال: «ما يُضْحِكُكُنّ؟» قالت: يا رسول الله, الحولاء سألتها عن أمرها, فقالت: ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا. فأرسل إليه فدعاه, فقال: «ما بَالُكَ يا عُثْمانُ؟» قال: إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة. وقصّ عليه أمره, وكان عثمان قد أراد أن يَجُبّ نفسه, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقْسَمْتُ عَلَيْكَ إلاّ رَجَعْتَ فَوَاقَعْتَ أهْلَكَ» فقال: يا رسول الله إني صائم. قال: «أفْطِرْ» فأفْطَر وأتى أهله. فرجعت الحَوْلاء إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيبت, فضحكت عائشة فقالت: ما بالك يا حولاء؟ فقالت: إنه أتاها أمس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بالُ أقْوَامٍ حَرّمُوا النّساءَ وَالطّعامَ والنّوْمَ؟ ألا إنّي أنامُ وأقُومُ وأفْطِرُ وأصُومُ وأنْكِحُ النّساءَ, فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي». فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا يقول لعثمان: لا تجبّ نفسك, فإن هذا هو الاعتداء. وأمرهم أن يكفّروا أيمانهم, فقال: لا يؤاخذكمُ اللّهُ باللّغوِ فِي أيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ.

9714ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ قال: هم رهط من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا: نقطع مذاكيرنا, ونترك شهوات الدنيا, ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان. فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأرسل إليهم, فذكر ذلك لهم, فقالوا: نعم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَكِنّي أصُومُ وأفْطِرُ وأصَلّي وأنامُ وأنْكِحُ النّساءَ, فَمَنْ أخَذَ بِسُنّتِي فَهُوَ مِنّي, وَمَنْ لَمْ يَأخُذْ بِسُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي».

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وذلك أن رجالاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن مظعون حرّموا النّساءَ وَاللّحْمَ على أنْفُسِهِمْ, وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة ويتفرّغوا لعبادة ربهم. فأخبر بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «ما أرَدْتُمْ؟» فقالوا: أردنا أن نقطع الشهوة عنا ونتفرّغ لعبادة ربنا ونلهو عن النساء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمْ أُومَرُ بِذَلِكَ, وَلَكِنّي أمِرْتُ فِي دِينِي أنْ أتَزَوّجَ النّساءَ». فقالوا: نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ, وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ... إلى قوله: الّذِي أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ.

9715ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويخْصوا أنفسهم, ويلبسوا المسوح, فنزلت هذه الآية إلى قوله: واتّقُوا الله الّذِي أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قال ابن جريج عن عكرمة: إن عثمان بن مظعون, وعليّ بن أبي طالب, وابن مسعود, والمقداد بن الأسود, وسالما مولى أبي حذيفة في أصحاب تبتّلوا, فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرّموا طيبات الطعام واللباس, إلا ما أكل ولبس أهل السياحة من بني إسرائيل, وهمّوا بالاختصاء, وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار, فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ يقول: لا تستنّوا بغير سنة المسلمين, يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس, وما أجمعوا له من صيام النهار وقيام الليل, وما همّوا له من الإخصاء. فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «إنّ لأِنْفُسِكُمْ حَقّا, وَإنّ لاِعَيُنِكُمْ حَقّا, صُومُوا وأفْطِرُوا وَصَلّوا وَنامُوا فَلَيْسَ مِنّا مَنْ تَرَكَ سُنّتَنا». فقالوا: اللهمّ أسلَمْنا واتبعنا ما أنزلت.

9716ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, عن ابن زيد في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ قال: قال أبيّ: ضاف عبدَ الله بن رواحة ضيفٌ, فانقلب ابن رواحة ولم يتعشّ, فقال لأهله: ما عشيتِه؟ فقالت: كان الطعام قليلاً فانتظرت أن تأتي. قال: فحبستِ ضيفي من أجلي؟ فطعامك عليّ حرام إن ذقته فقالت: هي وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذقه وقال الضيف: هو عليّ حرام إن لم تذوقوه فلما رأى ذلك, قال ابن رواحة: قرّبي طعامك, كلوا بسم الله وغدا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأخبره, فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «قَدْ أحْسَنْتَ» فنزلت هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ... وقرأ حتى بلغ: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِـ اللّغْوِ فِي إيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ إذا قلت: والله لا أذوقه, فذلك العقد.

9717ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا عكرمة, عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, إني إذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي, فحرّمت اللحم. فأنزل الله تعالى ذكره: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ.

9718ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا خالد الحذّاء, عن عكرمة, قال: همّ أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك النساء والخصاء, فأنزل الله تعالى: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ... الآية.

واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال تعالى ذكره: وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ فقال بعضهم: الاعتداء الذي نهي الله عنه في هذا الموضع هو ما كان عثمان بن مظعون همّ به من جبّ نفسه, فنهى عن ذلك, وقيل له: هذا هو الاعتداء. ومن قال ذلك السديّ.

حدثنا محمد بن الحسين, قال: ثني أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عنه به.

وقال آخرون: بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم همّوا به من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم, فُنهوا أن يفعلوا ذلك وأن يستنّوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم. ومن قال ذلك عكرمة.

9719ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عنه به.

وقال بعضهم: بل ذلك نهي من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال إلى الحرام. ذكر من قال ذلك:

9720ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن عاصم, عن الحسن: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا قال: لا تعتدوا إلى ما حرّم عليكم.

وقد بيّنا أن معنى الاعتداء: تجاوز المرء ماله إلى ما ليس له في كلّ شيء, فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وإذ كان ذلك كذلك, وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بقوله: لا تَعْتَدُوا النهي عن العدوان كله, كان الواجب أن يكون محكوما لما عمه بالعموم حتى يخصه ما يجب التسليم له. وليس لأحد أن يتعدّى حدّ الله تعالى في شي من الأشياء مما أحلّ أو حرّم, فمن تعدّاه فهو داخل في جملة من قال تعالى ذكره: إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ. وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر عثمان بن مظعون والرهط الذين همّوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ الله لهم على أنفسهم, ويكون مرادا بحكمها كلّ من كان في مثل معناهم ممن حرّم على نفسه ما أحلّ الله له أو أحلّ ما حرّم الله عليه أو تجاوز حدّا حدّه الله له, وذلك أن الذين همّوا بما همّوا به من

تحريم بعض ما أحلّ لهم على أنفسهم إنما عوتبوا على ما همّوا به من تجاوزهم ما سنّ لهم وحدّ إلى غيره.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكُلُواْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيّباً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ }..

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرّموا طيبات ما أحلَ الله لهم: كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم وأحله لكم حلالاً طيبا. كما:

9721ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة: وكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيّبا يعني: ما أحلّ الله لهم من الطعام.

وأما قوله: وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ فإنه يقول: وخافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا في حدوده, فتحلوا ما حرّم عليكم وتحرّموا ما أحلّ لكم, واحذروه في ذلك أن تخالفوه فينزل بكم سخطه, أو تستوجبوا به عقوبته. الّذِي أَنْتُمْ به مُؤْمِنُونَ يقول: الذي أنتم بوحدانيته مقرّون وبربوبيته مصدّقون.

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقّدتّمُ الأيْمَانَ فَكَفّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيّامٍ ذَلِكَ كَفّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }..

يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرّموا على أنفسهم الطيبات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا حرّموا ذلك بأيمان حلفوا بها, فنهاهم عن تحريمها, وقال لهم: لا يؤاخذكم ربكم باللغو في أيمانكم. كما:

9722ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لما نزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ في القوم الذين كانوا حرّموا النساء واللحم على أنفسهم, قالوا: يا رسول الله, كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله تعالى ذكره: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ باللّغْوِ فِي أيمَانِكُمْ... الآية.

فهذا يدلّ على ما قلنا من أن القوم كانوا حرّموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها, فنزلت هذه الآية بسببهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز وبعض البصريين: وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيْمَانَ بتشديد القاف, بمعنى: وكدتم الأيمان وردّدتموها وقرّاء الكوفيين: «بِمَا عَقَدْتُمُ الأيمَانَ» بتخفيف القاف, بمعنى: أوجبتموها على أنفسكم, وعزمت عليها قلوبكم.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف, وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام, إلا فيما يكون فيه تردّد مرّة بعد مرّة, مثل قولهم: شدّدت على فلان في كذا إذا كرّر عليه الشدّ

مرّة بعد أخرى, فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرّة واحدة قيل: شَدّدت عليه بالتخفيف. وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث في حلف مرّة واحدة وإن لم يكرّرها الحالف مرّات, وكان معلوما بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكرّره ولم يردّده وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقّدتم وجه مفهوم. فتأويل الكلام إذن: لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه, ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم. وقد بينا اليمين التي هي لغو والتي الله مؤاخذ العبد بها, والتي فيها الحنث والتي لا حنث فيها, فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع.

وأما قوله: بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ فإن هنادا:

9723ـ حدثنا قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلَكِنْ يَؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيَمانَ قال: بما تعمدتم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

9724ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن: وَلَكِنْ يَؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيَمانَ يقول: ما تعمدتَ فيه المأثم, فعليك فيه الكفارة.

القول في تأويل قوله تعالى: فَكَفّارَتُهُ إطْعَامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ.

اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: فَكَفّارَتُهُ على ما هي عائدة, ومن ذكر ما؟ فقال بعضهم: هي عائدة على «ما» التي في قوله: بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ. ذكر من قال ذلك:

9725ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, عن الحسن في هذه الآية: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ باللّغْوِ فِي إيمَانِكُمْ قال: هو أن تحلف على الشيء وأنت يخيل إليك أنه كما حلفت وليس كذلك, فلا يؤاخذكم الله, فلا كفارة, ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت عليه على علم.

9726ـ حدثنا ابن حميد, وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن مغيرة, عن الشعبي, قال: اللغو ليس فيه كفارة وَلَكِنْ يَؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيَمانَ قال: ما عقد فيه يمينه فعليه الكفارة.

9727ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, قال: الأيمان ثلاث: يمين تكفّر, ويمين لا تكفّر, ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها. فأما اليمين التي تكفر, فالرجل يحلف على الأمر لا يفعله ثم يفعله, فعليه الكفارة. وأما اليمين التي لا تكفر: فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه الكذب, فليس فيه كفارة. وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها: فالرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما حلف عليه فلا يكون كذلك, فليس عليه فيه كفارة, وهو اللغو.

9728ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا ابن أبي ليلى, عن عطاء, قال: قالت عائشة: لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه.

9729ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا هشام, قال: حدثنا حماد, عن إبراهيم, قال: ليس في لغو اليمين كفارة.

9730ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, أن عروة حدثه أن عائشة قالت: أيمان الكفارة كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدّ من الأمور في غضب أو غيره ليفعلنّ ليتركنّ, فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة, وقال تعالى ذكره: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ باللّغْوِ فِي إيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يَؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأَيمانَ.

9731ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني معاوية بن صالح, عن يحيى بن سعيد, وعن عليّ بن أبي طلحة, قالا: ليس في لغو اليمين كفارة.

9732ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن: وَلَكِنْ يَؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأَيمانَ يقول: ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة. قال: وقال قتادة: أما اللغو فلا كفارة فيه.

حدثنا هناد, قال: حدثنا عبدة, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن, قال: لا كفارة في لغو اليمين.

9733ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو العنقزي, عن أسباط, عن السديّ: ليس في لغو اليمين كفارة.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم, ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان, فكفارة ما عقدتم منها: إطعام عشرة مساكين.

وقال آخرون: الهاء في قوله: فَكَفّارَتُهُ عائدة على اللغو, وهي كناية عنه. قالوا: وإنما معنى الكلام: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم إذا كفرتموه, ولكن يؤاخذكم إذا عقدتم الأيمان فأقمتم على المضيّ عليه بترك الحنث والكفارة فيه, والإقامة على المضيّ عليه غير جائزة لكم, فكفّارة اللغو منها إذا حنثتم فيه: إطعام عشرة مساكين. ذكر من قال ذلك:

9734ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس قوله: لا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأَيمانَ قال: هو الرجل يحلف على أمر ضرار أن يفعله فلا يفعله فيرى الذي هو خير منه, فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير. وقال مرّة أخرى قوله: لايُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأَيمانَ... إلى قوله: بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ قال: واللغو من اليمين هي التي تكفر لا يؤاخذ الله بها, ولكن من أقام على تحريم ما أحلّ الله له ولم يتحوّل عنه ولم يكفّر عن يمينه, فتلك التي يؤاخذ بها.

9735ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن داود بن أبي هند, عن سعيد بن جبير, قوله: لا يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأَيمانَ قال: هو الذي يحلف على المعصية فلا يفي, فيكفّر.

9736ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن سعيد بن جبير: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ باللّغْوِ فِي أيمَانِكُمْ قال: هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله تعالى, يكفّر عن يمينه ويأتي الذي هو خير ولَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بما عَقّدْتُمُ الأيْمَانَ الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها, فكفارته إطعام عشرة مساكين.

9737ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا داود, عن سعيد بن جبير, قال في لغو اليمين: هي اليمين في المعصية, فقال: أو لا تقرأ فتفهم؟ قال: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بـاللّغْوِ فِي أيمانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ قال: فلا يؤاخذه بـ الإلغاء, ولكن يؤاخذه بالمقام عليها. قال: وقال: وَلا تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لاِءَيمَانِكُمْ.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بـاللّغْوِ فِي أيمَانِكُمْ قال: هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله بتركها إن تركها. قلت: وكيف يصنع؟ قال: يكفّر يمينه, ويترك المعصية.

9738ـ حدثني يحيى بن جعفر, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, في قوله: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بـاللّغْوِ فِي أيمانِكُمْ ق ال: اليمين المكفرة.

9739ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: اللغو: يمين لا يؤاخذ بها صاحبها, وفيها كفارة.

والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك, أن تكون الهاء في قوله: فَكَفّارَتُهُ عائدة على «ما» التي في قوله: بِمَا عَقّدْتُمُ الأيمَانَ لما قدّمنا فيما مضى قبل أن من لزمته في يمينه كفارة وأوخذ بها, غير جائز أن يقال لمن قد أوخذ: لا يؤاخذه الله باللغو وفي قوله تعالى: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بـاللّغْوِ فِي أيمانِكُمْ دليل واضح أنه لا يكون مؤاخذ بوجه من الوجوه من أخبرنا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذ.

فإن ظنّ ظانّ أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بـ اللّغْوِ فِي أيمانِكُمْ بالعقوبة عليها في الآخرة إذا حنثتم وكفّرتم, لا أنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه في كتابه على الظاهر العامّ عندنا بما قد دللنا على صحة القول به في غير هذا الموضع فأغنى عن إعادته, دون الباطن العامّ الذي لا دلالة على خصوصه في عقل ولا خبر ولا دلالة من عقل ولا خبر, أنه عنى تعالى ذكره بقوله: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بـاللّغْوِ فِي أيمانِكُمْ بعض معاني المؤاخذة دون جميعها. وإذ كان ذلك كذلك, وكان من لزمته كفارة في يمين حنث فيها مؤاخذا بها بعقوبة في ماله عاجلة, كان معلوما أنه غير الذي أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها. وإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا بالذي عليه دللنا, فمعنى الكلام إذن: لا يؤاخذكم الله أيها الناس بلغو من القول والأيمان إذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ولا خلاف أمره ولم تقصدوا بها إثما, ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم به الإثم وأوجبتموه على أنفسكم وعزمت عليه قلوبكم, ويكفر ذلك عنكم, فيغطى على سيء ما كان منكم من كذب وزُور قول ويمحوه عنكم, فلا يتبعكم به ربكم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ.

يعني تعالى ذكره بقوله: {مِنْ أوسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ}: أعدله. كما:

9740ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: سمعت عطاء يقول في هذه الآية: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ أوْ كِسْوَتُهُمْ قال عطاء: أوسطه: أعدله, واختلف أهل التأويل في معنى قوله:

مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ فقال بعضهم: معناه: من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذي يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم. ذكر من قال ذلك:
9741ـ حدثنا هناد, قال: أخبرنا شريك, عن عبد الله بن حنَشَ, عن الأسود, قال: سألته عن: أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: الخبز والتمر والزيت والسمن, وأفضله اللحم.
حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عبد الله بن حنَشَ, قال: سألت الأسود بن يزيد, عن ذلك, فقال: الخبز والتمر. زاد هناد في حديثه: الزيت, قال: وأحسبه الخلّ.
9742ـ حدثنا هناد وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو الأحوص, عن عاصم الأحول, عن ابن سيرين, عن ابن عمر في قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: من أوسط ما يطعم أهله الخبز والتمر, والخبز والسمن والخبز والزيت, ومن أفضل ما يطعمهم: الخبز واللحم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن ليث, عن ابن سيرين, عن ابن عمر: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ الخبز واللحم, والخبز والسمن, والخبز والجبن, والخبز والخلّ.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن حنش, قال: سألت الأسود بن يزيد عن أوسط ما تطعمون أهليكم؟ قال: الخبز والتمر.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا عبد الله بن حنش, قال: سألت الأسود بن يزيد, فذكر مثله.
9743ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن, عن محمد بن سيرين, عن عبيدة السلماني: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: الخبز والسمن.
حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سعيد بن عبد الرحمن, عن ابن سيرين, قال: سألت عبيدة عن ذلك, فذكر مثله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أزهر, قال: أخبرنا ابن عون, عن محمد بن سيرين, عن عبيدة: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ الخبز والسمن.
9744ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن يزيد بن إبراهيم, عن ابن سيرين, قال: كانوا يقولون: أفضله الخبز واللحم, وأوسطه: الخبز والسمن, وأخسه: الخبز والتمر.
9745ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الربيع, عن الحسن, قال: خبز ولحم, أو خبز وسمن, أو خبز ولبن.
9746ـ حدثنا هناد وابن وكيع, قالا: حدثنا عمر بن هارون, عن أبي مصلح, عن الضحاك في قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: الخبز واللحم والمرقة.
9747ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا زائدة, عن يحيى بن حبان الطائي, قال: كنت عند شريح, فأتاه رجل, فقال: إني حلفت على يمين فأثمت قال شريح: ما حملك على ذلك؟ قال: قدّر عليّ, فما أوسط ما أطعم أهلي؟ قال له شريح: الخبز والزيت والخلّ طيب. قال: فأعاد عليه, فقال له شريح ذلك ثلاث مرار لا يزيده شريح على ذلك. فقال له: أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم؟ قال: ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس.

9748ـ حدثنا هناد, قال: ينا أبو خالد الأحمر, عن حجاج, عن أبـي إسحاق, عن الـحرث, عن علـيّ, قال فـي كفـارة الـيــمين: يغـديهم ويعشّـيهم خـبزا وزيتا, أو خبزا وسمنا, أو خلاً وزيتا.
9749ـ حدثنا هناد وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو أسامة, عن زبرقان, عن أبـي رزين: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِـيكُمْ خبز وزيت وخـلّ.
9750ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, عـن هشـام بـن مــحمد, قال: أكلة واحدة خبز ولـحم. قال: وهـو مـن أوسـط مـا تطعمـون أهلــيكم, وإنكم لتأكلون الـخبـيص والفـاكهة.
9751ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, وحدثنا هناد, قال: حـدثنا أبو أسامة, عن هشام, عن الـحسن قـال فــي كفــارة الـيــمين: يجزيـك أن تطعم عشرة مساكين أكله واحدة خبزا ولـحما, فإن لـم تـجد فخـبزا وسـمنا ولبنا, فإن لـم تـجد فخبزا وخلاّ وزيتا حتـى يشبعوا.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن زبرقان, قال: سألت أبـا رزين, عن كفـارة الـيـمين ما يطعم؟ قال: خبزا وخلاّ وزيتا من أوسط ما تطعمــون أهلـيكم, وذلك قدر قوتهم يوما واحدا.
ثم اختلف قائلو ذلك فـي مَبْلَغِه. فقال بعضهم: مبلغ ذلك نصف صـاع مـن حنطة, أو صاع من سائر الـحبوب غيرها. ذكر من قال ذلك:
9752ـ حدثنا هناد, حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن عبد الله بن عمرو بن مرّة, عن أبـيه, عن إبراهيـم, عن عمر, قـال: إنــي أحلـف علـى الـيـمين ثـم يبـدو لــي, فـإذا رأيتنــي قـد فعلـت ذلـك فـأطعم عشـرة مساكين لكل مسكين مدّان من حِنطة.
9753ـ حدثنا هناد, قال: حـدثنا أبـو معاويـة, ويعلــى عـن الأعمـش, عـن شقـيق, عن يسار بن نُـمير, قال: قال عمر: إنـي أحلف أن لا أعطي أقوامــا ثم يبدو لـي أن أعطيهـم, فـإذا رأيتنــي فعلـت ذلـك, فـأطعم عنــي عشـرة مساكين بـين كلّ مسكينـين صاعا من برّ أو صاعا من تـمر.
9754ـ حدثنا هناد ومـحمد بن العلاء قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبـي, عن ابن أبــي لـيـلــى, عـن عمـرو بـن مُـرّة, عـن عبـد اللـه بـن سلـمة, عـن علــيّ, قـال: كفــارة الـيــمين إطعـام عشـرة مسـاكين, لكـلّ مسكين نصف صاع من حنطة.
9755ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن مغيرة, عن إبراهيـم: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِـيكُمْ نصف صاع برّ كلّ مسكين.
9756ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا حفص عن عبد الكريـم الـجزري, قال: قلت لسعيد بن جبـير: أجمعهم؟ قال: لا, أعطهم مدّينَ مـن حنطـة, مـدّا لطعـامه ومدّا لإدامه.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن عبد الكريـم الـحزري, قال: قلت لسعيد, فذكر نـحوه.
9757ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو زيد, عن حصين, قال: سألت الشعبـي, عن كفـارة الـيـمين, فقال: مكوكين: مكوكا لطعامه, ومكوكا لإدامه.
9758ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا هشـام, عـن عطاء, عن ابن عبـاس, قال: لكلّ مسكين مدّين.
حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام, عن عطاء, عن ابن عبـاس, قال: لكلّ مسكين مدّين من برّ فـي كفـارة الـيـمين.

9759ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: مدّان من طعام لكلّ مسكين.
9760ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا سعد بن يزيد أبو سَلَمة, قال: سألت جابر بن زيد عن إطعام المسكين في كفارة اليمين, فقال: أكلة. قلت: فإن الحسن يقول: مكوك برّ, ومكوك تمر, فما ترى في مكوك برّ؟ فقال: إن مكوك برّ لا, أو مكوك تمر لا. قال يعقوب: قال ابن عُلَية وقال أبو سلمة بيده, كأنه يراه حسنا, وقلب أبو سلمة يده.
9761ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام, عن الحسن: أنه كان يقول في كفارة اليمين فيما وجب فيه الطعام: مكوك تمر, ومكوك برّ لكلّ مسكين.
9762ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الربيع, عن الحسن قال, قال: إن جمعهم أشبعهم إشباعة واحدة, وإن أعطاهم أعطاهم مكوكا مكوكا.
حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن يونس, قال: كان الحسن يقول: فإن أعطاهم في أيديهم فمكوك برّ ومكوك تمر.
9763ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن السديّ, عن أبي مالك في كفّارة اليمين: نصف صاع لكلّ مسكين.
9764ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن علية, عن أبيه, عن الحكم, في قوله: إطعامُ عَشَرَةِ مَساكِين مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ قال: إطعام نصف صاع لكلّ مسكين.
9765ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا زائدة, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ نصف صاع.
9766ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: فَكفّارَتُهُ إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ قال: الطعام لكلّ مسكين: نصف صاع من تمر أو برّ.
وقال آخرون: بل مبلغ ذلك من كلّ شيء من الحبوب مدّ واحد. ذكر من قال ذلك:
9767ـ حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن هشام الدّستَوائي, عن يحيى بن أبي كثير, عن أبي سلمة, عن زيد بن ثابت, أنه قال في كفارة اليمين: مدّ من حنطة لكلّ مسكين.
9768ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو معاوية, عن داود بن أبي هند, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال في كفّارة اليمين: مدّ من حنطة لكلّ مسكين رُبْعه إدامُه.
حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن داود بن أبي هند, عن عكرمة, عن ابن عباس, نحوه.
9769ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن ابن عجلان, عن نافع, عن ابن عمر: إطعام عشرة مساكين لكلّ مسكين مدّ.
حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, قال: حدثنا العمري, عن نافع, عن ابن عمر, قال: مدّ من حنطة لكلّ مسكين.

9770ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن يحيى بن سعيد, عن نافع, عن ابن عمر: أنه كان يكفّر اليمين بعشرة أمداد بالمدّ الأصغر.
9771ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهدي, عن حماد بن سلمة, عن عبيد الله, عن القاسم وسالم في كفّارة اليمين: ما يطعم؟ قالا: مدّ لكلّ مسكين.
9772ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن يحيى بن سعيد, عن سليمان بن يسار, قال: كان الناس إذا كفّر أحدهم, كفّر بعشرة أمداد بالمدّ الأصغر.
9773ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عمر بن هارون, عن ابن جريج, عن عطاء في قوله: إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ قال: عشرة أمداد لعشَرة مساكين.
9774ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن: إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: كان يقال: البرّ والتمر, لكلّ مسكين مدّ من تمر ومدّ من برّ.
9775ـ حدثنا أبو كريب وهناد, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مالك بن مِغْول, عن عطاء, قال: مدّ لكلّ مسكين.
9776ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: من أوسط ما تعولونهم. قال: وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك مدّا بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة. قال ابن زيد: هو الوسط مما يقوت به أهله, ليس بأدناه ولا بأرفعه.
9777ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: مدّ.
وقال آخرون: بل ذلك غَداء وعَشاء. ذكر من قال ذلك:
9778ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن حجاج, عن أبي إسحاق, عن الحرث, عن عليّ, قال في كفّارة اليمين: يغدّيهم ويعشيهم.
9779ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عمر بن هارون, عن موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب القرظي في كفّارة اليمين قال: غداء وعشاء.
9780ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن يونس, عن الحسن, قال: يغدّيهم ويعشيهم.
وقال آخرون: إنما عنى بقوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ: من أوسط ما يطعم المكفّر أهله. قال: إن كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة, وإن كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك أطعهم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عسره ويسره. ذكر من قال ذلك:
9781ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: فَكَفّارَتُهُ إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: إن كنت تشبع أهلك فأشبع المساكين, وإلاّ فعلى ما تطعم أهلك بقدره.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَكَفّارَتُهُ إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِين مِنْ أَوْسَطِ

ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ وهو أن تطعم كلّ مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع, أو نصف صاع من برّ.
9782ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر, عن ابن عباس, قال: من عسرهم ويسرهم.
9783ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال: من عسرهم ويسرهم.
9784ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن سليمان بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبير: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: قوتهم.
حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن سليمان العبسي, عن سعيد بن جبير, في قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: قوتهم.
9785ـ حدثنا أبو حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, قال: حدثنا عنبسة, عن سليمان بن عبيد العبسي, عن سعيد بن جبير في قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: كانوا يفضلون الحرّ على العبد والكبير على الصغير, فنزلت: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ.
حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قيس بن الربيع, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, قال: كانوا يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير, ويطعمون الحرّ ما لا يطعمون العبد, فقال: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ.
9786ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا جويبر, عن الضحاك, في قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: إن كنت تشبع أهلك فأشبعهم, وإن كنت لا تشبعهم, فعلىقدر ذلك.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا شيبان النحويّ, عن جابر, عن عامر, عن ابن عباس: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: من عسرهم ويسرهم.
9787ـ حدثنا يونس, قال: حدثنا سفيان عن سليمان, عن سعيد بن جبير, قال: قال ابن عباس: كان الرجل يقوت بعض أهله قوتا دونا وبعضهم قوتا فيه سعة, فقال الله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ الخبز والزيت.
وأولى الأقوال في تأويل قوله: مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ عندنا قول من قال: من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة. وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفّارات كلها بذلك وردت, وذلك كحكمة صلى الله عليه وسلم في كفّارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعا بين ستين مسكينا لكلّ مسكين ربع صاع. ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات أمر بإطعام خبز وإدام ولا بغَداء وعَشاء. فإذا كان ذلك كذلك, وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التي تلزم من لزمته, كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم من أن الواجب على مكفّرها من الطعام مقدار للمساكين العشرة, محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم, إذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم في سائر الكفارات كذلك. فإذ كان صحيحا ما قلنا بما به استشهدنا, فبيّن أن تأويل الكلام: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان, فكفارته إطعام عشرة مساكين من أعدل إطعامكم أهليكم, وأن

«ما» التي في قوله: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ بمعنى المصدر, لا بمعنى الأسماء. وإذا كان ذلك كذلك, فأعدل أقوات الموسع على أهله مدّان, وذلك نصف صاع في ربعه إدامه, وذلك أعلى ما حكم به النبيّ صلى الله عليه وسلم في كفارة في إطعام مساكين, وأعدل أقوات المقتر على أهلهمدّ وذلك ربع صاع, وهو أدنى ما حكم به في كفارة في إطعام مساكين. وأما الذين رأوا إطعام المساكين في كفارة اليمين الخبز واللحم وما ذكرنا عنهم قبل, والذين رأوا أن يغدّوا أو يعشوا, والذين رأوا أن يغدوا ويعشوا, فإنهم ذهبوا إلى تأويل قوله: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ: من أوسط الطعام الذي تطعمونه أهليكم, فجعلوا «ما» التي في قوله: مِنْ أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ اسما لا مصدرا, فأوجبوا على الكفّر إطعام المساكين من أعدل ما يطعم أهله من الأغذية. وذلك مذهب لولا ما ذكرنا من سنن في الكفارات غيرها التي يجب إلحاق أشكالها بها, وأن كفارة اليمين لها نظيرة وشبيهة يجب إلحاقها بها.

القول في تأويل قوله تعالى: أوْ كِسْوَتُهُمْ.

يعني تعالى ذكره بذلك: فكفّارة ما عقدتم من الأيمان إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم. يقول إما أن تطعموهم أو تكسوهم, والخيار في ذلك إلى المكفّر.

واختلف أهل التأويل في الكسوة التي عنى الله بقوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ فقال بعضهم: عنى بذلك كسوة ثوب واحد. ذكر من قال ذلك:

9788ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في كسوة المساكين في كفّارة اليمين: أدناه ثوب.

حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: أدناه ثوب, وأعلاه ما شئت.

9789ـ حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, عن الربيع, عن الحسن, قال في كفّارة اليمين في قوله: أوْ كِسْوَتهُمْ ثوب لكلّ مسكين.

9790ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهديّ, عن وهيب, عن ابن طاوس, عن أبيه: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب.

حدثنا هناد, قال: حدثنا عبيدة, وحدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير جميعا, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب.

9791ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب ثوب. قال منصور: القميص, أو الرداء, أو الإزار.

9792ـ حدثنا أبو كريب وهناد, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: كسوة الشتاء والصيف ثوب ثوب.

9793ـ حدثنا هناد, قال: قال حدثنا عمر بن هارون, عن ابن جريج, عن عطاء في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب ثوب لكلّ مسكين.

9794ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عبدة بن سلمان, عن سعيد بن أبي عروبة, عن أبي معشر, عن إبراهيم, في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: إذا كساهم ثوبا ثوبا أجزأ عنه.

9795ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي, عن ابن سنان, عن حماد, قال: ثوب أو ثوبان, وثوب لا بدّ منه.

9796ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن عطاء الخُراسانـي, عن ابن عبـاس قال: ثوب ثوب لكلّ إنسـان, وقد كانت العبـاءة تقضي يومئذ من الكسوة.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, عن معاوية بـن صالـح, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عـن ابـن عبـاس: أوْ كِسْـوَتُهُمْ قـال: الكسـوة: عبـاءة لكلّ مسكين أو شَمْلة.
9797ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن السديّ, عن أبـي مالك, قال: ثوب, أو قميص, أو رداء, أو إزار.
9798ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عـن أبـيه, عـن ابـن عبـاس قـال: إن اختـار صـاحب اليـمين الكسوة, كسا عشرة أناسيّ كلّ إنسان عبـاءة.
9799ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: سمعت عطاء يقول فـي قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ الكسوة: ثوب ثوب.
وقال بعضهم: عنى بذلك: الكسوة ثوبـين ثوبـين. ذكر من قال ذلك:
9800ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عبـيدة, وحدثنا ابن وكيع, قـال: حـدثنا أبـو معاوية جميعا, عن داود بن أبـي هند عن سعيد بن الـمسيب, فـي قـوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: عبـاءة وعمامة.
حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن داود ابن أبـي هند, عن سعيد بـن الـمسيب, قـال: عمامـة يـلُفّ بها رأسه, وعبـاءة يـلتـحف بها.
9801ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد بـن عبـد اللـه الأنصـاري, عـن أشعث, عن الـحسن وابن سيرين, قالا: ثوبـين ثوبـين.
9802ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, عن يونس, عن الـحسن, قال: ثوبـين.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن يونس, عن الـحسن, مثله.
حدثنا أبو كريب وهناد, قالا: حدثنا وكيع, عن سفـيان, عن يونس بن عبـيد, عن الـحسن, قال: ثوبـان ثوبـان لكلّ مسكين.
9803ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن الـمبـارك, عن عاصم الأحول, عن ابن سيرين, عن أبـي موسى: أنه حلف علـى يـمين, فكسـا ثوبـين مـن مُعَقّـدة البحرين.
حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, عن يزيد بن إبراهيـم, عـن ابـن سيرين: أن أبـا موسى كسا ثوبـين من معقدة البحرين.
9804ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو أسامة, عن هشام, عن مـحمد بن عبـد الأعلـى: أن أبـا موسى الأشعري حلف علـى يـمين, فـرأى أن يكفّـر ففعـل, وكسا عشرةً ثوبـين ثوبـين.
9805ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, عن هشام, عن مـحمد: أن أبـا موسى حلف علـى يـمين فكفّر, فكسا عشرة مساكين ثوبـين ثوبـين.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا هشيـم, عن داود بن أبـي هند, عن سعيد بن الـمسيب, قال: عبـاءة وعمامة لكل مسكين.
9806ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا هشيـم, عـن جويـبر, عـن الضـحاك, مثله.

9807ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا داود بن أبي هند, قال: قال رجل عند سعيد بن المسيب: «أو كأَسْوَتهم» فقال سعيد: لا إنما هي: «أو كسوتهم». قال: فقلت: يا أبا محمد ما كسوتهم؟ قال: لكلّ مسكين عباءة وعمامة, عباءة يلتحف بها, وعمامة يشدّ بها رأسه.

9808ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد, قال: حدثنا عبيد بن سلمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: الكسوة لكلّ مسكين: رداء وإزار, كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة.

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك: كسوتهم: ثوب جامع, كالملحفة والكساء والشيء الذي يصلح للبس والنوم. ذكر من قال ذلك:

9809ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن مغيرة, عن حماد, عن إبراهيم, قال: الكسوة: ثوب جامع.

9810ـ حدثنا هناد وابن وكيع قالا: حدثنا ابن فضيل, عن مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب جامع. قال: وقال مغيرة: والثوب الجامع المِلحفة أو الكساء أو نحوه, ولا نرى الدرع والقميص والخِمار ونحوه جامعا.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: ثوب جامع.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: ثوب جامع.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب جامع لكلّ مسكين.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان وشعبة, عن المغيرة, عن إبراهيم في قوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ قال: ثوب جامع.

9811ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن المغيرة, مثله.

وقال آخرون: عنى بذلك كسوة إزار ورداء وقميص. ذكر من قال ذلك:

9812ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلى, عن بردة, عن نافع, عن ابن عمر, قال في الكسوة في الكفّارة: إزار, ورداء, وقميص.

وقال آخرون: كل ما كسا فيجزي, والآية على عمومها. ذكر من قال ذلك:

9813ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب, عن ليث, عن مجاهد, قال: يجزي في كفّارة اليمين كلّ شيء إلاّ التّبّان.

9814ـ حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أشعث, عن الحسن, قال: يجزىء عمامة في كفّارة اليمين.

9815ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أويس الصيرفي, عن أبي الهيثم, قال: قال سلمان: نعم الثوب التّبّان.

9816ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن الشيباني, عن الحكم, قال: عمامة يلفّ بها رأسه.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن قول من قال: عنى بقوله: أوْ كِسْوَتُهُمْ: ما وقع عليه اسم كسوة مما يكون ثوبا

فصاعدا, لأن ما دون الثوب لا خلاف بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية, فكان ما دون قدر ذلك خارجا من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض, والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية, إذ لم يأت من الله تعالى وحي ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الأمة إجماع بأنه غير داخل في حكمها, وغير جائز إخراج ما كان ظاهر الآية محتمله من حكم الآية إلاّ بحجة يجب التسليم لها, ولا حجة بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ.

يعني تعالى ذكره بذلك: أو فكّ عبد من أسر العبودة وذلها. وأصل التحرير: الفكّ من الأسر, ومنه قول الفرزدق بن غالب:

أبَنِي غُدَانَةَ إنّنِي حَرّرْتُكُمْفوَهَبْتُكُمْ لعَطِيّةَ بنِ جِعالِ

يعني بقوله: «حررتكم»: فككت رقابكم من ذلّ الهجاء ولزوم العار. وقيل: تحرير رقبة, والمحرّر صاحب الرقبة, لأن العرب كان من شأنها إذا أسرت أسيرا أن تجمع يديه إلى عنقه بقيد أو حبل أو غير ذلك, وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه وحلتهما مما كانتا به مشدودتين إلى الرقبة. فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير, بالخبر عن فكّ يديه عن رقبته, وهم يريدون الخبر عن إطلاقه من أسره, كما يقال: قبض فلان يده عن فلان: إذا أمسك يده عن نواله وبسط فيه لسانه: إذا قال فيه سوءا, فيضاف الفعل إلى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله, لاستعمال الناس ذلك بينهم وعلمهم بمعنى ذلك فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره: أوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ أضيف التحرير إلى الرقبة وإن لم يكن هناك غلّ في رقبته ولا شَدّ يد إليها, وكان المراد بالتحرير نفس العبد بما وصفنا من جَرّى استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه.

فإن قال قائل: أفكل الرقاب معنيّ بذلك أو بعضها؟ قيل: بل معنيّ بذلك كلّ رقبة كانت سليمة من الإقعاد والعمى والخرس وقطع اليدين أو شللهما والجنون المطبق, ونظائر ذلك, فإن من كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب, فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزي في كفّارة اليمين. فكان معلوما بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية. فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر, فإنهم معنيون به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم. ذكر من قال ذلك:

9817ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا مغيرة, عن إبراهيم, أنه كان يقول: من كانت عليه رقبة واجبة, فاشترى نَسَمة, قال: إذا أنقذها من عمل أجزأته, ولا يجوز عتق من لا يعمل فأما الذي يعمل, كالأعور ونحوه. وأما الذي لا يعمل فلا يجزي كالأعمى والمقعد.

9818ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا هشيم, عن يونس, عن الحسن, قال: كان يكره عتق المخبّل في شيء من الكفارات.

9819ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم: أنه كان لا يرى عتق المغلوب على عقله يجزىء في شيء من الكفارات.

وقال بعضهم: لا يجزىء في الكفّارة من الرقاب إلاّ صحيح, ويجزىء الصغير فيها. ذكر من قال ذلك:

9820ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء, قال: لا يجزىء في الرقبة إلاّ صحيح.

9821ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء, قال: يجزىء المولود في الإسلام من رقبة.
9822ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة. فلا يجزىء إلاّ ما صام وصلّى, وما كان ليس بمؤمنة فالصبيّ يجزىء.
وقال بعضهم: لا يقال للمولود رقبة إلاّ بعد مدّة تأتي عليه. ذكر من قال ذلك:
9823ـ حدثني محمد بن يزيد الرفاعي, قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة, عن محمد بن شعيب بن شابور, عن النعمان بن المنذر, عن سليمان, قال: إذا وُلد الصبيّ فهو نسمة, وإذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة, وإذا صلّى فهو مؤمنة.
والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى عمّ بذكر الرقبة كلّ رقبة, فأيّ رقبة حرّرها المكفر يمينه في كفّارته فقد أدّى ما كلف, إلاّ ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنه بالتحرير, فذلك خارج من حكم الآية, وما عدا ذلك فجائز تحريره في الكفار بظاهر التنزيل. والمكفّر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها بإحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه, وذلك: إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله, أو كسوتهم, أو تحرير رقبة, بإجماع من الجميع لا خلاف بينهم في ذلك. فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا من أن ذلك إجماع من الجميع ليس كما قلنا لِمَا:
9824ـ حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا سليمان الشيباني, قال: حدثنا أبو الضحى, عن مسروق, قال: جاء نعمان بن مقرّن إلى عبد الله, فقال: إني آليت من النساء والفراش فقرأ عبد الله هذه الآية: لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أَحَلّ اللّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنّ اللّهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ قال: فقال نعمان: إنما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية. فقال عبد الله: ائت النساء ونم وأعتق رقبة, فإنك موسر.
حدثني يونس, أخبرنا ابن وهب, قال: ثني جرير بن حازم أن سليمان الأعمش حدثه عن إبراهيم بن يزيد النخعي, عن همام بن الحرث: أن نعمان بن مقرّن سأل عبد الله بن مسعود, فقال: إني حلفت أن لا أنام على فراشي سنة فقال ابن مسعود: يا أيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أَحَلّ اللّهُ لَكُمْ كفّر عن يمينك ونم على فراشك قال: بم أكفر عن يميني؟ قال: أعتق رقبة فإنك موسر.
ونحو هذا من الأخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما, فإن ذلك منهك كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير بما أمروه بالتكفير به من الرقاب, لا على أنه كان لا يجزي عندهم التكفير للموسر إلاّ بالرقبة, لأنه لم ينقل أحد عن أحد منهم أنه قال: لا يجزى الموسرَ التكفيرُ إلاّ بالرقبة. والجميع من علماء الأمصار قديمهم وحديثهم مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر, ففي ذلك مكتفىً عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بغيره.
القول في تأويل قوله تعالى: فَمَنْ لَمْ يجِدْ فَصِيامُ ثَلاثةِ أيّامٍ.

يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفرها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أيّامٍ يقول: فعليه صيام ثلاثة أيام.

ثم اختلف أهل العلم في معنى قوله: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ومتى يستحقّ الحانث في يمينه الذي قد لزمته الكفارة اسم غير واجد حتى يكون ممن له الصيام في ذلك؟ فقال بعضهم: إذا لم يكن للحانث في وقت تكفيره عن يمينه إلاّ قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته فإن له أن يكفّر بالصيام, فإن كان عنده في ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم, لزمه التكفير بالإطعام أو الكسوة ولم يجزه الصيام حينئذٍ وممن قال ذلك الشافعي. حدثنا بذلك عنه الربيع.

وهذا القول قَصَدَ إن شاء الله مَنْ أوجب الطعام على من كان عنده درهمان من أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم. وبنحو ذلك:

9825ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن حماد بن سلمة, عن عبد الكريم, عن سعيد ابن جبير, قال: إذا لم يكن له إلاّ ثلاثة دراهم أطعم. قال: يعني في الكفارة.

9826ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني معتمر بن سليمان, قال: قلت لعمر بن راشد: الرجل يحلف, ولا يكون عنده من الطعام إلاّ بقدر ما يكفّر؟ قال: كان قتادة يقول: يصوم ثلاثة أيام.

9827ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: حدثنا يونس بن عبيد, عن الحسن قال: إذا كان عنده درهمان.

9828ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا معتمر, عن حماد, عن عبد الكريم بن أبي أمية, عن سعيد بن جبير, قال: ثلاثة دراهم.

وقال آخرون: جائز لمن لم يكن عنده مِئتا درهم أن يصوم وهو ممن لا يجد.

وقال آخرون: جائز لمن لم يكن عنده فضل عن رأس ماله يتصرّف به لمعاشه ما يكفّر به بالإطعام أن يصوم, إلاّ أن يكون له كفاية من المال ما يتصرّف به لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفّر به عن يمينه. وهذا قول كان يقوله بعض متأخري المتفقهة.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه إلاّ قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته لا فضل له عن ذلك, يصوم ثلاثة أيام, وهو ممن دخل في جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق. وإن كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين أو يُعتق رقبة, فلا يجزيه حينئذٍ الصوم لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذٍ من إطعام أو كسوة أو عتق حقّ قد أوجبه الله تعالى في ماله وجوب الدين, وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرقّ ماله بين غرمائه أنه لا يترك ذلك اليوم إلاّ ما لا بدّ له من قوته وقوت عياله يومه وليلته, فكذلك حكم المعدم بالدين الذي أوجبه الله تعالى في ماله بسبب الكفّارة التي لزمت ماله.

واختلف أهل العلم في صفة الصوم الذي أوجبه الله في كفارة اليمين, فقال بعضهم: صفته أن يكون مواصلاً بين الأيام الثلاثة غير مفرّقها. ذكر من قال ذلك:

9829ـ حدثنا محمد بن العلاء, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد, قال: كلّ صوم في القرآن فهو متتابع إلاّ قضاء رمضان, فإنه عدّة من أيام أخر.

9830ـ حدثنا أبو كريب وهناد, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, قال: كان أبيّ بن كعب يقرأ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع ابن أنس, عن أبي العالية, عن أبيّ بن كعب, أنه كان يقرأ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

9831ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن قزعة بن سويد, عن سيف بن سليمان, عن مجاهد, قال: في قراءة عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

9832ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن عون, عن إبراهيم, قال: في قراءتنا: «فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيّامٍ مُتَتَابِعاتٍ».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن عون, عن إبراهيم, مثله.

9833ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم: في قراءة أصحاب عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

9834ـ حدثنا هناد وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن جابر, عن عامر, قال: في قراءة عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

9835ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن حميد, عن معمر, عن أبي إسحاق: في قراءة عبد الله: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

9836ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن حميد, عن معمر, عن الأعمش, قال: كان أصحاب عبد الله يقرءون: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات».

9837ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, قال: سمعت سفيان, يقول: إذا فرّق صيام ثلاثة أيام لم يجزه. قال: وسمعته يقول في رجل صام في كفارة يمين ثم أفطر, قال: يستقبل الصوم.

9838ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيّامٍ قال: إذا لم يجد طعاما وكان في بعض القراءة: «فصيام ثلاثة أيام متتابعاتٍ». وبه كان يأخذ قتادة.

9839ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة الأوّل فالأوّل, فإن لم يجد من ذلك شيئا فصيام ثلاثة أيام متتابعات.

وقال آخرون: جائز لمن صامهنّ أن يصومهنّ كيف شاء مجتمعات ومفترقات. ذكر من قال ذلك:

9840ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا أشهب, قال: قال مالك: كلّ ما ذكر الله في القرآن من الصيام, فأن يصام تباعا أعجب, فإن فرّقها رجوت أن تجزي عنه.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين إذا لم يجد إلى تكفيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلاً, أن يكفّرها بصيام ثلاثة أيام, ولم يشرط في ذلك متتابعة, فكيفما صامهنّ المكفّر مفرّقة ومتتابعة أجزأه لأن الله تعالى إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام, فكيفما أتى بصومهنّ أجزأ. فأما ما رُوي عن أبيّ وابن مسعود من قراءتهما «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» فذلك خلاف ما في مصاحفنا, وغير جائز لنا أن نشهد بشيء ليس في مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله. غير أني أختار للصائم في كفّارة اليمين أن يتابع بين الأيام الثلاثة ولا يفرّق, لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفّارته. وهم في غير ذلك مختلفون, ففعل ما لا يختلف في جوازه أحبّ إليّ وإن كان الآخر جائزا.

القول في تأويل قوله تعالى: ذَلِكَ كَفّارَةُ أيمَانِكُمْ إذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أيمَانَكُمْ كذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذَلِكَ هذا الذي ذكرت لكم أنه كَفّارَةُ أيمانِكُمْ من إطعام العشرة المساكين أو كسوتهم أو تحرير الرقبة, وصيام الثلاثة الأيام إذا لم تجدوا من ذلك شيئا هو كفارة أيمانكم التي عقدتموها إذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أيها الذين آمنوا أيمَانَكُمْ أن تحنثوا فيها ثم تضيعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم. كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ كما بين لكم كفارة أيمانكم, كذلك يبين الله لكم جميع آياته, يعني: أعلام دينه, فيوضحها لكم, لئلا يقول المضيع المفرّط فيما ألزمه الله: لم أعلم حكم الله في ذلك. لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ يقول: لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إنّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأزْلاَمُ رِجْسٌ مّنْ عَمَلِ الشّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }..

وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرّموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم تشبها منهم بالقسيسين والرهبان, فأنزل الله فيهم على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه ينهاهم عن ذلك, فقال: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرّمُوا طَيّباتِ ما أحَلّ اللّهُ لَكُمْ فنهاهم بذلك عن تحريم ما أحلّ الله لهم من الطيبات. ثم قال: ولا تعتدوا أيضا في حدودي, فتحلوا ما حرّمت عليكم, فإن ذلك لكم غير جائز كما غير جائز لكم تحريم ما حللت, وإني لا أحبّ المعتدين. ثم أخبرهم عن الذي حرّم عليهم مما إذا استحلوه, وتقدّموا عليه كانوا من المعتدين في حدوده, فقال لهم: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, إن الخمر التي تشربونها والميسر الذي تتياسرونه والأنصاب التي تذبحون عندها والأزلام التي تستقسمون بها رِجْسٌ يقول: إثم ونَتْن, سخِطه الله وكرهه لكم مِنْ عَمَلِ الشّيْطَانِ يقول: شربكم الخمر, وقماركم على الجُزُر, وذبحكم للأنصاب, واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم, ودعائه إياكم إليه, وتحسينه لكم, لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربكم, ولا مما يرضاه

لكم, بل هو مما يسخطه لكم. فاجْتَنِبُوهُ يقول: فاتركوه وارفضوه, ولا تعلموه. لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: لكي تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم, بترككم ذلك. وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام فيما مضى فكرهنا إعادته. وأما الأنصاب, فإنها جمع نصب, وقد بينا معنى النصب بشواهده فيما مضى.

ورُوِي عن ابن عباس في معنى الرجس في هذا الموضع, ما:

9841ـ حدثني به المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيْطانِ يقول: سخط.

وقال ابن زيد في ذلك, ما:

9842ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: رِجْسٌ مِنَ عَمَلِ الشّيْطانِ قال: الرجس: الشرّ.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا يُرِيدُ الشّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مّنتَهُونَ }..

يقول تعالى ذكره: إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح ويحسن ذلك لكم إرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح, ليعادي بعضكم بعضا, ويبغّضَ بعضكم إلى بعض, فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان وجمعه بينكم بأخوة الإسلام. ويَصُدّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله يقول: ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم, وعن الصلاة التي فرضها عليكم ربكم. فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ يقول: فهل أنتم منتهون عن شرب هذه, والمياسرة بهذا, وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها, ولزوم ذكره الذي به نجح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية, فقال بعضهم: نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب, وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وسأل الله تحريمها. ذكر من قال ذلك:

9843ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة, قال: قال عمر: اللهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا قال: فنزلت الآية التي في البقرة: يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ للنّاسِ قال: فدُعي عمر فقرئت عليه, فقال: اللهمّ بَين لنا في الخمر بيانا شَافيا فنزلت الآية في النساء: لا تَقْرَبُوا الصّلاةَ وأنْتُمْ سُكارَى حتى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ. قال: وكان منادي النبيّ صلى الله عليه وسلم ينادي إذا حضرت الصلاة: لا يقربنّ الصلاة السكران قال: فدُعي عمر, فقرئت عليه, فقال: اللهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا قال: فنزلت الآية التي في المائدة: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ... إلى قوله: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فلما انتهى إلى قوله: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ قال عمر: انتهينا انتهينا

حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي إسحاق, عن أبـي ميسرة, قال: قال عمر: اللهمّ بـين لنا فـي الـخمر بـيانا شافـيا, فإنها تذهب بـالعقل والـمال ثم ذكر نـحو حديث وكيع.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن زكريا, عن أبـي إسحاق, عن أبـي ميسرة, قال: قال عمر بن الـخطاب: اللهمّ بـين لنا فذكر نـحوه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـيه وإسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن أبـي ميسرة, عن عمر بن الـخطاب, مثله.

حدثنا هناد, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا زكريا بن أبـي زائـدة, عن أبـي إسحاق, عن أبـي ميسرة, عن عمر بن الـخطاب, مثله.

9844ـ حدثنا هناد, قال: حـدثنا يـونس بـن بكيـر, قـال: ثنـي أبـو معشـر الـمدنـي, عن مـحمد بن قـيس, قال: لـما قدم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم الـمدينة أتاه الناس, وقـد كـانوا يشـربون الـخمر ويـأكلون الـميسر, فسألوه عن ذلك, فأنزل الله تعالـى: يَسْـئَلُونَكَ عَـنِ الـخَمْرِ والـمَيْسِرِ قُـلْ فِـيهِما إِثْمٌ كَبِـيرٌ وَمَنَافِعُ للناسِ وإِثْمُهُماأكبرُ مِنْ نَفْعِهِما فقالوا: هذا شيء قـد جاء فـيه رخصة, نأكل الـميسر ونشرب الـخمر, ونسـتغفر مـن ذلـك. حتـى أتـى رجل صلاة الـمغرب, فجعل يقرأ: قل يا أيها الكافرون, أعبد ما تعبدون, ولا أنتـم عابدون ما أعبد. فجعل لا يجوّد ذلك ولا يدري ما يقرأ, فأنزل الله: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصّلاةَ وأَنْتُـمْ سُكارَى فكان الناس يشربون الـخمر حتـى يجيء وقت الصلاة فـيدعَون شربها, فـيأتون الصلاة وهـم يعلـمون مـا يقولون. فلـم يزالوا كذلك حتـى أنزل اللـه تعالـى: إنّـمَا الـخمْرُ والـمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ... إلـى قوله: فَهَلْ أَنْتُـمْ مُنْتَهُونَ فقالوا: انتهينا يا رب

وقال آخرون: نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبـي وقاص, وذلك أنـه كـان لآحَى رجلاً علـى شـراب لهمـا, فضـربه صـاحبه بلَـحْيِ جمـل, ففـزر أنفـه, فنزلت فـيهما. ذكر الرواية بذلك:

9845ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة عن سماك بن حرب, عن مصعب ابن سعد عن أبـيه سـعد, أنـه قـال: صنع رجل من الأنصار طعاما فـدعانا, قـال: فشـربنا الـخمر حتـى انتشـينا, فتفـاخرت الأنصار وقريش, فقالت الأنصار: نـحن أفضل منكم. قـال: فأخـذ رجل من الأنصار لـحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره, فكـان سـعد أفـزر الأنف. قال: فنزلت هذه الآية: يا أيّها الَّذِينَ آمَنُـوا إنّـمَا الـخَمْرُ والـمَيْسِرُ... إلـى آخر الآية.

حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن مصـعب بـن سـعد, قال: قال سعد: شربت مع قوم من الأنصار, فضربت رجلاً منهم أظـنّ بفـكّ جمل فكسرته, فأتـيت النبـيّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته, فلـم ألبـث أن نزل تـحريـم الـخمر: يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا إنّـمَا الـخَمْرُ وَالـمَيْسِرُ... إلـى آخـر الآية.

حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: حدثنا إسرائيـل, عن سماك, عن مصعب بن سعد, عن أبـيه, قال: شربت الـخمر مـع قـوم مـن الأنصـار, فذكر نـحوه.

9846ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: أخبرنـي عمـرو بـن الـحرث أن ابن شهاب أخبره أن سالـم بن عبد الله حدثه: أن أوّل ما حرّمت

الخمر, أن سعد بن أبي وقاص وأصحابا له شربوا, فاقتتلوا, فكسروا أنف سعد, فأنزل الله: إنّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ... الآية.

وقال آخرون: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار. ذكر من قال ذلك:

9847ـ حدثنا الحسين بن عليّ الصدائي, قال: حدثنا حجاج بن المنهال, قال: حدثنا ربيعة بن كلثوم, عن جبير, عن أبيه, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار, شربوا حتى إذا ثملوا عبِث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته, فيقول: فعل بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رءوفا رحيما ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن, فأنزل الله: إنّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ... إلى قوله: فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ. فقال ناس من المتكلفين: هي رجس, وهي في بطن فلان قتل يوم بدر, وقتل فلان يوم أحد, فأنزل الله: لَيْسَ على الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا... الآية.

9848ـ حدثنا محمد بن خلف, قال: حدثنا سعيد بن محمد الجرمي, عن أبي تميلة, عن سلام مولى حفص بن أبي قيس, عن أبي بريدة, عن أبيه, قال: بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلاّ, إذ قمت حتى آتيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه, وقد نزل تحريم الخمر: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيْطانِ... إلى آخر الآيتين: فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ, فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم, إلى قوله: فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ. قال: وبعض القوم شرْبته في يده قد شرب بعضا وبقي بعض في الإناء, فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام, ثم صبوا ما في باطيتهم, فقالوا: انتهينا ربنا, انتهينا ربّنا

وقال آخرون: إنما كانت العداوة والبغضاء كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب الميسر لا بسبب السكر الذي يحدث لهم من شرب الخمر, فلذلك نهاهم الله عن الميسر. ذكر من قال ذلك:

9849ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع قال بشر: وقد سمعته من يزيد وحدثنيه قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله, فيقعد حزينا سليبا ينظر إلى ماله في يدي غيره, فكانت تورث بينهم عداوةً وبغضاء, فنهى الله عن ذلك وقدّم فيه والله أعلم بالذي يُصْلح خلقه.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى قد سمى هذه الأشياء التي سماها في هذه الآية رجسا وأمر باجتنابها.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية, وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر, وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نال سعدا من الأنصاريّ عند انتشائهما من الشراب, وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يَسَرَه وبغضه. وليس عندنا بأيّ ذلك كان خبر قاطع للعذر, غير أنه أي ذلك كان, فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف, وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذي له نزلت هذه الآية, فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فرض على جميع من بلغته

الآية من التكليف اجتناب جميع ذلك, كما قال تعالى: فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلّيْتُمْ فَاعْلَمُوَاْ أَنّمَا عَلَىَ رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }..

يقول تعالى ذكره: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه, وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعاني التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها, وخالفوا الشيطان في أمره إياكم بمعصية الله في ذلك وفي غيره, فإنه إنما يبغي لكم العداوة والبغضاء بينكم بالخمر والميسر. واحْذَرُوا يقول: واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عندما نهاكم عنه من هذه الأمور التي حرّمها عليكم في هذه الآية وغيرها, أو يفقدكم عندما أمركم به فتوبقوا أنفسكم وتهلكوها. فإنْ تَوَلّيْتُمْ يقول: فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به وتنتهوا عما نهيناكم عنه ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله واتباع ما جاءكم به نبيكم فاعْلَمُوا أنّمَا على رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ يقول: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم بالنذارة غير إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم, مبينة لكم بيانا يوضح لكم سبيل الحقّ والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية, فعلى المرسَل إليه دون الرسل. وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه, يقول لهم تعالى ذكره: فإن توليتم عن أمري ونهي, فتوقعوا عقابي واحذروا سخطي.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوَاْ إِذَا مَا اتّقَواْ وّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ ثُمّ اتّقَواْ وّآمَنُواْ ثُمّ اتّقَواْ وّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله: إنّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِر والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيْطانِ فاجْتَنِبُوهُ: كيف بمن هلك من إخواننا وهمُ يشربونها وبنا وقد كنا نشربها: لَيْسَ على الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ منكم حرج فيما شربوا من ذلك في الحال التي لم يكن الله تعالى حرّمه عليهم, إذَا ما اتّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: إذا ما اتقى الله الأحياء منهم, فخافوه وراقبوه في اجتنابهم ما حرّم عليهم منه وصدّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهاهم, فأطاعوهما في ذلك كله. وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم. ثُمّ اتّقَوْا وآمَنُوا يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضا, فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به, ولم يغيروا ولم يبدّلو. ثُمّ اتّقَوْا وأحْسَنُوا يقول: ثم خافوا الله, فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان. وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال, ولكنه نوافل تقرّبوا بها إلى ربهم طلب رضاه وهربا من عقابه. وَاللّهُ يُحِبّ المُحْسِنِينَ يقول: والله يحبّ المتقرّبين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها. فالاتقاء الأوّل: هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل

والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق وترك التبديل والتغيير والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال.
فإن قال قائل: ما الدليل على أن الاتقاء الثالث هو الاتقاء بالنوافل دون أن يكون ذلك بالفرائض؟ قيل: إنه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربي الخمر التي شربوها قبل تحريمه إياها إذا هم اتقوا الله في شربها بعد تحريمها وصدّقوا الله ورسوله في تحريمها وعملوا الصالحات من الفرائض. ولا وجه لتكرير ذلك, وقد مضى ذكره في آية واحدة.
وبنحو الذي قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه, جاءت الأخبار عن الصحابة والتابعين. ذكر من قال ذلك:
9850ـ حدثنا هناد بن السري وأبو كريب, قالا: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لما تحريم الخمر قالوا: يا رسول الله, فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت: لَيْسَ على الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ... الآية.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله, عن إسرائيل بإسناده, نحوه.
9851ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: ثني عبد الكبير بن عبد المجيد, قال: أخبرنا عباد بن راشد, عن قتادة, عن أنس بن مالك, قال: بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبي دجانة, حتى مالت رءوسهم من خليط بسر وتمر, فسمعنا مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرّمت قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال. وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا فأصبنا من طيب أمّ سليم ثم خرجنا إلى المسجد, وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيْطانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ... إلى قوله: فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ. فقال رجل: يا رسول الله, فما منزلة من مات منا وهو يشربها؟ فأنزل الله تعالى: لَيْسَ على الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا... الآية. فقال رجل لقتادة: سمعته من أنس بن مالك؟ قال: نعم, وقال رجل لأنس بن مالك: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم, وحدثني من لم يكذب, والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب.
9852ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن البراء, قال: لما حرّمت الخمر قالوا: كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت: لَيْسَ على الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا... الآية.
حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: قال البراء: مات ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر, فلما نزل تحريمها, قال أناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية: لَيْسَ على الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ... الآية.

9853ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: أخبرنا داود, عن ابـن جريج, عن مـجاهد, قال: نزلت: لَـيْسَ عـلـى الّذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُوا فـيـمن قُتل ببدر وأحد مع مـحمد صلى الله عليه وسلم.

9854ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا خالد بن مخـلد, قال: حدثنا علـيّ بـن مسهر, عن الأعمش, عن إبراهيـم عـن علقمـة, عـن عبـد اللـه, قـال: لـما نزلت: لَـيْسَ علـى الّذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُـوا قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِـيـلَ لـي أنْتَ مِنْهُمْ».

9855ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة, قـوله: لَـيْسَ علـى الّـذِينَ آمَنُـوا وعَـمِلُـوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُوا... إلـى قوله: وَاللّهُ يُحِـبّ الـمُـحْسِنِـيـنَ لـما أنزل اللـه تعالـى ذكـره تـحريـم الـخمر فـي سـورة الـمائدة بعـد سـورة الأحزاب, قال فـي ذلـك رجـال مـن أصحاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم: أصيب فلان يوم بدر وفلان يـوم أحـد وهـم يشـربونها, فنـحن نشـهد أنهم من أهل الـجنة فأنزل الله تعالـى ذكره: لَـيْسَ علـى الّذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُـوا إذَا مـا اتّقَـوْا وآمَنُـوا وعَـمِلُـوا الصّالِـحاتِ ثُـمّ اتّقَوْا وآمَنُوا ثُمّ اتّقَوْا وأحْسَنُوا وَاللّهُ يُحِبّ الـمُـحْسِنِـينَ يقول: شـربها القـوم علـى تقوى من الله وإحسان وهي لهم يومئذٍ حلال, ثـم حرّمـت بعـدهم, فلا جناح علـيهم فـي ذلك.

9856ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية بن صالـح, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابـن عبـاس, قـوله: لَـيْسَ علـى الّذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُوا قالوا: يا رسـول اللـه, مـا نقول لإخواننا الذين مضوا, كانوا يشربون الـخمر ويأكلون الـمـيسر؟ فـأنزل الله: لَـيْسَ علـى الّذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُـوا يعنـي قبل التـحريـم إذا كانوا مـحسنـين متقـين. وقـال مـرّة أخـرى: لـيس علـى الذين آمنوا وعملوا الصالـحات جناح فـيـما طعموا من الـحرام قبل أن يحرّم علـيهم إذا ما اتقوا وأحسنوا بعد ما حرّم وهو قوله: فَمَنْ جـاءَهُ مَوْعِظَـةٌ مِـنْ رَبّهِ فـانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قـوله: لَـيْسَ علـى الّـذِينَ آمَنُـوا وعَـمِلُـوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُوا يعنـي بذلك رجالاً مـن أصـحاب النبـيّ صـلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الـخمر قبل أن تـحرّم الـخمر, فلـم يكـن علـيهم فـيها جناح قبل أن تـحرّم, فلـما حرّمـت قـالوا: كيـف تكـون علـينا حراما وقد مات إخواننا وهم يشربونها؟ فأنزل الله تعالـى لَـيْسَ علـى الّـذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُـوا الصّالِـحاتِ جُنَـاحٌ فِـيـما طَعِمُـواإذا مـا اتّقَـوْا وآمَنُـوا وعَـمِلُـوا الصّالِـحاتِ يقول: لـيس علـيهم حرج فـيـما كـانوا يشـربون قبـل أن أحرّمهـا إذا كانوا مـحسنـين متقـين, والله يحب الـمـحسنـين.

9857ـ حدثنـي مـحمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله تعالـى: لَـيْسَ علـى الّذِينَ آمَنُوا وعَـمِلُوا الصّالِـحاتِ جُنَاحٌ فِـيـما طَعِمُوا لـمن كان يشرب الـخمر مـمن قتل مع مـحمد صلى الله عليه وسلم ببدر وأحد.

9858ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ الفضل بـن خالد, قال: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, عن الضحاك, قوله: لَـيْسَ علـى الّذِينَ

آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جُنَاحٌ... الآية: هذا في شأن الخمر حين حُرّمت, سألوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فأنزل الله هذه الآية.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: {يَـأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مّنَ الصّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله لَيَبْلُوَنّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصّيْدِ يقول: ليختبرنكم الله بشيء من الصيد, يعني: ببعض الصيد. وإنما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشيء, لأنه لم يبلهم بصيد البحر وإنما ابتلاهم بصيد البرّ, فالابتلاء ببعض لم يمتنع. وقوله: تَنالُه أيْدِيكُمْ يعني: إما باليد, كالبيض والفراخ وإما بإصابة النبل والرماح, وذلك كالحمر والبقر والظباء, فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم أو بحجكم.

وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

9859ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لَيَبْلُوَنّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصّيْدِ تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ قال: أيديكم صغار الصيد, أخذ الفراخ والبيض. و«الرماح», قال: كبار الصيد.

حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن داود, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ قال: النبل, ورماحكم تنال كبير الصيد, وأيديكم تنال صغير الصيد, أخذ الفراخ والبيض.

9860ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حميد الأعرج, عن مجاهد في قوله: لَيَبْلُوَنّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصّيْدِ تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ قال: ما لا يستطيع أن يفرّ من الصيد.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن حميد الأعرج, عن مجاهد, مثله.

9861ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ قال: هو الضعيف من الصيد وصغيره, يبتلي الله تعالى به عباده في إحرامهم حتى لو شاءوا نالوه بأيديهم, فنهاهم الله أن يقربوه.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان الثوري, عن حميد الأعرج, وليث عن مجاهد في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصّيْدِ تَنالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ قال: الفراخ والبيض, وما لا يستطيع أن يفرّ.

القول في تأويل قوله تعالى: لِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَخافُهُ بالغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمُ.

يعني تعالى ذكره: ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال إحرامكم, كي يعلم أهل طاعة الله والإيمان به والمنتهون إلى حدوده وأمره ونهيه, من الذي يخاف الله, فيتقي ما نهاه عنه ويجتنبه خوف عقابه

بـالغيب, بـمعنى: فـي الدنـيا بحيـث لا يـراه. وقـد بـينا أن الغيـب إنـما هـو مصدر قول القائل: غاب عنـي هذا الأمر فهو يغيب غيبـا وغيبـة, وأن مـا لـم يعاين فإن العرب تسميه غيبـا.

فتأويـل الكلام إذن: لـيعلـم أولـياء الله من يخاف اللـه فـيتقـي مـحارمه التـي حرّمها علـيه من الصيد وغيره, بحيث لا يراه ولا يعاينه.

وأما قوله: فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فإنه يعنـي: فمن تـجاوز حدّ الله الذي حدّه له بعد ابتلائه بتـحريـم الصيد علـيه وهو حرام, فـاستـحلّ ما حرم اللـه علـيه منه بأخذه وقتله فَلَهُ عَذَابٌ من الله أَلِـيـمٌ يعنـي: مؤلـم موجع.

الآية : 95

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَـأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصّيْدَ وَأَنْتُـمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مّتَعَمّداً فَجَزَآءٌ مّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مّنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَـدْلُ ذَلِـكَ صِـيَاماً لّيَـذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ }..

يقول تعالـى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ الذي بـينت لكـم, وهـو صـيد الـبرّ دون صـيد البحـر وأَنْتُـمْ حُـرُمٌ يقـول: وأنتـم مـحرمون بحجّ أو عمرة والـحُرُم: جمـع حـرام, والـذكر والأنـثى فـيه بلفـظ واحد, تقول: هذا رجل حَرَام وهذه امرأة حَرَام, فـإذا قـيـل مُـحْرم, قـيـل للـمرأة مـحرمة. والإحرام: هو الدخول فـيه, يقال: أحرم القـوم: إذا دخـلوا فـي الشهر الـحرام, أو فـي الـحرم. فتأويـل الكلام: لا تقتلـوا الصـيد وأنتـم مـحرمون بحجّ أو عمرة. وقوله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدًا فإن هـذا إعلام مـن الله تعالـى ذكره عبـاده حكم القاتل من الـمـحرمين الصـيد الـذي نهـاه عـن قتله متعمدا.

ثم اختلف أهل التأويـل فـي صفة العمد الذي أوجب الله علـى صـاحبه بـه الكفـارة والـجزاء فـي قتله الصيد. فقال بعضهم: هو العمد لقتل الصـيد مـع نسيان قاتله إحرامه فـي حال قتله, وقال: إن قتله وهو ذاكر إحرامه متعمـدا قتله فلا حكم علـيه وأمره إلـى الله. قـالوا: وهـذا أجـلّ أمـرا مـن أن يحكـم علـيه أو يكون له كفّـارة. ذكر من قال ذلك:

9862ـ حدثنا سفـيان بن وكيع, قال: حدثنا ابن عـيـينة, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ مـن قتلـه منكم ناسيا لإحرامه متعمدا لقتله, فذلك الذي يُحكم علـيه. فإن قَتلـه ذاكـرا لـحُرْمه متعمدا لقتله, لـم يحكم علـيه.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن لـيث, عن مـجاهد فـي الذي يقتل الصيد متعمدا, وهو يعلـم أنه مـحرم ومتعمد قتله, قـال: لا يحكـم علـيه, ولا حجّ له. وقوله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا قـال: هـو العمـد الـمكفر, وفـيه الكفـارة والـخطأ أن يصيبه, وهو ناس إحرامه, متعمدا لقتله, أو يصيبه وهو يريد غيره, فذلك يحكم علـيه مرّة.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لا تَقْتُلُوا الصّيْدُ وأَنْتُـمْ حُـرُمٌ, وَمَـنْ قَتَلَـهُ مِنْكُـمْ مُتَعَمّدًا غير ناس لـحرمه ولا مريد غيره, فقد حلّ ولـيست لـه رخصـة. ومـن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأ به, فذلك العمد الـمكفر.

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا قال: متعمدا لقتله, ناسيا لإحرامه.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا الفضيل بن عياض, عن ليث, عن مجاهد, قال: العمد هو الخطأ المكفّر.

حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا يونس بن محمد, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا ليث قال: قال مجاهد: قوله الله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ قال: فالعمد الذي ذكر الله تعالى أن يصيب الصيد وهو يريد غيره فيصيبه, فهذا العمد المكفّر فأما الذي يصيبه غيرَ ناس ولا مريد لغيره, فهذا لا يحكم عليه, هذا أجَلّ من أن يحكم عليه.

حدثنا ابن وكيع, ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن الهيثم, عن الحكم, عن مجاهد, أنه قال في هذه الآية: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا قال: يقتله متعمدا لقتله, ناسيا لإحرامه.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: حدثنا شعبة, عن الهيثم, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

9863ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: قال ابن جريج: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا غير ناس لحُرمه ولا مريد غيره, فقد حلّ وليست له رخصة. ومن قتله ناسيا لحرمه أو أراد غيره فأخطأ به, فذلك العمد المكفّر.

9864ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سهل بن يوسف, عن عمرو, عن الحسن: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا للصيد ناسيا لإحرامه, فمن اعْتَدَى بَعْدَ ذلك متعمدا للصيد يذكر إحرامه.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا محمد بن أبي عديّ, قال: حدثنا إسماعيل بن مسلم, قال: كان الحسن يفتي فيمن قتل الصيد متعمدا ذاكرا لإحرامه: لم يحكم عليه. قال إسماعيل, وقال حماد عن إبراهيم, مثل ذلك.

9865ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا حماد بن سلمة, قال: أمرني جعفر بن أبي وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَم... الآية, فسألته, فقال: كان عطاء يقول: هو بالخيار أيّ ذلك شاء فعل, إن شاء أهدى وإن شاء أطعم وإن شاء صام. فأخبرت به جعفرا, وقلت: ما سمعتَ فيه؟ فتلكأ ساعة ثم جعل يضحك, ولا يخبرني, ثم قال: كان سعيد بن جبير يقول: يحكم عليه من النعم هديا بالغ الكعبة, فإن لم يجد يحكم عليه ثمنه, فقوّم طعاما فتصدّق, فإن لم يجد عليه حكم الصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة.

حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا نافع بن يزيد, قال أخبرني ابن جريج, قال: قال مجاهد: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا غير ناس لحُرمه ولا مريد غيره فقد حلّ وليست له رخصة, ومن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأ به, فذلك العمد المكفّر.

9866ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أما الذي يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرّم, فهؤلاء الذين يحكم عليهم. فأما من قتله متعمدا بعد نهي الله وهو يعرف أنه

محروم وأنه حرام, فذلك يوكل إلى نقمة الله, وذلك الذي جعل الله عليه النقمة.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن ليث, عن مجاهد, في قوله:وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا قال: متعمدا لقتله, ناسيا لإحرامه.

وقال آخرون: بل ذلك هو العمد من المحرم لقتل الصيد ذاكرا لحُرمه. ذكر من قال ذلك:

9867ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء, قال: يحكم عليه في العمد والخطإ والنسيان.

9868ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: حدثنا ابن جريج, وحدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ابن جريج, قال: قال طاوس: والله ما قال الله إلاّ: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا.

9869ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرني بعض أصحابنا عن الزهري أنه قال: نزل القرآن بالعمد, وجرت السنة في الخطإ. يعني في المحرم يصيب الصيد.

9870ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ قال: إن قتله متعمدا أو ناسيا حكم عليه, وإن عاد متعمدا عجلت له العقوبة, إلاّ أن يعفو الله.

9871ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن سعيد بن جبير, قال: إنما جعلت الكفّارة في العمد, ولكن غلّظ عليهم في الخطأ كي يتقوا.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع, قالا: حدثنا الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن سعيد بن جبير, نحوه.

حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا نافع بن يزيد, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: كان طاوس يقول: والله ما قال الله إلاّ: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن يقال: إن الله تعالى حرّم قتل صيد البرّ على كل محرم في حال إحرامه ما دام حراما, بقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ ثم بين حكم من قتل ما قتل من ذلك في حال إحرامه متعمدا لقتله, ولم يخصص به المتعمد قتله في حال نسيانه إحرامه, ولا المخطىء في قتله في حال ذكره إحرامه, بل عمّ في التنزيل بإيجاب كلّ قاتل صيد في حال إحرامه متعمدا. وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إجماع من الأمة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه. فإذ كان ذلك كذلك, فسواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامدا قتله ذاكرا لإحرامه, أو عامدا قتله ناسيا لإحرامه, أو قاصدا غيره فقتله ذاكرا لإحرامه, في أنّ على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو: مثل ما قتل من النّعَم يحكم بِهِ ذوا عدل من المسلمين أو كفّارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما وهذا قول عطاء والزهري الذي ذكرناه عنهما, دون القول الذي قاله مجاهد.

وأما ما يلزم بالخطأ قاتله, فقد بينا القول فيه في كتابنا «كتاب لطيف القول في أحكام الشرائع» بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع. وليس هذا الموضع موضع ذكره, لأن قصدنا في هذا الكتاب الإبانة عن تأويل التنزيل, وليس في التنزيل للخطإ ذكر فنذكر أحكامه.

وأما قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ فإنه يقول: وعليه كفارة وبدل, يعني بذلك: جزاء الصيد المقتول يقول تعَالى ذكره: فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول مثل ما قتل من النعم. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ».

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين: «فَجَزَاءُ مِثْلِ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ» بإضافة الجزاء إلى المثل وخفض المثل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ بتنوين «الجزاء» ورفع «المثل» بتأويل: فعليه جزاء مثل ما قتل.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ بتنوين «الجزاء» ورفع «المثل», لأن الجزاء هو المثل, فلا وجه لإضافة الشيء إلى نفسه. وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بالإضافة, رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم وليس كذلك كالذي ذهبوا إليه, بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتول نظيره من النعم. وإذ كان ذلك كذلك, فالمثل هو الجزاء الذي أوجبه الله تعالى على قاتل الصيد, ولن يضاف الشيء إلى نفسه, ولذلك لم يقرأ ذلك قارىء علمناه بالتنوين ونصب المثل. ولو كان المثل غير الجزاء لجاز في المثل النصب إذا نون الجزاء, كما نصب اليتيم إذ كان غير الإطعام في قوله: أوْ إطْعامٌ فِي ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيما ذَا مَقْرَبَةٍ وكما نصب الأموات والأحياء ونون الكفات في قوله: أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتا أحْياءً وأمْوَاتا إذ كان الكفات غير الأحياء والأموات. وكذلك الجزاء, لو كان غير المثل لاتسعت القراءة في المثل بالنصب إذا نوّن الجزاء, ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل, إذ كان المثل هو الجزاء, وكان معنى الكلام: ومن قتله منكم متعمدا, فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم.

ثم اختلف أهل العلم في صفة الجزاء, وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم. فقال بعضهم: ينظر إلى أشبه الأشياء به شبها من النعم, فيجزيه به ويُهديه إلى الكعبة. ذكر من قال ذلك:

9872ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدافَجَزَاءٌ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ قال: أما جزاء مثل ما قتل من النعم, فإن قتل نعامة أو حمارا فعليه بدنة, وإن قتل بقرة أو أيّلاً أو أرْوَى فعليه بقرة, أو قتل غزالاً أو أرنبا فعليه شاة. وإن قتل ضبّا أو حرباء أو يربوعا, فعليه سخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن.

9873ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن أبي مجاهد, قال: سئل عطاء: أيغرم في صغير الصيد كما يغرم في كبيره؟ قال: أليس يقول الله تعالى: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ؟

9874ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قال مـجاهد: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْـلُ مـا قَتَـلَ مِـنَ النّعَـمِ قـال: علـيه من النعم مثله.
9875ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن الـحكم, عن مقسم, عن ابن عبـاس, فـي قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَـلَ مِـنَ النّعَـمِ قـال: إذا أصـاب الـمـحرم الصيد وجب علـيه جزاؤه من النعم, فإن وجد جزاءه ذبحه فتصـدّق به, فإن لـم يجد جزاءه قوّم الـجزاء دراهم ثم قوّم الدراهم حنطـة ثـم صـام مكان كلّ نصف صاع يومـا. قـال: وإنــما أريـد بــالطعام الصـوم, فـإذا وجـد طعاما وجد جزاء.
حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن الـحكم, عن مقسم, عن ابن عبـاس: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَـلَ مِ نَ النّعَـمِ يَحْكُـمُ بِـهِ ذَوَا عَـدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيا بـالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفّـارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما قال: إذا أصاب الـمـحرم الصيد حكم علـيه جزاؤه من النعـم, فـإن لــم يجـد نظركـم ثمنه قال ابن حميد: نظركم قـيـمته فقوّم علـيه ثمنـه طعامـا, فصـام مكـان كل نصف صاع يوما, أو كفّـارة طعام مسـاكين, أو عـدل ذلـك صـياما. قـال: إنـما أريد بـالطعام: الصيام, فإذا وجد الطعام وجد جزاءه.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن سفـيان بن حسين, عن الـحكم, عن مقسم, عن ابن عبـاس: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مـا قَتَلَ مِنَ النّعَمِ فإن لـم يجد هديا, قوّم الهـدى علــيه طعامـا وصـام عـن كـلّ صاع يومين.
حدثنا هناد. قال: عبد بن حميد, عن منصور, عن الـحكم, عن مقسم, عن ابن عبـاس فـي هذه الآية: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدًا فَجَزَاءٌ مِثْـلُ مَـا قَتَـلَ مِـنَ النّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيا بـالِغَ الكَعْبَةِ قال: إذا أصاب الرجل الصيد حكم علـيه, فإن لـم يكن عنده قوّم علـيه ثمنـه طعـام ثـم صـام للـكّ نصـف صاع يوما.
9876ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب, قالا: حـدثنا هشيــم, قـال: أخبرنـا عبـد الـملك بن عمير, عن قبـيصة بن جابر, قال: ابتدرت وصاحب لـي ظبـيا فـي العقبة, فأصبته. فأتـيت عمر بـن الــخطاب فـذكرت ذلـك لـه, فأقبـل علــيّ رجل إلـى جنبه, فنظرا فـي ذلك, فقال: اذبح كبشا.
حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا حصين, عن الشعبــي, قال: أخبرنـي قبـيصة بن جابر نـحوا مـما حدّث به عبد الـملك.
9877ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن الـمسعودي, عن عبد الـملك بن عمير, عن قبـيصة بن جابر, قال: قتل صاحب لـي ظبـيا وهو مـحرم, فـأمره عمر أن يذبح شاة, فـيتصدّق بلـحمها ويُسْقِـي إهابها.
9878ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, عن داود بن أبـي هند, عن بكر بن عبد الله الـمزنـي, قال: قتل رجل من الأعـراب وهـو مــحرم ظبــيا, فسأل عمر, فقال له عمر: أهد شاة.
9879ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, وحدثنا أبو هشام الرفـاعي, قال: حدثنا ابن فضيـل, قال: حدثنا حصين, عـن الشعبــيّ, قـال: قال قبـيصة بن جابر: أصبت ظبــيا وأنـا مــحرم, فأتــيت عمـر فسـألته عـن ذلك, فأرسل إلـى عبد الرحمن بن عوف, فقلت: يا أمير الـمؤمنـين إن أمره أهون من ذلك قال: فضربنـي بـالدرّة حتــى سـابقته عـدوا. قـال: ثـم قـال:

قتلت الصيد وأنت محرم ثم تُغمص الفتيا؟ قال: فجاء عبد الرحمن, فحكما شاة.

9880ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ قال: إذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه, فإن قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة, فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين, فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام, فإن قتل أيّلاً أو نحوه فعليه بقرة وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل.

9881ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: أرأيت إن قتلت صيدا فإذا هو أعور أو أعرج أو منقوص أغرم مثله؟ قال: نعم, إن شئت. قلت: أوفي أحبّ إليك؟ قال: نعم. وقال عطاء: وإن قتلت ولد الظبي ففيه ولد شاة, وإن قتلت ولد بقرة وحشية ففيه ولد بقرة إنسية مثله, فكل ذلك على ذلك.

9882ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ: ما كان من صيد البرّ مما ليس له قرن الحمار والنعامة فعليه مثله من الإبل, وما كان ذا قرن من صيد البرّ من وعل أو أيل فجزاؤه من البقر, وما كان من ظبي فمن الغنم مثله, وما كان من أرنب ففيها ثنية, وما كان من يربوع وشبهه ففيه حمل صغير, وما كان من جرادة أو نحوها ففيه قبضة من طعام, وما كان من طير البرّ ففيه أن يقوّم ويتصدّق بثمنه, وإن شاء صام لكلّ نصف صاع يوما. وإن أصاب فرخ طير برية أو بيضها فالقيمة فيها طعام أو صوم على الذي يكون في الطير. غير أنه قد ذكر في بيض النعام إذا إصابها المحرم أن يحمل الفحل على عدّة من أصاب من البيض على بِكارة الإبل, فما لقح منها أهداه إلى البيت, وما فسد منها فلا شيء فيه.

9883ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا نافع, قال: أخبرني ابن جريج, قال: قال مجاهد: من قتله يعني الصيد ناسيا, أو أراد غيره فأخطأ به, فذلك العمد المكفّر, فعليه مثله هديا بالغ الكعبة, فإن لم يجد ابتاع بثمنه طعاما, فإن لم يجد صام عن كلّ مدّ يوما. وقال عطاء: فإن أصاب إنسان نعامة, كان له إن كان ذا يسار ما شاء, إن شاء يهدي جزورا أو عَدلها طعاما أو عدلها صياما, أيهنّ شاء من أجل قوله: فَجَزَاءٌ أو كذا قال: فكلّ شيء في القرآن أوأو, فليختر منه صاحبه ما شاء.

9884ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا نافع, قال: أخبرني ابن جريج, قال: أخبرني الحسن بن مسلم, قال: من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعدا, فذلك الذي قال الله تعالى: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مَنَ النّعَمِ. وأما كفّارَة طَعَام مَسَاكِين فذلك الذي لا يبلغ أن يكون فيه هدي, العصفور يقتل فلا يكون فيه. قال: أو عدل ذلك صياما, عدل النعامة, أو عدل العصفور, أو عدل ذلك كله.

وقال آخرون: بل يقوّم الصيد المقتول قيمته من الدراهم, ثم يشتري القاتل بقيمته نِدّا من النعم, ثم يهديه إلى الكعبة. ذكر من قال ذلك:

9885ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبدة, عن إبراهيم, قال: ما أصاب المحرم من شيء حكم فيه قيمته.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن حماد, قال: سمعت إبراهيم يقول: في كلّ شيء من الصيد ثمنه.

وأولى القولين في تأويل الآية, ما قال عمر وابن عباس ومن قال بقولهما: إن المقتول من الصيد يجزى بمثله من النعم, كما قال الله تعالى: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ وغير جائز أن يكون مثل الذي قتل من الصيد دراهم وقد قال الله تعالى: مِنَ النّعَمِ لأن الدراهم ليست من النعم في شيء.

فإن قال قائل: فإن الدراهم وإن لم تكن مثلاً للمقتول من الصيد, فإنه يشتري بها المثل من النعم, فيهديه القاتل, فيكون بفعله ذلك كذلك جازيا بما قتل من الصيد مثلاً من النعم؟ قيل له: أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيرا أو كبيرا أو سليما, أو كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما بقيمته من النعم إلاّ صغيرا أو معيبا, أيجوز له أن يشتري بقيمته خلافه وخلاف صفته فيهديه, أم لا يجوز ذلك له, وهو لا يجد إلاّ خلافه؟ فإن زعم أنه لا يجوز له أن يشتري بقيمته إلاّ مثله, تُرك قوله في ذلك لأن أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشتري بقيمته ذلك فيهديه إلاّ ما يجوز في الضحايا, وإذا أجازوا شِرَى مثل المقتول من الصيد بقيمته وإهداءها وقد يكون المقتول صغيرا معيبا, أجازوا في الهدي ما لا يجوز في الأضاحي, وإن زعم أنه لا يجوز أن يشتري بقيمته فيهديه إلاّ ما يجوز في الضحايا أوضح بذلك من قوله الخلافَ لظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمدا المثل من النعم إذا وجدوه وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم وهو إلى ذلك واجد سبيلاً.

ويقال لقائل: ذلك: أرأيت إن قال قائل آخر: ما على قاتل ما لا تبلغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النعم ما يجوز في الأضاحي من إطعام ولا صيام, لأن الله تعالى إنما خير قاتل الصيد من المجرمين في أحد الثلاثة الأشياء التي سماها في كتابه, فإذا لم يكن له إلى واحد من ذلك سبيل سقط عنه فرض الآخرين, لأن الخيار إنما كان له وله إلى الثلاثة سبيل فإذا لم يكون له إلى بعض ذلك سبيل فرض الجزاء عنه, لأنه ليس ممن عُني بالآية نظير الذي قلت أنت إنه إذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز في الضحايا, فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه, وإنما عليه الجزاء بالإطعام أو الصيام هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير؟ فلن يقول في أحدهما قولاً إلاّ ألزم في الآخر مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيا بالِغَ الكَعْبَةِ.

يقول تعالى ذكره: يحكم بذلك الجزاء الذي هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم, يعني: فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل. هَدْيا يقول: يقضي بالجزاء ذوا عدل أن يُهدي فيبلغ الكعبة. والهاء في قوله «يحكم به» عائدة على الجزاء, ووجه حكم العدلين إذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل أن ينظرا إلى المقتول ويستوصفاه, فإن ذكر أنه أصاب ظبيا صغيرا حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذي قتله في السنّ والجسم, فإن كان الذي أصاب من ذلك كبيرا حكما عليه من الضأن بكبير, وإن كان الذي أصاب حمار وحش

حكما عليه ببقرة إن كان الذي أصاب كبيرا من البقر, وإن كان صغيرا فصغيرا, وإن كان المقتول ذكرا فمثله من ذكور البقر, وإن كان أنثى فمثله من البقر أنثى, ثم كذلك ينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من الصيد شبها من النعم فيحكمان عليه به كما قال تعالى.

وبمثل الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل على اختلاف في ذلك بينهم. ذكر من قال ذلك بنحو الذي قلنا فيه:

9886ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا داود بن أبي هند, عن بكر بن عبد الله المزني, قال: كان رجلان من الأعراب محرمَين, فأحاش أحدهما ظبيا فقتله الآخر, فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف, فقال له عمر: وما ترى؟ قال: شاة. قال: وأنا أرى ذلك, اذهبا فأهديا شاة فلما مضيا, قال أحدهما لصاحبه: ما درى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه. فسمعها عمر, فردّهما فقال: هل تقرآن سورة المائدة؟ فقالا: لا. فقرأها عليهما: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكمْ. ثم قال: استعنت بصاحبي هذا.

9887ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب, قالا: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبد الملك بن عمَير, عن قبيصة بن جابر, قال: ابتدرت أنا وصاحب لي ظبيا في العقبة, فأصبته. فأتيت عمر بن الخطاب, فذكرت ذلك له, فأقبل على رجل إلى جنبه, فنظرا في ذلك. قال: فقال: اذبح كبشا قال يعقوب في حديثه: فقال لي اذبح شاة. فانصرفت فأتيت صاحبي, فقلت: إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول فقال صاحبي: انحر ناقتك فسمعها عمر بن الخطاب, فأقبل عليّ ضربا بالدرّة, وقال: تقتل الصيد وأنت محرم وتَغْمِصُ الفتيا إن الله تعالى يقول في كتابه: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هذا ابن عوف وأنا عمر.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن الشعبي, قال: أخبرني قبيصة بن جابر, بنحو ما حدّث به عبد الملك.

9888ـ حدثنا هناد وأبو هشام, قالا: حدثنا وكيع, عن المسعودي, عن عبد الملك بن عمير, عن قبيصة بن جابر, قال: خرجنا (حجاجا) فكنا إذا صلينا الغداة, اقتدرنا رواحلنا نتماشى نتحدّث. قال: فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبيٌ أو برَح, فرماه رجل منا بحجر, فما أخطأ خُشَشاءه, فركب رَدْعَه ميتا. قال: فعظُمنا عليه فلما قدمنا مكة, خرجت معه حتى أتينا عمر, فقصّ عليه القصة, قال: وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قُلْبُ فضة يعني عبد الرحمن بن عوف فالتفت إلى صاحبه فكلمه قال: ثم أقبل عليّ الرجل, قال: أعمدا قتلته أم خطأ؟ قال الرجل: لقد تعمدت رميه, وما أردت قتله. فقال عمر: ما أراك إلاّ قد أشركت بين العمد والخطأ, اعمد إلى شاة فاذبحها, وتصدّق بلحمها, وأسق إهابها قال: فقمنا من عنده, فقلت: أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه, اعمد إلى ناقتك فانحرها ففعل ذاك. قال قبيصة: ولا أذكر الآية من سورة المائدة: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ. قال: فبلغ عمر مقالتي, فلم يفجأنا إلاّ ومعه الدرّة, قال: فعلاً صاحبي ضربا بالدرّة, وجعل يقول: أقتلت في الحرم وسفّهت الحكم قال: ثم أقبل عليّ فقلت: يا أمير المؤمنين, لا أحلّ لك اليوم شيئا يحرم عليك مني. قال: يا قبيصة بن جابر, إني أراك شاب السنّ فسيح الصدر بَيّن اللسان, وإن الشاب

يكـون فــيه تسـعة أخلاق حسـنة وخــلق سـيّء, فــيفسد الـخــلق السـيء الأخلاق الـحسنة, فإياك وعثرات الشبـاب

9889ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيـينة, عن مخـارق, عـن طـارق, قال: أوطأ أربد ضبّـا فقتله وهو مـحرم, فأتـى عمر لـيحكم علـيه, فق ال لـه عمر: احكم معي فحكما فـيه جديا قد جمع الــماء والشـجر, ثـم قـال عمـر: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.

9890ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أصاب صيدا, فأتـى ابن عمر فسأله عن ذلك وعنده عبد الله بن صـفوان, فقـال ابـن عمـر لابـن صفوان: إما إن أقول فتصدّقني, وإما أن تقول فأصدّقك فقال ابن صـفوان: بل أنت فقل فقال ابن عمر, ووافقه علـى ذلك عبد الله بن صفوان.

9891ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا هشام, عـن ابـن سيرين, عن شريح, أنه قال: لو وجـدت حكمـا عـدلاً لــحكمت فــي الثعلـب جديا, وجديٌ أحبّ إلـيّ من الثعلب.

9892ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن بكير, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبـي مـجلز: أن رجلاً سأل ابن عمر عن رجـل أصـاب صـيدا وهـو مـحرم, وعنده ابن صفوان, فقال له ابـن عمـر: إمـا أن تقـول فأصـدّقك, أو أقول فتصدّقنـي قال: قل وأصدّقك.

9893ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا شـعبة, عـن منصور, عن أبـي وائل, قال: أخبرنـي ابن جرير البجلـي, قال: أصبت ظبــيا وأنا مـحرم, فذكرت ذلك لعمر, فقال: ائـت رجلــين مـن إخوانـك فلــيحكما علـيك فأتـيت عبد الرحمن وسعدا, فحكما علـيّ تـيسا أعفر. قال أبو جعفـر: الأعفر: الأبـيض.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور بإسناده عن عمر, مثله.

9894ـ حدثنا عبد الـحميد, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن أشعث بن سوار, عن ابن سيرين, قال: كان رجل علـى ناقة وهو مـحرم, فأبصر ظبــيا يأوي إلـى أكمة, فقال: لأنظرْ أنا أسـبق إلــى هـذه الأكمـة أم هـذا الظبــي؟ فوقعت عنز من الظبـاء تـحت قوائم ناقته فقتلتها. فأتـى عمـر, فـذكر ذلـك له, فحكم علـيه هو وابن عوف عنزا عفراء. قال: وهي البيضاء.

9895ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علــية, قـال: أخبرنـا أيـوب, عـن مـحمد: أن رجلاً أوطأ ظبـيا وهو مـحرم. فأتــى عمـر فـذكر ذلـك لـه وإلــى جنبه عبد الرحمن بن عوف, فأقبـل علــى عبـد الرحمـن فكلــمه, ثـم أقبـل علـى الرجل, فقال: أهد عنزا عفراء

9896ـ حدثنـي يعقوب, قـال: حـدثنا هشيــم, قـال: أخبرنـا مغيـرة, عـن إبراهيـم أنـه كـان يقـول: مـا أص اب الـمــحرم مـن شـيء لــم يــمض فــيه حكومة, استقبل به, فـيحكم فـيه ذوا عدل.

9897ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: ثنـي وهب بن جريـر, قـال: حـدثنا شعبة, عن يعلـي, عن عمرو بن حبشي قال: سمعت رجلاً يسـأل عبـد اللـه بن عمر عن رجل أصاب ولد أرنب فقال: فـيه ولد ماعز فـيــما أرى أنـا. ثـم قال لـي: أكذاك؟ فقلت: أنت أعلـم منـي. فقال: قال الله تعالـى: يَحْكُمُ بِـهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.

9898ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, وسهل بن يوسف, عن حميد, عن بكر: أن رجلـين أبصرا ظبـيا وهما مـحرمان, فتراهنا, وجعـل كـل واحد منهما لـمن سبق إلـيه. فسبق إلـيه أحدهما, فرماه بعصاه فقتله. فلـما قدما مكة, أتـيا عمر يختصمان إلـيه وعنده عبـد الرحمـن بـن عـوف. فـذكرا ذلك له, فقال عمر: هذا قمار, ولا أجيزه ثم نظر إلـى عبـد الرحمـن, فقـال: ما ترى؟ قال: شاة. فقال عمر: وأنا أرى ذلك. فلـما قـفّـى الرجلان من عند عمر, قال أحدهما لصاحبه: ما درى عمر ما يقول حتـى سأل الرجل فردّهمـا عمر فقال: إن الله تعالـى لـم يرض بعمر وحـده فقـال: يَحْكُـمُ بِـهِ ذَوَا عَـدْلٍ مِنْكُمْ وأنا عمر, وهذا عبد الرحمن بن عوف.

وقال آخرون: بل ينظر العدلان إلـى الصـيد الـمقتول فـيقوّمانه قـيـمته دراهم, ثم يأمران أن يشتري بـذلك مـن النعـم هـديا. فـالـحاكمان يحكمـان فـي قول هؤلاء بـالقـيـمة, وإنـما يحتاج إلـيهما لتقويـم الصـيد قـيـمته فـي الـموضع الذي أصابه فـيه. وقد ذكرنا عن إبراهيـم النـخعي فـيـما مضى قبل أنه كان يقول: ما أصاب الـمـحرم من شيء حكـم فـيه قـيـمته, وهـو قـول جماعة من متفقهة الكوفـيـين.

وأما قوله: هَدْيا فإنه مصدر علـى الـحال من الهاء التـي فـي قوله: يَحْكُـمُ بِهِ, وقوله: بـالِغَ الكَعْبَةِ من نعت الهدي وصفته. وإنـما جاز أن ينعت بـه وهـو مضاف إلـى معرفة, لأنه فـي معنـى النكـرة, وذلـك أن معنـى قـوله: بـالِغَ الكَعْبَـةِ يبلـغ الكعبـة, فهـو وإن كـان مضافـا فمعنـاه التنـوين, لأنـه بـمعنى الاستقبـال, وهـو نظيـر قـوله: هَـذَا عـارِضٌ مُـمْطِرُنا فوصـف بقـوله: «مـمطرنا» عارضـا, لأن فـي «مـمطرنا» معنـى التنـوين, لأن تأويـله الاستقبـال, فمعناه: هذا عارض يـمطرنا, فكذلك ذلك فـي قوله: هَـدْيا بـالِغَ الكَعْبَةِ.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: أوْ كَفّـارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ.

يقول تعالـى ذكره: أو علـيه كفـارة طعام مسـاكين. والكفّـارة معطوفـة علـى «الـجزاء» فـي قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ.

واختلف القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهلَ الـمدينة: أوْ كَفّـارَةٌ طعَامِ مسَاكِينَ بـالإضافة. وأما قرّاء أهل العراق, فـإن عـامتهم قـرءوا ذلـك بتنوين الكفّـارة ورفع الطعام: أوْ كَفّـارةٌ طعَامُ مسَاكِينَ.

وأولـى القراءتـين فـي ذلك عندنا بـالصواب, قراءة من قرأ بتنوين الكفـارة ورفع الطعام, للعلة التـي ذكرناها فـي قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ.

واختلف أهل التأويـل فـي معنى قـوله: أوْ كَفّـارَةٌ طعَـامُ مسَـاكِينَ فقـال بعضهم: معنى ذلك أن القاتل وهو مـحرم صيدا عمـدا, لا يخـلو مـن وجـوب بعض هذه الأشياء الثلاثة التـي ذكر الله تعالـى من مثل الـمقتول هـديا بـالغ الكعبة, أو طعام مسكين كفّـارة لـما فعل, أو عدل ذلـك صـياما, لأنـه مخيـر فـي أيّ ذلك شاء فعل, وأنه بأيها كان كفر فقد أدّى الواجب علـيه وإنـما ذلك إعلام من الله تعالـى عبـاده أن قاتل ذلك كما وصـف لـن يخـرج حكمـه مـن إحدى الـخلال الثلاثة. قالوا: فحكمـه إن كـان علـى الـمثل قـادرا أن يحكـم علـيه بـمثل الـمقتول من النعـم, لا يجزيـه غيـر ذلـك مـا دام للـمثل واجـدا. قالوا: فإن لـم يكن له واجدا, أو لـم يكن للـمقتول مثل من النعم, فكفّـارته حينئذٍ إطعام مساكين. ذكر من قال ذلك:

9899ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَم يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيا بَالِغَ الكَعْبَةِ أو كَفّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما لِيَذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ قال: إذ قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه, فإن قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة. فإن لم يجدها, فإطعام ستة مساكين. فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. وإن قتل أيلاً أو نحوه, فعليه بقرة. فإن لم يجد, أطعم عشرين مسكينا, فإن لم يجد صام عشرين يوما. وإن قتل نعامة أو حمار أو وحش أو نحوه, فعليه بدنة من الإبل. فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا, فإن لم يجد صام ثلاثين يوما. والطعام مدّ مدّ بشبعهم.

9900ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: النبي صلى الله عليه وسلم يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ... إلى قوله: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ فالكفّارة من قتل ما دون الأرنب إطعام.

9901ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن الحكم, عن ابن عباس, قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم, فإن وجد جزاء ذبحه فتصدّق به, وإن لم يجد جزاءه قوّم الجزاء دراهم, ثم قوّمت الدراهم حنطة, ثم صام مكان كلّ صاع يوما. قال: إنما أريد بالطعام: الصوم, فإذا وجد جزاء.

9902ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن زهير, عن جابر, عن عطاء ومجاهد وعامر: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاما لِيَذُوقَ قال: إنما الطعام لمن لم يجد الهدي.

9903ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم أنه كان يقول: إذا أصاب المحرم شيئا من الصيد عليه جزاؤه من النعم, فإن لم يجد قُوّم الجزاء دراهم, ثم قوّمت الدراهم طعاما, ثم صام لكلّ نصف صاع يوما.

9904ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن حماد, قال: إذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه, فإن فضل منه ما لا يتمّ نصف صاع صام له يوما, ولا يكون الصوم إلا على من لم يجد ثمن هدي فيحكم عليه الطعام. فإن لم يكن عنده طعام يتصدّق به, حكم عليه الصوم, فصام مكان كلّ نصف صاع يوما. كَفّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ قال: فيما لا يبلغ ثمن هدي. أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما من الجزاء إذا لم يجد ما يشتري به هديا, أو ما يتصدّق به, مما لا يبلغ ثمن هدي, حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوما.

9905ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قال مجاهد: ومَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَم قال: عليه من النعم مثله هديا بالغ الكعبة, ومن لم يجد ابتاع بقيمته طعاما, فيطعم كلّ مسكين مدّين, فإن لم يجد صام عن كلّ مدّين يوما.

9906ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا... إلى قوله: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ قال: إذ قتل صيدا فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم, فإن لم يجد ما حكم عليه قوّم الفداء كم هو درهما, وقدّر ثمن ذلك بالطعام

على المسكين, فصام عن كلّ مسكين يوما, ولا يحلّ طعام المسكين, لأن من وجد الطعام مسكين فهو يجد الفداء.

9907ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ابن جريج, قال: قال لي الحسن بن مسلم: من أصاب الصيد مما جزاؤه شاة, فذلك الذي قال الله تعالى: فَجَزَاءٌ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ وما كان من كفّارة طعام مساكين مثل العصفورة يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدي أو عدْلُ ذلك صِيَاما قال عدل النعامة أو العصفور, أو عدل ذلك كله. فذكرت ذلك لعطاء, فقال: كلّ شيء في القرآن «أو أو», فلصاحبه أن يختار ما شاء.

9908ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا سفيان بن حسين, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس, في قوله لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ فإن لم يجد جزاء, قوّم عليه الجزاء طعاما ثم صاع لكلّ صاع يومين,

وقَال آخرون: معنى ذلك: أن للقاتل صيدا عمدا وهو محرم, الخيار بين إحدى الكفّارات الثلاث وهي الجزاء بمثله من النعم والطعام والصوم. قالوا: وإنما تأويل قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ أوْ كَفّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما فعليه أن يجزي بمثله من النعم, أو يكفّر بإطعام مساكين أو بعدل الطعام من الصيام. ذكر من قال ذلك:

9909ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, عن عطاء, في قول الله تعالى: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيا بالِغَ الكَعْبَة أوْ كَفّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما قال: إن أصاب إنسان محرم نعامة, فإن له أن كان ذا يسار أن يهدي ما شاء جزورا أو عدلها طعاما أو عدلها صياما. قال: كلّ شيء في القرآن «أو أو», فليختر منه صاحبه ما شاء.

9910ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء, في قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ قال: ما كان في القرآن «أو كذا أو كذا», فصاحبه فيه بالخيار, أيّ ذلك شاء فعل.

9911ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أسباط وعبد اوعلى, عن داود, عن عكرمة, قال: ما كان في القرآن «أو أو», فهو فيه بالخيار, وما كان «فمن لم يجد» فالأوّل, ثم الذي يليه.

9912ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن عمرو, عن الحسن, مثله.

9913ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا ليث, عن عطاء ومجاهد, أنهما قالا في قوله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ قالا: ما كان في القرآن «أو كذا أو كذا», فصاحبه فيه بالخيار أي ذلك شاء فعل.

9914ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك: ما كان في القرآن «أو كذا أو كذا», فصاحبه فيه بالخيار, أيّ ذلك شاء فعل.

9915ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو حمزة, عن الحسن. قال: وأخبرنا عبيدة, عن إبراهيم قالا: كلّ شيء في القرآن «أو أو», فهو بالخيار, أيّ ذلك شاء فعل.

9916ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا حفص, عن ليث, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: كل شيء في القرآن «أو أو» فصاحبه مخير فيه, وكلّ شيء فمن لم يجد فالأول, ثم الذي يليه.

واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة في صفة اللازم له من التكفير بالإطعام والصوم إذا اختار الكفّارة بأحدهما دون الهدي, فقال بعضهم: إذا اختار التكفير بذلك, فأن الواجب عليه أن يقوّم المثل من النعم طعاما, ثم يصوم مكان كلّ مدّ يوما. ذكر من قال ذلك:

9917ـ حدثنا هناد, قال: أخبرنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: ما أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما؟ قال: إن أصاب ما عدله شاة أقيمت الشاة طعاما, ثم جعل مكان كلّ مدّ يوما يصومه.

وقال آخرون: بل الواجب عليه إذا أراد التكفير بالإطعام أو الصوم, أن يقوّم الصيد المقتول طعاما, ثم يتصدق بالطعام إن اختار الصدقة, وإن اختار الصوم صام.

ثم اختلفوا أيضا في الصوم, فقال بعضهم: يصوم لكلّ مدّ يوما. وقال آخرون: يصوم مكان كلّ نصف صاع يوما. وقال آخرون: يصوم مكان كلّ صاع يوما.

ذكر من قال: المتقوّم للإطعام هو الصيد المقتول:

9918ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ... الآية, قال: كان قتادة يقول: يحكمان في النعم, فإن كان ليس صيده ما يبلغ ذلك, نظروا ثمنه فقوّموه طعاما, ثم صام مكان كلّ صاع يومين.

وقال آخرون: لا معنى للتكفير بالإطعام, لأن من وجد سبيلاً إلى التكفير بالإطعام, فهو واجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً, ومن وجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً لم يجزه التكفير بغيره. قالوا: وإنما ذكر الله تعالى ذكره الكفّارة بالإطعام في هذا الموضع ليدلّ على صفة التكفير بالصوم لا أنه جعل التكفير بالإطعام إحدى الكفّارات التي يكفر بها قتل الصيد, وقد ذكرناه تأويل ذلك فيما مضى قبل.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في قوله الله تعالى: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ أن يكون مرادا به: فعلى قاتله متعمدا مثل الذي قتل من النعم, لا القيمة إن اختار أن يجزيه بالمثل من النعم وذلك أن القيمة إنما هي من الدنانير أو الدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل, والله تعالى إنما أوجب الجزاء مثلاً من النعم.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في قوله: أوْ كَفّارَةٌ طعَامُ مسَاكِينَ أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما: أن يكون تخييرا, وأن يكون للقاتل الخيار في تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأيّ هذه الكفارات الثلاث شاء, لأن الله تعالى جعل ما أوجب في قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله, وتكفيرا لذنبه في إتلافه ما أتلف من الصيد الذي كان حراما عليه إتلافه في حال إحرامه, وقد كان حلالاً له قبل حال إحرامه, كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك في حلق الشعر الذي حلقه المحرم في حال إحرامه, وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه, ثم منع من حلقه في حال إحرامه نظير الصيد, ثم جعل عليه إن حلقه جزاء من حلقه إياه, فأجمع الجميع على أنه في حلقه إياه إذا حلقه من إيذائه مخير في تكفيره, فعليه ذلك بأيّ الكفارات الثلاث شاء, فمثله إن شاء الله قاتل الصيد من المحرمين, وأنه مخير في تكفيره قتله الصيد بأيّ الكفارات الثلاث شاء, لا فرق بين ذلك.

ومن أبى ما قلنا فيه, قيل له: حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم, أو كفّارة طعام مساكين, أو عدله صياما, كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك, فزعمت أن أحدهما مخير في تكفير ما جعل منه, عوض بأيّ الثلاث شاء, وأنكرت أن يكون ذلك للآخر, فهل بينك وبين من عكس عليك الأمر في ذلك فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير؟ فلن يقول في أحدهما قولاً, إلا ألزم في الآخر مثله.

ثم اختلفوا في صفة التقويم إذا أراد التكفير بالإطعام, فقال بعضهم: يقوّم الصيد قيمته بالموضع الذي أصابه فيه, وهو قول إبراهيم النخعي, وحماد, وأبي حنيفة, وأبي يوسف, ومحمد, وقد ذكرت الرواية عن إبراهيم وحماد فيما مضى بما يدلّ على ذلك, وهو نصّ قول أبي حنيفة وأصحابه.

وقال آخرون: بل يقوّم ذلك بسعر الأرض التي يكفّر بها. ذكر من قال ذلك:

9919ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال في محرم أصاب صيدا بخراسان, قال: يكفّر بمكة أو بمنى, وقال: يقوّم الطعام بسعر الأرض التي يكفّر بها.

9920ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو يمان, عن إسرائيل, عن جابر, عن الشعبي, في رجل أصاب صيدا بخراسان, قال: يحكم عليه بمكة.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن قاتل الصيد إذا جزاه بمثله من النعم, فإنما يجزيه بنظيره في خلق وقدره في جسمه من أقرب الأشياء به شبها من الأنعام, فإنْ جزاه بالإطعام قوّمه قيمته بموضعه الذي أصابه فيه, لأنه هنالك وجب عليه التكفير بالإطعام, ثم إن شاء أطعم بالموضع الذي أصابه فيه وإن شاء بمكة وإن شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء لأن الله تعالى إنما شرط بلوغ الكعبة بالهدي في قتل الصيد دون غيره من جزائه, فللجازي بغير الهدى أن يجزيه بالإطعام والصوم حيث شاء من الأرض.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم. ذكر من قال ذلك:

9921ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: حدثنا ابن أبي عروبة, عن أبي معشر, عن إبراهيم قال: ما كان من دم فبمكة, وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء.

وقد خالف ذلك مخالفون, فقالوا: لا يجزىء الهدى والإطعام إلا بمكة, فأما الصوم فإن كفر به يصوم حيث شاء من الأرض. ذكر من قال ذلك:

9922ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن حماد بن سلمة, عن قيس بن سعد, عن عطاء, قال: الدم والطعام بمكة, والصيام حيث شاء.

9923ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مالك بن مغول, عن عطاء, قال: كفّارة الحجّ بمكة.

9924ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ابن جريج, قال: قلت: لعطاء: أين يتصدّق بالطعام إن بدا له؟ قال: بمكة من أجل أنه بمنزله الهدي, قال: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ أوْ هَدْيا بالِغَ الكَعْبَةِ من أجل أنه أصابه في حرم يريد البيت فجزاؤه عند البيت.

فأما الهدي, فإنه جزّاء ما قتل من الصيد, فلن يجزئه من كفّـارة ما قتل من ذلك إلا أن يبلغه الكعبة طيبـا, وينـحره أو يذبحه, ويتصدّق به علـى مسـاكين الـحرم. ويعنـي بـالكعبة فـي هذا الـموضع: الـحرم كله, ولـمن قـدم بهديـة الواجب من جزاء الصيد أن ينـحره فـي كلّ وقت شاء قبل يوم النـحر وبعده, ويطعمه وكذلك إن كفّر بـالطعام فله أن يكفّر به متـى أحـبّ وحيـث أحـبّ, وإن كفّر بـالصوم فكذلك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل, خلا ما ذكرنا من اختلافهم فـي التكفـير بـالإطعام علـى ما قد بـينا فيـما مضى. ذكر من قال ذلك:

9925ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما هل لصيامه وقت؟ قـال: لا, إذ شـاء وحيـث شاء, وتعجيـله أحبّ إلـيّ.

9926ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: رجل أصاب صيدا فـي الـحجّ أو العمـرة, فأرسـل بجزائـه إلـى الـحرم فـي الـمـحرّم أو غيره من الشهور, أيجزىء عنه؟ قال: نعم ثـم قـرأ: هَدْيا بـالِغَ الكَعْبَةِ قال هناد: قال يحيى: وبه نأخذ.

9927ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج وابن أبـي سليـم, عن عطاء, قال: إذا قدمت مكة بجزاء صيد فـانـحره, فإن الله تعالـى يقول: هَدْيا بـالِغَ الكَعْبَةِ إلا أن يقدّم فـي العشـر, فـيؤخر إلـى يـوم النـحر.

9928ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبـي زائدة, قال: حدثنا ابن جريج, عن عطاء, قال: يتصدّق الذي يصيب الصيد بـمكة, فإن الله تعالـى يقـول: هـدْيا بـالِغَ الكَعْبَةِ.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما.

يعنـي تعالـى ذكـره بـذلك: أو علـى قاتـل الصيد مـحرما عـدل الصيد الـمقتول من الصيام, وذلـك أن يقـوّم الصيد حيّـا غيـر مقتـول مـن الطعـام بـالـموضع الذي قتله فـيه الـمحرم, ثم يصوم مكان كـلّ مـدّ يومـا وذلـك أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم عدل الـمدّ من الطعام بصوم يـوم فـي كفّـارة الـمواقع فـي شهر رمضان.

فإن قال قائل: فهلاّ جعلت مكان كلّ صـاع فـي جـزاء الصيد صـوم يـوم قـياسا علـى حكم النبـي صلى الله عليـه وسـلم فـي نظيـره, وذلـك حكمـه علـى كعب بن عجرة, إذ أمره أن يطعم إن كفر بـالإطعام فَرْقـا مـن طعـام وذلك ثلاثة آصع بـين ستة مساكين, فإن كفّر بـالصيام أن يصـوم ثلاثـة أيـام, فجعـل الأيـام الثلاثـة فـي الصـوم عـدلاً مـن إطعـام ثلاثـة آصـع, فـإن ذلـك بـالكفـارة فـي جـزاء الصيد أشـبه مـن الكفـارة فـي قتـل الصيد بكفـارة الـمواقع امرأته فـي شهر رمضان؟ قـيـل: إن القـياس إنـما هـو ردّ الفـروع الـمختلف فـيها إلـى نظائرها من الأصـول الـمـجمع علـيها, ولا خلاف بـين الـجميع من الـحجة, أنه لا يجزىء مكفرّا كفّر فـي قتـل الصيد بـالصوم, أن يعدل صوم يوم بصاع طعام. فإن كان ذلـك, وكـان غيـر جـائز خلافهـا فـيـما حدّث به من الدين مـجمعة علـيه صحّ بذلك أن حكم معادلـة الصـوم الطعـام فـي قتل الصيد مخالف حكم معادلته إياه فـي كفّـارة الـحلق, إذا كـان غيـر جائز, وداخـل علـى آخر قـياسا وإنـما يجوز أن يقـاس الفـرع علـى الأصـل, وسواء قال قائل: هلا رددت حكم الصوم فـي كفّـارة قتل الصيد علـى حكمه

في حلق الأذى فيما يعدل به من الطعام وآخر قال: هلا رددت حكم الصوم في الحلق على حكمه في كفّارة قتل الصيد فيما يعدل به من الطعام, فتوجب عليه مكان كل مدّ, أو مكان كل نصف صاع صوم يوم.

وقد بينا فيما مضى قبل أن العَدْل في كلام العرب بالفتح, وهو قدر الشيء من غير جنسه, وأن العِدْل هو قدره من جنسه. وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: العَدْل مصدر من قول القائل: عَدَلْت بهذا عَدْلاً حسنا. قال: والعَدْل أيضا بالفتح: المثل, ولكنهم فرّقوا بين العدل في هذا وبين عِدْل المتاع, بأن كسروا العين من عِدْل المتاع, وفتحوها من قولهم: وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وقول الله عزّ وجلّ: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما كما قالوا: امرأة رزان, وحَجَر رزين.

وقال بعضهم: العَدْل: هو القسط في الحقّ, والعِدْل بالكسر: المثل, وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى. وأما نصب «الصيام» فأنه على التفسير كما يقال عندي ملء زقّ سمنا, وقدر رطل عسلاً.

وينحو الذي قلنا ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

9929ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: ما عَدل ذلك صياما؟ قال: عَدْل الطعام من الصيام. قال: لكلّ يوما يؤخذ زعم بصيام رمضان وبالظهار. وزعم أن ذلك رأى يراه ولم يسمعه من أحد, ولم تمض به سنة. قال: ثم عاودته بعد ذلك بحين, قلت: ما عدل ذلك صياما؟ قال: إن أصاب ما عدله شاة, قوّمت طعاما ثم صام مكان كلّ مدّ يوما. قال: ولم أسأله: هذا رأي أو سنة مسنونة؟

9930ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله عزّ وجلّ: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما قال: بصوم ثلاثة أيام, إلى عشرة أيام.

9931ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن حماد: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما من الجزاء إذا لم يجد ما يشتري به هديا أو ما يتصدّق به مما لا يبلغ ثمن هدي, حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوما.

9932ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن علي بنأبي طلحة, عن ابن عباس: أوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما قال: إذ قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه, فإن قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة, فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين, فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. وإن قتل أيّلاً أو نحوه فعليه بقرة, فإن لم يجد أطعم عشرين مسكينا, فإن لم يجد صام عشرين يوما وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه, فعليه بدنة من الإبل, فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا, فإن لم يجد صام ثلاثين يوما, والطعام مدّ مدّ يشبعهم.

9933ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن سعيد, المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية شاة, أو البقرة أو البدنة, فإن لم يجد فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة؟ قال: ثمن ذلك فإن لم يجد ثمنه قوّم ثمنه طعاما يتصدّق به لكلّ مسكين مدّ, ثم يصوم لكلّ مدّ يوما.

القول في تأويل قوله تعالى: لِيَذُوقَ وَبَالَ أمْرِهِ.

يقول جلّ ثناؤه: أوجبت على قاتل الصيد محرما ما أوجبت من الحقّ أو الكفّارة الذي ذكرت في هذه الآية, كي يذوق وبال أمره وعذابه, يعني

«بأمره»: ذنبه وفعله الذي فعله من قتله ما نهاه الله عزّ وجلّ عن قتله في حال أحرامه يقول: فألزمته الكفّارة التي ألزمته إياها, لأذيقه عقوبة ذنبه بإلزامه الغرامة, والعمل ببدنه مما يتعبه ويشقّ عليه. وأصل الوبال: الشدّة في المكروه. ومنه قول الله: فَعَصى فِرْعَوْنُ الرّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذا وَبِيلاً.

وقد بين تعالى ذكره بقوله: لِيَذُوقَ وَبَالَ أمْرِهِ أن الكفّارات اللازمة الأموال والأبدان عقوبات منه لخلقه, وإن كانت تمحيصا لهم, وكفّارة لذنوبهم التي كفرّوها بها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

9934ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: أما وَبال أمره, فعقوبة أمره.

القول في تأويل قوله تعالى: عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ.

يقول جلّ ثناؤه لعباده المؤمنين به ورسوله صلى الله عليه وسلم: عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم في جاهليتكم من إصابتكم الصيد وأنتم حرم وقتلكموه, فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه إياه عليكم, ولا يلزمكم له كفّارة في مال ولا نفس, ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذي يقتله في حال كفره وقبل تحريمه عليه من استحلاله قتله, فينتقم الله منه.

وقد يحتمل أن يكون ذلك في معناه: من عاد لقتله بعد تحريمه في الإسلام فينتقم الله منه في الآخرة, فأما في الدنيا فإن عليه من الجزاء والكفّارة فيها ما بينت.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

9935ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: ما عَفَا اللّهُ عمّا سَلَفَ؟ قال: عما كان في الجاهلية, قال: قلت: وما وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ؟ قال: من عاد في الإسلام, فينتقم الله منه, وعليه مع ذلك الكفّارة.

9936ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء, فذكر نحوه, وزاد فيه, وقال: وإن عاد فقتل عليه الكفّارة. قلت: هل في العود من حدّ العلم؟ قال: لا, قلت: فترى حقا على الإمام أن يعاقبه؟ قال: هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله, ولكن يفتدي.

حدثنا سفيان, قال: حدثنا محمد بن بكر, وأبو خالد, عن ابن جريج, عن عطاء: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ قال: في الإسلام, وعليه مع ذلك الكفّارة, قلت: عليه من الإمام عقوبة؟ قال: لا.

حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء: عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ عما كان في الجاهلية, وَمَنْ عادَ قال: في الإسلام, فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وعليه الكفّارة. قال: قلت لعطاء: فعليه من الإمام عقوبة؟ قال: لا.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء, قال: يحكم عليه في الخطإ والعمد والنسيان وكلما

أصاب قال الله عزّ وجلّ: عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ قال: ما كان في الجاهلية, وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ مع الكفّارة. قال سفيان: قال ابن جريج: فقلت: أيعاقبه السلطان؟ قال: لا.

9937ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر وأبو خالد, عن ابن جريج, قال: قلت لعطاء: عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ؟ قال: عما كان في الجاهلية.

9938ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن عطاء بن أبي رباح, أنه قال: يحكم عليه كلما عاد.

9939ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قال: كلما أصاب المحرم الصيد ناسيا حكم عليه.

9940ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن منصور, عن إبراهيم, قال: كلما أصاب الصيد المحرم حكم عليه.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن عطاء, قال: من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه.

9941ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن داود بن أبي هند, عن سعيد بن جبير, قال: يحكم عليه فيخلع, أو يترك.

9942ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن سعيد بن جبير: الذي يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود؟ قال: يحكم عليه.

9943ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا كثير بن هشام, قال: حدثنا الفرات بن سلمان, عن عبد الكريم, عن عطاء, قال: يحكم عليه كلما عاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: عفا الله عما سلف منكم في ذلك في الجاهلية, ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه بإلزامه الكفّارة. ذكر من قال ذلك:

9944ـ حدثني ابن البرقي, قال: حدثنا عمرو, عن زهير, عن سعيد بن جبير وعطاء, في قول الله تعالى: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ قالا: ينتقم الله, يعني بالجزاء. عفا الله عَمّا سَلَفَ في الجاهلية.

وقال آخرون: في ذلك: عفا الله عما سلف مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلَ منكم الصيد حراما في أوّل مرّة, ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراما, فالله وليّ الانتقام منه دون كفّارة تلزمه لقتله إياه. ذكر من قال ذلك:

9945ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن ليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: من قتل شيئا من الصيد خطأ وهو محرم, حكم عليه فيه مرّة واحدة, فإن عاد يقال له: ينتقم الله منك, كما قال الله عزّ وجلّ.

9946ـ حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن هشام, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه, فإن عاد لم يحكم عليه, وكان ذلك إلى الله عزّ وجلّ, إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. ثم قرأ هذه الآية: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقام.

9947ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا داود, عن عامر, قال: جاء رجل إلى شريح, فقال: إني أصبت صيدا وأنا محرم. فقال: هل أصبت قبل ذلك شيئا؟ قال: لا. قال: لو قلت نعم وكلتك إلى

الله, يكون هو ينتقم منك, إنه عزيز ذو انتقام قال داود: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير, فقال: بل يحكم عليه, أو يخلع.

9948ـ حدثني أبو السائب وعمرو بن عليّ, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: إذا أصاب الرجل الصيد وهو محرم, وقيل له أصبت صيدا مثل هذا؟ قال: فإن قال: نعم, قيل له: اذهب, فينتقم الله منك وإن قال لا, حكم عليه.

9949ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن إبراهيم في الذي يقتل الصيد, ثم يعود, قال: كانوا يقولون: من عاد لا يحكم عليه, أمره إلى الله عزّ وجلّ.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا ابن عيينة, عن داود بن أبي هند, عن الشعبي: أن رجلاً أتى شريحا, فقال: أصبت صيدا. قال: أصبت قبله صيدا؟ قال: لا, قال: أما إنك لو قلت نعم, لم أحكم عليك.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: حدثنا داود, عن الشعبيّ, عن شريح, مثله.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن الأشعث, عن محمد, عن شريح في الذي يصيب الصيد, قال: يحكم عليه, فإن عاد انتقم الله منه.

9950ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن عنبسة, عن سالم, عن سعيد بن جبير: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْقال: يحكم عليه في العمد مرّة واحدة, فإن عاد لَم يحكم عليه وقيل له: اذهب ينتقم الله منك, ويحكم عليه في الخطأ أبدا.

9951ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن خصيف, عن سعيد بن جبير, قال: رخص في قتل الصيد مرّة, فمن عاد لم يدعه الله تعالى حتى ينتقم منه.

حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن خصيف, عن سعيد بن جبير, مثله.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عديّ جميعا, عن هشام, عن عكرمة, عن ابن عباس, فيمن أصاب صيدا, فحكم عليه, ثم عاد, قال: لا يحكم, ينتقم الله منه.

9952ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنما قال الله عزّ وجلّ: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا يقول: متعمدا لقتله ناسيا لإحرامه, فذلك الذي يحكم عليه, فإن عاد لا يحكم عليه, وقيل له: ينتقم الله منك.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا كثير بن هشام, قال: حدثنا الفرات بن سلمان, عن عبد الكريم, عن مجاهد: إن عاد لم يحكم عليه, وقيل له: ينتقم الله منك.

9953ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا الأشعث, عن الحسن في الذي يصيب الصيد, فيحكم عليه ثم يعود, قال: لا يحكم عليه.

وقال آخرون: معنى ذلك: عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم, ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه عالما بتحريمه ذلك عليه, عامدا لقتله, ذاكرا لإحرامه, فإن الله هو

المنتقم منه, ولا كفّارة لذنبه ذلك, ولا جزاء يلزمه له في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

9954ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ قال: من عاد بعد نهي الله بعد أن يعرف أنه محرّم وأنه ذاكر لُحْرمِه لمْ ينبغ لأحد أن يحكم عليه, ووكلوه إلى نقمة الله عزّ وجلّ. فأما الذي يتعمد قتل الصيد وهو ناس لحرمه, أو جاهل أن قتله محرّم, فهؤلاء الذين يحكم عليهم. فأما من قتله متعمدا بعد نهي الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام, فذلك يوكل إلى نقمة الله, فذلك الذي جعل الله عليه النقمة. وهذا شبيه بقول مجاهد الذي ذكرناه قبل.

وقال آخرون: عُني بذلك شخص بعينه. ذكر من قال ذلك:

9955ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, قال: حدثنا زيد أبو المعلى: أن رجلاً أصاب صيدا وهو محرم, فُتُجوّز له عنه. ثم عاد, فأرسل الله عليه نارا فأحرقته, فذلك قوله: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ قال: في الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا, قول من قال: معناه: ومن عاد في الإسلام لقتله بعد نهي الله تعالى عنه, فينتقم الله منه, وعليه مع ذلك الكفّارة, لأن الله عز وجل إذ أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا, وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمدًا ما أوجب من الجزاء أو الكفّارة بقوله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ أنه قد أزال عنه الكفّارة في المرّة الثانية والثالثة, بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدا, ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد, ولم يقل: ولا كفّارة عليه في الدنيا.

فإن ظنّ ظانّ أن الكفّارة مزيلة للعقاب, ولو كانت الكفّارة لازمة له في الدنيا لبطل العقاب في الآخرة, فقد ظنّ خطأ. وذلك أن الله عزّ وجلّ أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء, وأحبّ فيزيد في عقوبته على بعض معاصيه مما ينقص من بعض, وينقص من بعض مما يزيد في بعض, كالذي فعل من ذلك في مخالفته بين عقوبته الزاني البكر والزاني الثيب المحصن, وبين سارق ربع دينار وبين سارق أقلّ من ذلك فكذلك خالف بين عقوبته قاتل الصيد من المحرمين عمدا ابتداء وبين عقوبته عودا بعد بدء, فأوجب على البادىء المثل من النعم, أو الكفّارة بالإطعام, أو العدل من الصيام, وجعل ذلك عقوبة جرمه بقوله: لِيذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ وجعل على العائد بعد البدء, وزاده من عقوبته ما أخبر عباده أنه فاعل من الانتقام تغليظا منه للعود بعد البدء. ولو كانت عقوباته على الأشياء متفقة, لوجب أن لا يكون حدّ في شيء مخالفا حدّا في غيره, ولا عقاب في الآخرة أغلظ من عقاب, وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان. وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك: ومن عاد في الإسلام بعد نهي الله عن قتله لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليتهم, فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم, وذلك قتله على استحلال قتله. قال: فأما إذا قتله على غير ذلك الوجه, وذلك أن يقتله على وجه الفسوق لا على وجه الاستحلال, فعليه الجزاء والكفّارة كلما عاد. وهذا قول لا نعلم قائلاً قاله من أهل التأويل, وكفي خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم لو

لم يكن على خطئه دلالة سواه, فكيف وظاهر التنزيل ينبىء عن فساده؟ وذلك أن الله عمّ بقوله: وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ كل عائد لقتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أوّل الآية, ولم يخصّ به عائدا منهم دون عائد, فمن ادّعي في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له.

وأما من زعم أن معنى ذلك: ومن عاد في قتله متعمدا بعد بدء لقتل تقدّم منه في حال إحرامه فينتقم الله منه, فإن معنى قوله: عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ إنما هو: عفا عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدءا, فإن في قول الله تعالى: لِيَذُوقَ وَبالَ أمْرِهِ دليلاً واضحا على أن القول في ذلك غير ما قال لأن العفو عن الجرم ترك المؤاخذة به, ومن أذيق وبال جرمه فقد عوقب به, وغير جائز أن يقال لمن عوقب قد عفي عنه, وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين في أوّل مرّة قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفّارة, وعفي له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عزّ وجلّ أن يعاقبه به؟ قيل له: فإن كان ذلك جائزا أن يكون تأويل الآية عندك وإن كان مخالفا لقول أهل التأويل, فما ينكر أن يكون الانتقام الذي أوعده الله على العود بعد البدء, هو تلك الزيادة التي عفاها عنه في أوّل مرّة مما كان له فعله به مع الذي أذاقه من وبال أمره, فيذيقه في عوده بعد البدء وبال أمره الذي أذاقه المرّة الأولى, ويترك عفوه عما عفا عنه في البدء, فيؤاخذه به؟ فلم يقل في ذلك شيئا إلا ألزم في الآخر مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ.

يقول عزّ وجلّ: والله منيع في سلطانه, لا يقهره قاهر, ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه, ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع, لأن الخلق خلقه, والأمر أمره, له العزّة والمنعة. وأما قوله: ذُو انتِقام فإنه يعني به: معاقبته لمن عصاه على معصيته إياه.

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى: {أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لّكُمْ وَلِلسّيّارَةِ وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: أُحِلّ لَكُمْ أيها المؤمنون صَيْدُ البَحْرِ وهو ما صيد طريّا. كما:

9956ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عمر بن أبي سلمة, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: قال عمر بن الخطاب في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: صَيْدُه: ما صِيدَ منه.

9957ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن سماك, قال: حُدثت, عن ابن عباس, قال: خطب أبو بكر الناس, فقال: أحلّ لكم صيد البحر. قال: فَصْيدُه: ما أخذ.

9958ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: صيده: ما صيد منه.

9959ـ حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي, قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: صَيْدهُ الطريّ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الهذيل بن بلال, قال: حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير, عن ابن عباس, في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: صَيْدُه: ما صِيدَ.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: الطريّ.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الحسن بن عليّ الجعفي أو الحسين, شكّ أبو جعفر عن الحكم بن أبان, عن عكرمة, قال: كان ابن عباس يقول: صيد البحر: ما اصطاده.
9960ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: الطري.
9961ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن الحجاج, عن العلاء بن بدر, عن أبي سلمة, قال: صيد البحر: ما صيد.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: الطريّ.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير مثله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: السمك الطريّ.
9962ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ أما صيد البحر: فهو السمك الطريّ, هي الحيتان.
9963ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن الزهري, عن سعيد بن المسيب, قال: صيده: ما اصطدته طريّا. قال معمر: وقال قتادة: صيده: ما اصطدته.
9964ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ قال: حيتانه.
9965ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا عمر بن أبي سلمة, قال: سئل سعيد عن صيد البحر, فقال: قال مكحول: قال زيد بن ثابت: صَيْدُه: ما اصطدتَ.
9966ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ قال: يصطاد المحرم والمحلّ من البحر, ويأكل من صيده.
9967ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عكرمة, قال: قال أبو بكر: طعام البحر: كلّ ما فيه. وقال جابر بن عبد الله: ما حصر عنه فكُلْ. وقال: كل ما فيه يعني: جميع ما صيد.

9968ـ حدثنا سعيد بن الربيع, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو, سمع عكرمة يقول: قال أبو بكر: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ قال: هو كل ما فيه.

وعنى بالبحر في هذا الموضع: الأنهار كلها والعرب تسمي الأنهار بحارا, كما قال تعالى ذكره: ظَهَرَ الفَسادُ في البَرّ والبَحْرِ.

فتأويل الكلام: أحلّ لكم أيها المؤمنون طريّ سمك الأنهار الذي صدتموه في حال حلكم وحرمكم, وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ثم رمي به إلى ساحله.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: وَطَعامُهُ فقال بعضهم: عُني بذلك: ما قذف به إلى ساحله ميتا, نحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

9969ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن سماك, قال: حدثت, عن ابن عباس, قال: خطب أبو بكر الناس, فقال: أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم, وطعامُه: ما قذف.

9970ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عمر بن أبي سلمة, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: كنت بالبحرين, فسألوني عما قذف البحر, قال: فأفتيتهم أن يأكلوا. فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه, ذكرت ذلك له, فقال لي: بم أفتيتهم؟ قال: قلت: أفتيتهم أن يأكلوا, قال: لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرّة. قال: ثم قال: إن الله تعالى قال في كتابه: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ فصيده: ما صيد منه, وطعامه: ما قذف.

9971ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ قال: طعامه: ما قذف.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سليمان التيمي, عن أبي مجلز, عن ابن عباس, في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ قال: طعامه: ما قذف.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن سليمان التيمي, عن أبي مجلز, عن ابن عباس, مثله.

9972ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسين بن عليّ, عن زائدة, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: طعامه: كلّ ما ألقاه البحر.

9973ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الحسن بن عليّ أو الحسين بن عليّ الجعفي, شكّ أبو جعفر عن الحكم بن أبان, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: طعامه: ما لفظ من ميتته.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الهذيل بن بلال, قال: حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير, عن ابن عباس: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ قال: طعامه: ما وجد على الساحل ميتا.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن سليمان التيمي, عن أبي مجلز, عن ابن عباس, قال: طعامه: ما قذف به.

9974ـ حدثنا سعيد بن الربيع, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو, سمع عكرمة يقول: قال أبو بكر رضي الله عنه: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: طعامه: هو كلّ ما فيه.

9975ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا الضحاك بن مخلد, عن ابن جريج, قال: أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس, قال: قال أبو بكر: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: طعامه: ميتته. قال عمرو: وسمع أبا الشعثاء يقول: ما كنت أحسب طعامه إلا مالحه.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: ثني الضحاك بن مخلد, عن ابن جريج, قال: أخبرني أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: طعامه: ميتته.

9976ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, عن عثمان, عن عكرمة: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: طعامه: ما قذف.

9977ـ حدثنا بن عبد الأعلى, قال: حدثنا معمر بن سليمان, قال: سمعت عبيد الله, عن نافع, قال: جاء عبد الرحمن إلى عبد الله, فقال: البحر قد ألقى حيتانا كثيرة؟ قال: فنهاه عن أكلها, ثم قال: يا نافع هات المصحف فأتيته به, فقرأ هذه الآية: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: قلت: طعامه: هو الذي ألقاه. قال: فألحقه, فمره بأكله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا أيوب, عن نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر, فقال: إن البحر قذف حيتانا كثيرة ميتة أفنأكلها؟ قال: لا تأكلوها فلما رجع عبد الله إلى أهله, أخذ المصحف, فقرأ سورة المائدة, فأتى على هذه الآية: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ قال: اذهب, فقل له: فليأكله, فإنه طعامه

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن نافع, عن ابن عمر, بنحوه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الضحاك بن مخلد, عن ابن جريج, قال: أخبرني عمرو بن دينار, عن عكرمة, مولى ابن عباس, قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: ميتته, قال عمرو: سمعت أبا الشعثاء يقول: ما كنت أحسب طعامه: إلا مالحه.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا الضحاك بن مخلد, عن ابن جريج, قال: أخبرنا نافع أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر, أميتة هي؟ قال: نعم فنهاه عنها. ثم دخل البيت, فدعا بالمصحف, فقرأ تلك الآية: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: طعامه: كل شيء أخرج منه فكُلْه فليس به بأس, وكل شيء فيه يؤكل ميتا أو بساحله.

9978ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, قال قتادة: طعامه: ما قذف منه.

9979ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد, عن ليث, عن شهر, عن أبي أيوب, قال: ما لفظ البحر فهو طعامه, وإن كان ميتا.

9980ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن ليث, عن شهر, قال: سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا قال: هو ما لفظ البحر.

وقال آخرون: عني بقوله: وَطَعامُهُ: المليح من السمك. فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم: أحلّ لكم سمك البحر ومليحه في كلّ حال, إحلالكم وإحرامكم. ذكر من قال ذلك:

9981ـ حدثنا سليمان عمرو بن خالد البرقي, قال: حدثنا محمد بن سلمة, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَطَعَامُهُ قال: طعامه المالح منه.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ يعني بطعامه: مالحه, وما قذف البحر من مالحه.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ وهو المالح.
9982ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن مجمع التيمي, عن عكرمة, في قوله: مَتاعا لَكُمْ قال: المليح.
9983ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن سالم الأفطس وأبي حصين, عن سعيد بن جبير, قال: المليح.
9984ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: المليح وما لفظ.
9985ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن سالم, عن سعيد بن جبير, في قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: يأتي الرجل أهل البحر فيقول: «أطعموني», فإن قال: «غريضا», ألقوا شبكتهم فصادروا له, وإن قال: «أطعموني من طعامكم», أطعموه من سمكهم المالح.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل: عن عطاء, عن سعيد: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ قال: المنبوذ, السمك المالح.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير: وَطَعَامُهُ قال: المالح.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: وطَعَامُهُ قال: هو مالحه. ثم قال: ما قذف.
9986ـ حدثنا ابن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَطَعَامُهُ قال: مملوح السمك.
حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرني الثوري, عن منصور, قال: كان إبراهيم يقول: طعامه: السمك المليح. ثم قال بعدُ: ما قذف به.
حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا الثوري, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير, قال: طَعَامُهُ: المليح.
9987ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا إسرائيل, عن عبد الكريم, عن مجاهد, قال: طَعَامُهُ: السمك المليح.
9988ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير في هذه الآية: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: الصير. قال شعبة: فقلت لأبي بشر: ما الصيّر؟ قال: المالح.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا هشام بن الوليد, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن جعفر بن أبي وحشية, عن سعيد بن جبير, قوله: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: الصّير. قال: قلت: ما الصير؟ قال: المالح.
9989ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: أما طعامه فهو المالح.

9990ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن الزهري, عن سعيد بن المسيب: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: طعامه: ما تزوّدت مملوحا في سفرك.

9991ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي, قالا: حدثنا سفيان عن عمرو, قال: قال جابر بن زيد: كنا نتحدّث أن طعامه مليحه, ونكره الطافي منه.

وقال آخرون: طَعَامُهُ: ما فيه. ذكر من قال ذلك:

9992ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عكرمة, قال: طعام البحر: ما فيه.

9993ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن حريث, عن عكرمة: وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: ما جاء به البحر بوجه.

9994ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن حسن بن صالح, عن ليث, عن مجاهد, قال: طعامه: كلّ ما صيد منه.

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا, قول من قال: طعامه: ما قذفه البحر أو حسر عنه فوجد ميتا على ساحله. وذلك أن الله تعالى ذكر قبله صيد الذي يصاد, فقال: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يصد منه, فقال: أحلّ لكم صيدُ ما صدتموه من البحر وما لم تصيدوه منه. وأما المليح, فإنه ما كان منه ملّح بعد الاصطياد, فقد دخل في جملة قوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ فلا وجه لتكريره, إذ لا فائدة فيه. وقد أعلم عباده تعالى إحلاله ما صيد من البحر بقوله أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك: ومليحه الذي صيد حلال لكم, لأن ما صيد منه فقد بين تحليله طريا كان أو مليحا بقوله: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة.

وقد رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا خبر, وإن كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة, وذلك ما:

9995ـ حدثنا به هناد بن السريّ, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عن محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو سلمة, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: «طَعَامُهُ: ما لَفَظَهُ مَيْتا فَهُوَ طَعَامُهُ».

وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة.

9996ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة في قوله: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ قال: طعامه: ما لفظه ميتا.

القول في تأويل قوله تعالى: مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ.

يعني تعالى ذكره بقوله: مَتاعا لَكُمْ منفعة لمن كان منكم مقيما أو حاضرا في بلده يستمتع بأكله وينتفع به. وللسّيّارة يقول: ومنفعة أيضا ومتعة للسائرين من أرض إلى أرض, ومسافرين يتزوّدونه في سفرهم مليحا. والسيّارة: جمع سيّار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

9997ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرني أبو إسحاق, عن عكرمة, أنه قال في قوله: مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ قال: لمن كان بحضرة البحر, وللسيّارَةِ السفر.

9998ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, في قوله: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسيّارَةِ ما قذف البحر, وما يتزوّدون في أسفارهم من هذا المالح. يتأوّلها على هذا.
حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ: مملوح السمك ما يتزوّدون في أسفارهم.
9999ـ حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقي, قال: حدثنا مسكين بن بكير, قال: حدثنا عبد السلام بن حبيب النجاري, عن الحسن في قوله: وللسّيّارَةِ قال: هم المحرمون.
10000ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ أما طعامه: فهو المالح منه, بلاغ يأكل منه السيّارة في الأسفار.
10001ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ قال: طعامه: مالحه وما قذف البحر منه يتزوّده المسافر. وقال مرّة أخرى: مالحه وما قذفه البحر, فمالحه يتزوّده المسافر.
10002ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ يعني المالح فيتزوّده.
وكان مجاهد يقول في ذلك بما:
10003ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ قال: أهل القرى, وللسيّارة: أهل الأمصار.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: مَتاعا لَكُمْ قال لأهل القرى, وللسّيّارَةِ: قال: أهل الأمصار وأجناس الناس كلهم.
وهذا الذي قاله مجاهد من أن السيارة هم أهل الأمصار لا وجه له مفهوم, إلا أن يكون أراد بقوله هم أهل الأمصار: هم المسافرون من أهل الأمصار, فيجب أن يدخل في ذلك كلّ سيارة من أهل الأمصار كانوا أو من أهل القُرى, فأما السيّارة فلا يشمل المقيمين في أمصارهم.
القول في تأويل قوله تعالى: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما.
يعني تعالى ذكره: وحرّم عليكم أيها المؤمنون صيد البرّ ما دمتم حرما, يقول: ما كنتم محرمين لم تحلوا من إحرامكم.
ثم اختلف أهل العلم في المعنى الذي عني الله تعالى ذكره بقوله: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ فقال بعضهم: عني بذلك: أنه حرّم علينا كلّ معاني صيد البرّ من اصطياد وأكل وقتل وبيع وشراء وإمساك وتملك. ذكر من قال ذلك:
10004ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن يزيد بن أبي زياد, عن عبد الله بن الحرث, عن نوفل, عن أبيه, قال: حجّ عثمان بن عفان, فحجّ عليّ معه. قال: فأُتِي بلحم صيد صاده حلال, فأكل منه ولم يأكل عليّ, فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا فقال عليّ: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما.

10005ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن عمرو بن أبي قيس, عن سماك, عن صبيح بن عبيد الله العبسي, قال: بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العَرُوض, فنزل قديدا, فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وصقر, فاستعاره منه, فاصطاد به من اليعاقيب, فجعلهنّ في حظيرة. فلما مرّ به عثمان طبخهنّ, ثم قدمهنّ إليه, فقال عثمان: كلوا فقال بعضهم: حتى يجيء عليّ بن أبي طالب. فلما جاء فرأى ما بين أيديهم, قال عليّ: إنا لن نأكل منه فقال عثمان: مالك لا تأكل؟ فقال: هو صيد, ولا يحلّ أكله وأنا محرم. فقال عثمان: بيّن لنا فقال عليّ: يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ فقال عثمان: أو نحن قتلناه؟ فقرأ عليه: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما.

10006ـ حدثنا تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيان القناد, قالا: أخبرنا أبو إسحاق الأزرق, عن شريك, عن سماك بن حرب, عن صبيح بن عبيد الله العبسي, قال: استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العَرُوض. ثم ذكر نحوه, وزاد فيه: قال: فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث, ثم أتى فقيل له بمكة: هل لك في ابن أبي طالب أهدي له صفيف حمار فهو يأكل منه فأرسل إليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف, فقال: أما أنت فتأكل, وأما نحن فتنهانا؟ فقال: إنه صيد عام أوّل, وأنا حلال, فليس عليّ بأكله بأس, وصِيدَ ذلك يعني اليعاقيب وأنا محرم, وذُبحن وأنا حرام.

10007ـ حدثنا عمران بن موسى القزّاز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: حدثنا يونس, عن الحسن: أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم, وكرهه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

10008ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب: أن عليّا كره لحم الصيد للمحرم على كلّ حال.

10009ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يزيد بن أبي زياد, عن عبد الله بن الحرث: أنه شهد عثمان وعليّا أُتيا بلحم, فأكل عثمان ولم يأكل عليّ, فقال عثمان: أنحن صدنا أو صيد لنا؟ فقرأ عليّ هذه الآية: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتمْ حُرُما.

10010ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عمير بن أبي سلمة, عن أبيه, قال: حجّ عثمان بن عفان, فحجّ معه عليّ, فأتي بلحم صيد صاده حلال, فأكل منه وهو محرم, ولم يأكل منه عليّ, فقال عثمان: إنه صيد قبل أن نحرم. فقال له عليّ: ونحن قد بدا لنا وأهالينا لنا حلال, أفيحللن لنا اليوم؟

10011ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن عمرو, عن عبد الكريم, عن مجاهد, عن عبد الله بن الحرث بن نوفل: أن عليّا أُتي بشقّ عَجُز حمار وهو محرم, فقال: إني محرم.

10012ـ حدثنا ابن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا سعيد, عن يعلى بن حكيم, عن عكرمة, عن ابن عباس: أنه كان يكرهه على كلّ حال ما كان محرما.

10013ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا ابن جريج, قال: أخبرنا نافع أن ابن عمر كان يكره كل شيء من الصيد وهو حرام, أخذ له أو لم يؤخذ له, وشيقة وغيرها.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان, عن عبد الله, قال: أخبرني نافع: أن ابن عمر كان لا يأكل الصيد وهو محرم وإن صاده الحلال.

10014ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: أخبرني الحسن بن مسلم بن يناق: أن طاوسا كان ينهى الحرام عن أكل الصيد وشيقة وغيرها صيد له أو لم يصد له.

10015ـ حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا خالد بن الحرث, قال: حدثنا الأشعث, قال: قال الحسن: إذا صاد الصيد ثم أحرم لم يأكل من لحمه حتى يحلّ. فإن أكل منه وهو محرم لم ير الحسن عليه شيئا.

10016ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام وهارون عن عنبسة, عن سالم, قال: سألت سعيد بن جبير, عن الصيد يصيده الحلال, أيأكل منه المحرم؟ فقال: سأذكر لك من ذلك, إن الله تعالى قال: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصّيْدَ وأنْتُمْ حُرُمٌ فنهي عن قتله, ثم قال: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمّدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ ثم قال تعالى: أُحِلّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسّيّارَةِ قال: يأتي الرجل أهل البحر فيقول: أطعموني فإن قال: «غريضا», ألقوا شبكتهم فصادوا له, وإن قال: أطعموني من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح. ثم قال: وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما وهو عليك حرام, صدته أو صاده حلال.

وقال آخرون: إنما عنى الله تعالى بقوله: وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما ما استحدث المحرم صيده في حال إحرامه أو ذبحه, أو أستحدث له ذلك في تلك الحال. فأما ما ذبحه حلال وللحلال فلا بأس بأكله للمحرم, وكذلك ما كان في ملكه قبل حال إحرامه فغير محرّم عليه إمساكه. ذكر من قال ذلك:

10017ـ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا سعيد, قال: حدثنا قتادة, أن سعيد بن المسيب حدثه, عن أبي هريرة, أنه سئل عن صيد صاده حلال أيأكله المحرم؟ قال: فأفتاه هو بأكله, ثم لقي عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره, فقال: لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك

10018ـ حدثنا أحمد بن عبدة الضبيّ, قال: حدثنا أبو عوانة, عن عمر بن أبي سلمة, عن أبيه, قال: نزل عثمان بن عفان العَرْج وهو محرم, فأهدى صاحب العَرْج له قَطا, قال: فقال لأصحابه: كلوا فإنه إنما اصطيد على اسمي قال: فأكلوا ولم يأكل.

10019ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة كان بالربذة, فسألوه عن لحم صيد صاده حلال. ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, عن أبي هريرة, عن عمر, نحوه.

10020ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي الشعثاء, قال: سألت ابن عمر عن لحم صيد يُهديه

الحلال إلى الحرام, فقال: أكله عمر, وكان لا يرى به بأسا. قال: قلت: تأكله؟ قال: عمر خير مني.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن أبي الشعثاء, قال: سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام؟ قال: كان عمر يأكله. قال: قلت: فأنت؟ قال: كان عمر خيرا مني.
10021ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن هشام, عن يحيى, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة, قال: استفتاني رجل من أهل الشام في لحم صيد أصابه وهو محرم, فأمرته أن يأكله. فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له: إن رجلاً من أهل الشام استفتاني في لحم صيد أصابه وهو محرم. قال: فما أفتيته؟ قال: قلت أفتيته أن يأكله. قال: فوالذي نفسي بيده لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرّة وقال عمر: إنما نهيت أن تصطاده.
10022ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مصعب بن المقدام, قال: حدثنا خارجة عن زيد بن أسلم, عن عطاء, عن كعب, قال: أقبلت في أناس محرمين, فأصبنا لحم حمار وحش, فسألني الناس عن أكله, فأفتيتهم بأكله وهم محرمون. فقدمنا على عمر, فأخبروه أني أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون, فقال عمر: قد أمّرته عليكم حتى ترجعوا.
10023ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, عن أبي هريرة, قال: مررت بالربذة, فسألني أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال, فأفتيتهم أن يأكلوه. فلقيت عمر بن الخطاب, فذكرت ذلك له, قال: فبم أفتيتهم؟ قال: أفتيتهم أن يأكلوا. قال: لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك.
10024ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن يونس, عن أبي الشعثاء الكندي, قال: قلت لابن عمر: كيف ترى في قوم حرام لقوا قوما حلالاً ومعهم لحم صيد, فإما باعوهم وإما أطعموهم؟ فقال: حلال.
10025ـ حدثنا سعيد بن يحيى الأموي, قال: حدثنا محمد بن سعيد, قال: حدثنا هشام, يعني ابن عروة, قال: حدثنا عروة, عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب, أن عبد الرحمن حدثه: أنه اعتمر مع عثمان بن عفان في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى نزلوا بالروحاء, فقُرّب إليهم طير وهم محرمون, فقال لهم عثمان: كلوا فإني غير آكله فقال عمرو بن العاص: أتأمرنا بما لست آكلاً؟ فقال عثمان: إني لولا أظنّ أنه صيد من أجلي لأكلت. فأكل القوم.
10026ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن هشام بن عروة, عن أبيه: أن الزبير كان يتزوّد لحوم الوحش وهو محرم.
10027ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن شريك, عن سماك بن حرب, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال, وما صيد أو ذبح وأنت حرام فهو عليك حرام.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن عمرو, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: ما صيد من شيء وأنت حرام فهو عليك حرام, وما صيد من شيء وأنت حلال فهو لك حلال.

10028ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما فجعل الصيد حراما على المحرم صيده وأكله ما دام حراما, وإن كان الصيد صيد قبل أن يحرم الرجل فهو حلال, وإن صاده حرام لحلال فلا يحلّ له أكله.

10029ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال, قال: كان سعيد بن جبير ومجاهد يقولان: ما صيد قبل أن يحرم أكل منه, وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه.

10030ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا ابن جريج, قال: كان عطاء يقول إذا سئل في العلانية أيأكل الحرام الوشيقة والشيء اليابس؟ يقول بيني وبينه: لا أستطيع أن أبين لك في مجلس, إن ذبح قبل أن يحرم فكل, وإلاّ فلا تبع لحمه ولا تبتع.

وقال آخرون: إنما عنى الله تعالى بقوله: وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما وحرّمَ عليكم اصطياده. قالوا: فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن يكون ملكه إياه على غير وجه الاصطياد له وبيعه وشراؤه جائز. قالوا: والنهي من الله تعالى عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني. ذكر من قال ذلك:

10031ـ حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا يحيى بن أيوب, قال: أخبرني يحيى, أن أبا سلمة اشترى قَطا وهو بالعرج وهو محرم ومعه محمد بن المنكدر, فأكله. فعاب عليه ذلك الناس.

والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى عمّ تحريم كلّ معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه من غير أن يخصّ من ذلك شيئا دون شيء, فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراما بيعه وشراؤه واصطياده وقتله وغير ذلك من معانيه, إلاّ أن يجده مذبوحا قد ذبحه حلال لحلال, فيحلّ له حينئذٍ أكله, للثابت من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, الذي:

10032ـ حدثناه يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن ابن جريج. وحدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا مكي بن إبراهيم, قال: حدثنا عبد الملك بن جريج, قال: أخبرني محمد بن المنكدر, عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان, عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان, قال: كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُم, فأهدي لنا طائر, فمنا من أكل ومنا من تورّع فلم يأكل. فلما استيقظ طلحة وفّق من أكل, وقال: أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن الصعب بن جثامة: أنه أَهْدَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَ حمار وحش يقطر دما, فردّه فقال: «إنّا حُرُمٌ». وفيما رُوِي عن عائشة: «أن وشيقة ظبي أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم, فردّها», وما أشبه ذلك من الأخبار؟ قيل: إنه ليس في واحد من هذه الأخبار التي جاءت بهذا المعنى بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ من ذلك ما ردّ وقد ذبحه الذابح إذ ذبحه, وهو حلال لحلال, ثم أهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام فردّه وقال: إنه لا يحلّ لنا لأنا حرم وإنما ذكر فيه أنه

أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فردّه, وقد يجوز أن يكون ردّه ذلك من أجل أن ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم, وقد بين خبر جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «لَحْمُ صَيْدِ البَرّ للمُحْرِمِ حَلاَلٌ, إلاّ ما صَادَهُ أَوْ صِيدَ لَهُ». معنى ذلك كله. فإذْ كان كلا الخبرين صحيحاً مخرجهما, فواجب التصديق بهما وتوجيه كل واحد منهما إلى الصحيح من وجه, وأن يقال ردّه ما ردّ من ذلك من أجل أنه كان صيد من أجله, وإذنه في كل ما أذن في أكله منه من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ولا صاده محرم, فيصحّ معنى الخبرين كليهما.

واختلفوا في صفة الصيد الذي عنى الله تعالى بالتحريم في قوله: وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما فقال بعضهم: صيد البرّ: كلّ ما كان يعيش في البرّ والبحر وإنما صيد البحر ما كان يعيش فـي الماء دون البرّ ويأوي إليه. ذكر من قال ذلك:

10033ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عمران بن حُدَير, عن أبي مجلز: وَحُرّمَ عَلَيْكُمْ صيْدُ البَرّ ما دُمْتُمْ حُرُما قال: ما كان يعيش في البرّ والبحر لا يصيده, وما كان حياته في الماء فذاك.

10034ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا الحجاج, عن عطاء, قال: ما كان يعيش في البرّ فأصابه المحرم فعليه جزاؤه, نحو السلحفاة والسرطان والضفادع.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن عمرو بن أبي قيس, عن الحجاج, عن عطاء, قال: كلّ شيء ع اش فـي البرّ والبحر, فأصابه المحرم فعليه الكفّارة.

10035ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد, عن عبد الملك, عن سعيد بن جبير, قال: خرجنا حجاجا معنا رجل من أهل السواد معه شصوص طير ماء, فقال له أبي حين أحرمنا: اعزل هذا عنا

10036ـ وحدثنا به أبو كريب مرّة أخرى, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت يزيد بن أبي زياد, قال: حدثنا حجاج, عن عطاء: أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجي, لأن له أصلاً في البرّ.

وقال بعضهم: صيد البرّ ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر. ذكر من قال ذلك:

10037ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال ابن جريج: أخبرناه, قال: سألت عطاء عن ابن الماء, أصيد برّ, أم بحر؟ وعن أشباهه, فقال: حيث يكون أكثر فهو صيده.

10038ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني وكيع, عن سفيان, عن رجل, عن عطاء بن أبي رباح, قال: أكثر ما يكون حيث يُفرِخ, فهو منه.

القول في تأويل قوله تعالى: وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي إلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

وهذا تقدّم من الله تعالى ذكره إلى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه, يقول تعالى: واخشوا الله أيها الناس, واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب

والأزلام, وعن إصابة صيد البرّ وقتله في حال إحرامكم, وفي غيرها, فإن الله مصيركم ومرجعكم فيعاقبكم بمعصيتكم إياه, ومجازيكم فمثيبكم على طاعتكم له.

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى: {جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لّلنّاسِ وَالشّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَأَنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره: صير الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس الذين لا قوام لهم, من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم والشّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ والقلائِدَ فحجز بكلّ واحد من ذلك بعضهم عن بعض, إذ لم يكن لهم قيام غيره, وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم.

والكعبة فيما قيل كعبة لتربيعها. ذكر من قال ذلك:

10039ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: إنما سميت الكعبة لأنها مربعة.

10040ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هاشم بن القاسم, عن أبي سعيد المؤدّب, عن النضر بن عربي, عن عكرمة, قال: إنما سميت الكعبة لتربيعها.

وقيل قِياما للنّاسِ بالياء, وهو من ذوات الواو, لكسرة القاف وهي فاء الفعل, فجعلت العين منه بالكسرة ياء, كما قيل في مصدر: «قمت» قياما, و «صمت» صياما, فحوّلت العين من الفعل وهي واء ياء لكسرة فائه, وإنما هو في الأصل: قمت قواما, وصمت صواما. وكذلك قوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ فحوّلت واوها ياء, إذ هي «قوام». وقد جاء ذلك من كلامهم مقولاً على أصله الذي هو أصله, قال الراجز:

(قِوَامُ دُنْيا وَقِوَامُ دِين)

فجاء به بالواو على أصله. وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قواما لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه, بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر تباعه.

وأما الكعبة فالحرم كله, وسماها الله تعالى حراما لتحريمه إياها أن يصاد صيدها أو يختلى خلاها أو يعضد شجرها. وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

وقوله: وَالشّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ وَالقَلائِدَ يقول تعالى ذكره: وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد أيضا قياما للناس, كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياما. والناس الذين جعل ذلك لهم قياما مختلف فيهم, فقال بعضهم: جعل الله ذلك في الجاهلية قياما للناس كلهم. وقال بعضهم: بل عَنَى به العربَ خاصة. وبمثل الذي قلنا في تأويل القوام قال أهل التأويل. ذكر من قال: عنى الله تعالى بقوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ القوام على نحو ما قلنا:

10041ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا من سمع خَصيفا يحدّث عن مجاهد في: جعلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرَامَ قِيَاما لِلنّاسِ قال: قواما للناس.

10042ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن خصيف, عن سعيد بن جبير: قِياما للنّاسِ قال: صلاحا لدينهم.
10043ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا داود, عن ابن جريج, عن مجاهد في: جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرامَ قيَاما للنّاسِ قال: حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا, فشدّد الله ذلك بالإسلام.
حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن إسرائيل, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جبير, قوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ قال: شدّة لدينهم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جبير, مثله.
10044ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ قال: قيامها أن يأمن من توجه إليها.
10045ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ والشّهْرَ الحَرَامَ وَالهَدْيَ وَالقَلائِدَ يعني قياما لدينهم, ومعالم لحجهم.
10046ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ والشّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ وَالقَلائِدَ جعل الله هذه الأربعة قياما للناس, هو قوام أمرهم.
وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائلها ألفاظها, فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا في ذلك من أن القوام للشيء هو الذي به صلاحه, كالملك الأعظم قوام رعيته ومن في سلطانه, لأنه مدبر أمرهم وحاجز ظالمهم عن مظلومهم والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم. وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية, وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتمّ فرضهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قالت جماعة أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10047ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا جامع بن حماد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ والشّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ والقَلائِدَ حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جرّ كلّ جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه. وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناس, وكان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر أو من الحاء السّمُر, فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية.
10048ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: جَعَلَ اللّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنّاسِ والشّهْرَ الحَرَامَ والهَدْيَ والقَلائِدَ قال: كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض. قال: ولم يكن في العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض, فجعل الله تعالى لهم

البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض به, والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم والقلائد. قال: ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له. وهذا كله قد نسخ.

10049ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَالقَلائِدَ كان ناس بتقلدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحجّ, فيعرفون بذلك.

وقد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدي والقلائد فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ وأنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذَلكَ تصييره الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. يقول تعالى ذكره: صَيّرت لكم أيها الناس ذلك قياما كي تعلموا أن من أحدِث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم, علما منه بمنافعكم ومضارّكم أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم, ولتعلموا أنه بكلّ شيء عليم, لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم, وهو محصيها عليكم حتى يجازي المحسن منكم بإحسانه والمسيء منكم بإساءته.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {اعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما فـي الأرض, ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها, وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها, شديد عقابه من عصاه وتمرّد عليه على معصيته إياه, وهو غفور الذنوب من أطاعه وأناب إليه فساترٌ عليه وتاركٌ فضيحته بها, رحيم به أن يعاقيه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {مّا عَلَى الرّسُولِ إِلاّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ }..

وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد, يقول تعالى ذكره: ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم أيها الناس بإنذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم, إلاّ أن يؤدي إليكم رسالتنا, ثم إلينا الثواب على الطاعة, وعلينا العقاب على المعصية. وَاللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ يقول: وغير خفيّ علينا المطيع منكم القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به من العاصي التارك العمل بما أمرته بالعمل به لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به لسانه. وَما تَكْتُمُونَ يعني: ما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر أو يقين وشكّ ونفاق. يقول تعالى ذكره: فمن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور وظواهر أعمال النفوس, مما في السموات وما في الأرض, وبيده الثواب والعقاب, فحقيق أن يُتقَى وأن يطاع فلا يعصَى.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لاّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطّيّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتّقُواْ اللّهَ يَأُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لا يعتدل الردىء والجيد, والصالح والطالح, والمطيع والعاصي. وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم, لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته, وإنّ أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا. يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: فلا تعجبنّ من كثرة من يعصى الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم. كما:

10050ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لا يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطّيّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ قال: الخبيث: هم المشركون والطيّب: هم المؤمنون.

وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فالمراد به بعض أتباعه, يدلّ على ذلك قوله: فاتّقُوا اللّهَ يا أُولي الأَلْبابِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: فاتّقُوا اللّهَ يا أُولي الأَلْبابِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ.

يقول تعالى ذكره: واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم, واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث, فتصيروا منهم. يا أولي الألباب يعني بذلك: أهل العقول والحجا, الذين عقلوا عن الله آياته, وعرفوا مواقع حججه. لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: اتقوا الله لتفلحوا: أي كي تنجحوا في طلبتكم ما عنده.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ }..

ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام, امتحانا له أحيانا, واستهزاء أحيانا, فيقول له بعضهم: من أبي؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته: أين ناقتي؟ فقال لهم تعالى ذكره: لا تسألوا عن أشياء من ذلك, كمسألة عبد الله بن حذافة إياه من أبوه, إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ يقول: إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ساءكم إبداؤها وإظهارها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الرواية بذلك:

10051ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا بعض بني نفيل, قال: حدثنا زهير بن معاوية, قال: حدثنا أبو الجويرية, قال: قال ابن عباس لأعرابي من بني سليم: هل تدري فيما أنزلت هذه الآية يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ؟ حتى فرغ من الآية, فقال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء, فيقول الرجل: من أبي؟ والرجل تضلّ ناقته فيقول: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية.

10052ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو عامر وأبو داود, قالا: حدثنا هشام, عن قتادة, عن أنس, قال: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة, فصعد المنبر ذات يوم, فقال: «لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاّ بَيّنْتُهُ لَكُمْ». قال أنس: فجعلت أنظر يمينا وشمالاً, فأرى كلّ إنسان لافّا ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان ذا لاحى يدعى إلى غير أبيه, فقال: يا رسول الله, من أبي؟ فقال: «أبُوكَ حُذَافَةُ». قال: فأنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً, وأعوذ بالله من سوء الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمْ أرَ فِي الشّرّ والخَيْرِ كاليَوْم قَطّ, إنّهُ صُوّرَتْ لِيَ الجَنّةُ وَالنّارُ حتى رأيْتُهُما وَرَاءَ الحائِطِ». وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية: لا تَسألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

10053ـ حدثني محمد بن معمر البحراني, قال: حدثنا روح بن عبادة, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني موسى بن أنس, قال: سمعت أنسا يقول: قال رجل: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ فُلانٌ». قال: فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ قال: فحُدّثنا أن أنس بن مالك حدثهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة, فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر, فقال: «لا تَسْألُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إلاّ بَيّنْتُهُ لَكُمْ» فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر, فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالاً إلاّ وجدت كلاّ لافاّ رأسه في ثوبه يبكي. فأنشأ رجل كان يُلاحَى فيدعى إلى غير أبيه, فقال: يا نبيّ الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافة». قال: ثم قام عمر أو قال: فأنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً عائذا بالله أو قال: أعوذ بالله من سوء الفتن. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمْ أرَ فِي الخَيْرِ والشّرّ كاليَوْمِ قَطّ, صُوّرَتْ ليَ الجَنّةُ والنّارُ حتى رأيْتُهُما دُونَ الحائِطِ».

10054ـ حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع, قالا: حدثنا معاذ, قال: حدثنا ابن عون, قال: سألت كرمة مولى ابن عباس عن قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْألُوا عَنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ قال: ذاك يوم قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: «لا تَسْألُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاّ أخْبَرْتُكُمْ بِهِ» قال: فقام رجل, فكره المسلمون مقَامه يومئذ, فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَة» قال: فنزلت هذه الآية.

10055ـ حدثنا الحسين بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه قال: نزلت: لا تَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ في رجل قال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوك فلان».

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني سفيان, عن معمر, عن قتادة, قال: سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أكثروا عليه, فقام مغضبا خطيبا, فقال: سَلُوني فَوَاللّهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ما دُمْتُ في مَقامي إلاّ حَدّثْتُكُمْ» فقام رجل فقال: من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَة» واشتدّ غضبه وقال: «سَلُونِي» فلما رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم, فجثا

عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربّا, قال معمر: قال الزهري: قال أنس مثل ذلك: فجثا عمر على ركبتيه, فقال: رضينا بالله ربا, وبالإسلام دينا, وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمَا وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ, لَقَدْ صُوّرَتْ لِيَ الجَنّةُ وَالنّارُ آنِفا فِي عَرْضِ هَذَا الحائِطِ, فَلَمْ أرَ كاليَوْمِ فِي الخَيْرِ والشّرّ». قال الزهريّ: فقالت أمّ عبد الله بن حُذافة: ما رأيت ولَدا أعقّ منكَ قطّ, أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية, فتفضحها على رؤوس الناس فقال: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته.

10056ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ قال: غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فقام خطيبا, فقال: «سَلُونِي فإنّكُمْ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْء إلاّ أنْبَأْتُكُمْ بِهِ» فقام إليه رجل من قريش من بني سَهْم يقال له عبد الله بن حُذَاقة, وكان يُطعنَ فيه, قال: فقال يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبُوكَ فُلانٌ» فدعاه لأبيه فقام إليه عمر, فقبّل رجله وقال: يا رسول الله, رضينا بالله ربا, وبك نبيا, وبالإسلام دينا, وبالقرآن إماما, فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي, فيومئذ قال: «الوَلَدُ للفِرَاش وللعاهِرِ الحَجَرُ».

10057ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قيس, عن أبي حصين, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمارّ وجههُ, حتى جلس على المنبر, فقام إليه رجل, فقال أين أبي؟ قال: «في النّارِ» فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَةُ». فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربا, وبالإسلام دينا, وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا, وبالقرآن إماما, إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك, والله يعلم من آباؤنا. قال: فسكن غضبه, ونزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل سأله عن شيء في أمر الحجّ. ذكر من قال ذلك:

10058ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا منصور بن وردان الأسديّ, قال: حدثنا عليّ بن عبد الأعلى, قال: لما نزلت هذه الآية: وَللّهِ على النّاسِ حِجّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً قالوا: يا رسول الله أفي كلّ عام؟ فسكت, ثم قالوا: أفي كلّ عام؟ فسكت, ثم قال: «لا, ولَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ» فأنزل الله هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

10059ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان, عن إبراهيم بن مسلم الهَجَريّ, عن ابن عياض, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجّ» فقال رجل: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه, حتى عاد مرّتين أو ثلاثا, فقال: «مَنِ السّائِلُ؟» فقال فلان, فقال: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ, لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ, وَلَوْ وَجَبَتْ عَلَيْكُمْ ما أطَقْتُموهُ لَكَفَرْتُمْ». فأنزل الله هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ حتى ختم الآية.

10060ـ حدثني محمد بن عليّ بن الحسين بن شقيق, قال سمعت أبي, قال: أخبرنا الحسين بن واقد, عن محمد بن زياد, قال: سمعت أبا

هريرة يقول: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيّهَا النّاسُ, كَتَبَ اللّهُ عَلَـيْكُمْ الـحَجّ». فقام مـحصن الأسـديّ, فقـال: أفــي كـلّ عـام يـا رسول الله؟ فقال: «أمَا إنّـي لَوْ قُلْتُ نَعَـمْ لَـوَجَبَتْ, ولَـوْ وَجَبَـتْ ثُـمّ تَرَكْتُــمْ لَضَلَلْتُـمْ. اسْكُتُوا عَنّى ما سَكَتّ عَنْكُمْ, فإنّـمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُـمْ بِسُـؤَالِهِمْ واخْتِلافِهِمْ علـى أنْبِـيائِهِمْ» فأنزل الله تعالـى: يا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا لا تَسْـأَلُوا عَنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ إلـى آخر الآية.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الــحسين وقـد, عن مـحمد بن زيادة, قال: سمعت أبـا هريرة يقول: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر مثله, إلا أنه قام: فقام عُكاشة ابنِ مـحْصَنٍ الأسديّ.

10061ـ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبـان الـمصري, قال: حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبـي العمر, قال: حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى, عــن صـفوان بن عمرو, قال: ثنـي سليـم بن عـامر, قـال: سـمعت أبــا أمامـة البـاهلــي يقول: قام رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فــي النـاس فقـال: «كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الـحَجّ» فقام رجل من الأعراب, فقـال: أفــي كـل عـام؟ قـال: فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب. فمكـث طويلاً ثم تكلـم فقال: مَنِ السّائِلُ؟» فقال الأعرابـيّ: أنا ذا, فقال: «وَيْحَـكَ ماذَا يُؤْمِنُكَ أنْ أقُولَ نَعَمْ, وَلَوْ قُلْتُ نَعَمُ لَوَجَبَتْ, وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُــمْ؟ ألا إنّـهُ إنّـمَا أهْلَكَ الّذِينَ قَبْلَكُمْ أئِمّةُ الـحَرَجِ, وَاللّهُ لَوْ أنّـي أحْلَلْتُ لَكُمْ جَمِيعَ ما فِــي الأرْضِ وَحَرّمْتُ عَلَـيْكُمْ مِنْها مَوْضِعَ خُـفّ لَوَقَعْتُــمْ فِــيهِ» قـال: فـأنزل اللـه تعالـى عند ذلك يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ... إلـى آخر الآية.

10062ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَــنْ أشْيَاء إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وذلك أن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أذّن فـي الناس, فقال: «يا قَوْم, كُتِبَ عَلَـيْكُمُ الـحَجّ» فقام رجل مـن بنــي أسـد فقال: يا رسول الله, أفـي كلّ عام؟ فأغْضِبَ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم غضبـا شديدا, فقال: «وَالّذِي نَفْسُ مُـحَمّدٍ بَـيَدِهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَـوَجَبَتْ, وَلَوْ وَجَبَتْ ما اسْتَطَعْتُـمْ, وإذَنْ لَكَفَرْتُـمْ فـاتْرُكُونِـي ما تَرَكْتُكُمْ, فإذَا أمَرْتُكُـمْ بِشَيْءٍ فـافْعَلُوا, وإذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْء فـانْتَهُوا عَنْهُ». فأنزل الله تعالــى: يـا أيّها الّذِين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْـدَ لَكُـمْ تَسُـؤْكُمْ. نهـاهم أن يسـألوا عن مثل الذي سألت النصارى من الـمائدة, فأصبحوا بها كافرين فنهـى اللـه تعالـى عن ذلك, وقال: لا تسألوا عن أشـياء إن نـزل القـرآن فــيها بتغلــيظ ساءكم ذلك, ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فإنّكُمْ لا تسـألون عـن شـيء إلا وجدتـم تبـيانه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قـال: ثنــي معاويـة بـن صالـح, قال: حدثنا علـيّ بن أبـي طلــحة, عـن ابـن عبــاس, قـوله: يـا أيّهـا الّذِين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُـمْ تَسُـؤْكُمْ وإنْ تَسْـأَلُوا عَنْهـا حِيـنَ يُنزّل القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ قال: لـما أنزلت آية الـحجّ, نادى النبـي صلى الله عليـه وسلم فـي الناس, فقال «يـا أيّهـا النّـاسُ, إنّ اللّـهَ قَـدْ كَتَـبَ عَلَـيْكُمْ الــحَجّ فَحُجّوا» فقالوا: يا رسول الله, أعاما واحدا أم كل عام؟ فقـال «لا بَـلْ عامـا وَاحِدا, وَلَوْ قُلْتُ كُلّ عامٍ لَوَجَبَتْ, وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُـمْ» ثم قال اللـه تعالــى: يا أيّها الّذِين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ قال: سألوا النبــي صلى الله عليه وسلم عن أشياء فوعظهم, فـانتهوا.

10063ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يا أيّها الّذِين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجّ, فقيل: أواجب هو يا رسول الله كلّ عام؟ قال: «لا, لَوْ قُلْتُها لَوَجَبَتْ, وَلَوْ وَجَبَتْ ما أطَقْتُمْ, وَلَوْ لَمْ تُطِيقُوا لَكَفَرْتُمْ» ثم قال: «سَلُونِي فَلا يَسْأَلُنِي رَجُلٌ في مَجْلِسِي هَذَا عَنْ شَيْءٍ إلاّ أخْبَرْتُهُ, وإنْ سَأَلَنِي عَنْ أبِيهِ» فقام إليه رجل, فقال: من أبي؟ قال: «أبُوكَ حُذَافَةُ بْنُ قَيْسٍ» فقام عمر, فقال: يا رسول اصلى الله عليه وسلم رضينا بالله ربا, وبالإسلام دينا, وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا, ونعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي. ذكر من قال ذلك:

10064ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد, قال: حدثنا عتاب بن بشير, عن خصيف, عن مجاهد, عن ابن عباس لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ قال: هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. ألا ترى أنه يقول بعد ذلك: ما جعل الله من كذا ولا كذا؟ قال: وأما عكرمة فإنه قال: إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك. ثم قال: قَدْ سَألها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمّ أصْبَحُوا بها كَافِرِينَ قال: فقلت: قد حدثني مجاهد بخلاف هذا ابن عباس, فما لك تقول هذا؟ فقال هَيْهَ.

10065ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن ابن عون, عن عكرمة عن الأعمش, قال: هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أبي؟. وقال سعيد بن جبير: هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل, كمسئلة ابن حذافة إياه من أبوه, ومسئلة سائله إذ قال: «إنّ اللّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الحَجّ»: أفي كلّ عام؟ وما أشبه ذلك من المسائل, لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل, وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس, فقول غير بعيد من الصواب, ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه, وكرهنا القول به من أجل ذلك. على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها, كما كره الله لهم المسئلة عن الحجّ, أكلّ عام هو أم عاما واحدا؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسئلته عن أبيه, فنزلت الآية بالنهي عن المسائل لها, فأخبر كلّ مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله وأجل غيره. وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة, لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذُكرت إصحاح, فتوجيهها إلى الصواب من وجودها أوْلى.

القول في تأويل قوله تعالى: وَإنْ تَسْأَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ:

يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم, عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه, من فرائض لم يفرضها الله عليهم, وتحليل أمور لهم

يحللها لهم, وتحريم أشياء لم يحرّمها عليهم قبل نزول القرآن بذلك: أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولي مما لم أنزل به كتابا ولا حيا, لا تسألوا عنه, فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيان بوحي وتنزيل ساءكم لأن التنزيل بذلك إذا جاءكم يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم, إما بإيجاب عمل عليكم, ولزوم فرض لكم, وفي ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤنة وكلفة وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحي كنتم من التقدّم عليه في فسحة وسعة وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه, وفي ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقا إلى ما كنتم ترونه باطلاً, ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي إليكم, بين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي وتأويل تنزيلي ووحي وذلك نظير الخبر الذي رُويَ عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, الذي:

10066ـ حدثنا به هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو معاوية, عن داود بن أبي هند, عن مكحول, عن أبي ثعلبة الخشني, قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها, ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها, وحدّ حدودا فلا تعتدوها, وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

10067ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, قال: أخبرنا ابن جريج, عن عطاء, قال: كان عبيد بن عمير يقول: إن الله تعالى أحلّ وحرّم, فما أحلّ فاستحلوه وما حرّم فاجتنبوه, وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرّمها فذلك عفو من الله عفاه ثم يتلو: يا أيّها الّذِين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا الضحاك, ق ال: أخبرنا ابن جريج, قال: أخبرني عطاء, عن عبيد ابن عمير, أنه كان يقول: إن الله حرّم وأحلّ, ثم ذكر نحوه.

وأما قوله: عَفا اللّهُ عَنْها فإنه يعني به: عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كره الله لكم مسألتكم إياه عنها, أن يؤاخذكم بها, أو يعاقبكم عليها, إن عرف منها توبتكم وإنابتكم. وَاللّهُ غَفُورٌ يقول: والله ساتر ذنوب من تاب منها, فتارك أن يصفحه في الآخرة حَلِيمٌ أن يع اقبه بها لتغمده التائب منه ا برحمته وعفوه, عن عقوبته عليها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوي الخبر عن ابن عباس الذي ذكرناه آنفا. وذلك ما:

10068ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لا تسْأَلُوا عَ نْ أَشْيَاءَ إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك, ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن, فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مّن قَبْلِكُمْ ثُمّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قد سأل الآيات قوم من قبلكم: فلما آتاهموها الله, أصبحوا بها جاحدين منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتجّ بها عليهم, وبرهانا على صحة ما جعلت برهانا على تصحيحه, كقوم صالح

الذين سألوا الآية فلما جاءتهم الناقة آية عقروها, وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء: فلما أُعْطُوها كفروا بها وما أشبه ذلك, فحذّر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل مَن قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها, فقال لهم: لا تسألوا الآيات, ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم, فقد سأل الآيات من قبلكم قوم فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين. كالذي:

10069ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة, فأصبحوا بها كافرين, فنهى الله عن ذلك.

10070ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قَدْ سألَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ قد سأل الآيات قوم من قبلكم, وذلك حين قيل له: غيّر لنا الصفا ذهبا.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ما بحر الله بحيرة, ولا سيب سائبة, ولا وصل وصيلة, ولا حمي حاميا, ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة, فحرّمتموه افتراء على ربكم. كالذي:

10071ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: ثني أبي وشعيب بن الليث, عن الليث, عن ابن الهاد: وحدثني يونس, قال: حدثنا عبد الله بن يوسف, قال: ثني الليث, قال: ثني ابن الهاد, عن ابن شهاب, عن سعيد بن المسيب, عن أبي هريرة, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رأيْتُ عَمْرَو بْنَ عامِرٍ الخزَاعِيّ يَجُرّ قُصْبَهُ فِي النّارِ, وكانَ أوّلَ مَنْ سَيّبَ السّائِبَةَ».

10072ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: ثني محمد بن إبراهيم بن الحرث, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول لأكثم بن الجون: «يا أكْثَمُ, رأيْتُ عَمْرَو بنَ لُحَيّ بْنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدَفٍ يَجُرّ قُصْبَهُ فِي النّارِ, فَمَا رأيْتُ رَجُلاً أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلا بِهِ مِنْكَ» فقال أكثم: أخشى أن يضرّني شبهه يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا, إنّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ, إنّهُ أوّلُ مَنْ غير دين إسماعيل وبحّر البحيرة, وسيب السائبة, وحمى الحامي».

10073ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا يونس, قال: ثني هشام بن سعد, عن زيد بن أسلم, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ عَرَفْتُ أوّلَ مَنْ بَحّرَ البَحائِرِ رَجُلٌ مِنْ مُدْلِجٍ, كانَتْ لَهُ ناقَتانِ, فَجَدَعَ آذَانَهُما وَحَرّمَ ألْبانَهُما وظُهُورَهُما وقال: هاتانِ لِلّهِ, ثُمّ احْتاجَ إلَيْهِما فَشَرِبَ ألْبانَهُما وَرَكِبَ ظُهُورَهُما» قالَ: «فَلَقَدْ رأيْتُهُ فِي النّارِ يُؤْذِي أهْلَ النّارِ رِيحُ قُصْبِهِ».

10074ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عبيدة, عن محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«عُرِضَتْ علـيّ النّارُ فَرأيْتُ فِـيها عَمْرَو ابْنَ فُلان ابْـنِ فُلان ابْـنِ خِنْـدَفٍ يَجُـرّ قُصْبَهُ فِـي النّارِ, وَهُوَ أوّلُ مَنْ غَيّرَ دِينَ إبْرَاهِيـمَ وَسَيّبَ السّائِبَةَ, وأشْـبَهُ مَـنْ رأيْتُ بِهِ أكْثَمُ بْنُ الـجَوْنِ». فقال أكثـم: يـا رسـول اللـه, أيضرّنــي شـبههم؟ قال: «لا, لأنّكَ مُسْلِـمٌ, وَإنّهُ كافِرٌ».

10075ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: رأيـت عمرو بن عامر الـخزاعي يجرّ قصبه فـي النار, وهو أوّل من سيب السوائب.

10076ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن زيد بن أسلـم, قال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «إنّـي لأَعْرِفُ أوّلَ مَنْ سَيّبَ السّوَائبَ وأوّلَ مَنْ غَيّرَ عَهْـدَ إبْرَاهِيــمَ» قـالُوا: مَنْ هُوَ يا رَسُولَ اللّهِ؟ قال: «عَمْرُو بْنُ لُـحَيَ أخُو بَنِـي كَعْبٍ, لَقَدْ رأيْتُـهُ يَجُـرّ قُصْبَهُ فِـي النّارِ, يُؤْذِي رِيحُهُ أهْلَ النّارِ. وإنّـي لأَعْرِفُ أوّلَ مَنْ بَحّرَ البَحـائِرَ». قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «رَجُلٌ مِنْ بَنِـي مُدْلِـجٍ كـانَتْ لَـهُ ناقَتـانِ, فَجَدَعَ آذَانَهُما وَحَرّمَ ألْبـانَهُما, ثُمّ شَرِبَ ألْبـانَهُما بَعْدَ ذَلِـكَ, فَلَقَـدْ رأيْتُـهُ فِــي النّارِ هُوَ وهُمَا يَعَضّانِهِ بأفْوَاهِهِما, ويَخْبِطانِهِ بأخفّـافِهِما».

والبحيرة: الفَعيـلة, من قول القائـل: بَحـرتُ أذنَ هـذه الناقـة: إذا شـقها, أبْحَرُها بحرا, والناقة مبحورة, ثم تصـرف الــمفعولة إلــى فعَيــلة, فــيقال: هي بحيرة. وأما البَحِرُ من الإبل: فهو الـذي قـد أصـابه داء مـن كـثرة شـرب الـماء, يقال منه: بَحِرَ البعير يبحرُ بَحَرا, ومنه قول الشاعر:

لأَعْلِطَنّكَ وَسَما لا تُفـارِقُهُكما يُحَزّ بحُمّى الـمِيسَمِ البَحِرُ

وبنـحو الذي قلنا فـي معنى البحيرة, جاء الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

10077ـ حدثنا عبد الـحميد بن بـيان, قال: أخبرنا مـحمد بـن زيزيـد, عـن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي إسحاق عن أبـي الأحوص, عن أبـيه, قال: دخـلت علـى النبـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم, فقـال النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: «أرأيْـتَ إبِلَـكَ ألَسْـتَ تُنْتِــجُها مُسَلّــمَةً آذَانُهـا, فَتأخُـذُ الــمُوسَى فَتَـجْدَعُها تَقُولُ هَذِهِ بَحِيرَةٌ, وَتَشُقّ آذَانَها تَقُولُ هَذِهِ حُرُمٌ؟» قال: نعم, قال: «فإنّ ساعِدَ اللّهِ أشَدّ, وَمُوسَى اللّهِ أحَدّ, كُلّ مالِكَ لَكَ حَلالٌ لا يُحَـرّمُ عَلَــيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ».

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي إسحاق, قال: سمعت أبـا الأحوص, عـن أبــيه, قـال أتــيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم فَقال: «هَلْ تُنْتِـجُ إبِلُ قَوْمِكَ صِحَاحا آذَانُهـا فَتَعمِـدُ إلـى الــمُوسَى فَتَقْطَـعُ آذَانَهـا فَتَقُـولُ هَـذِهِ بُحُـرٌ, وَتَشُـقّها أوْ تَشُـقّ جُلُودَهـا فَتَقُولُ هَذِهِ حُرُمٌ, فَتُـحَرّمُها عَلَـيْكَ وَعلـى أهْلِكَ؟» قال: نعم. قال: «فإنّ مـا آتاكَ اللّهُ لَكَ حِلّ, وَساعِدُ اللّهُ أشَدّ, ومُوسَى اللّهِ أحَدّ» وربـما قال: «سَـاعِدُ الله أشَدّ مِنْ سَاعِدِكَ, ومُوسَى الله أحَدّ مِنْ مُوسَاكَ».

وأما السائبة: فإنها الـمسيبة الـمخلاة, وكانت الـجاهلـية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه, فـيحرم الانتفـاع به علـى نفسه, كما كان بعض أهل الإسـلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه. وأخرجت الــمسيبة بلفـظ السـائبة, كما قـيـل: «عِيشَة رَاضِيَة», بـمعنى: مرضية.

وأما الوصيـلة, فإن الأنثى من نعمهم فـي الـجاهلـية كانت إذا أتأمت بطنـا بذكر وأنثى, قـيـل: قد وصـلت الأنـثى أخاهـا, بـدفعها عنـه الذبـح, فسـموها وصيـلة.

وأما الحامي: فإنه الفحل من النعم يحمى ظهره من الركوب, والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فِحْلته.

وقد اختلف أهل التأويل في صفات المسميات بهذه الأسماء وما السبب الذي من أجله كانت تفعل ذلك. ذكر الرواية بما قيل في ذلك:

10078ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, عن ابن إسحاق, عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي أن أبا صالح السمان, حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخواعي: «يا أكْثَمُ رأيْتُ عَمْرَ بْنَ لُحَيّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدَفٍ يَجُرّ قُصْبَهُ فِي النّارِ, فَمَا رأيْتُ مِنْ رَجُلٍ أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلا بِهِ مِنْكَ» فقال أكثم: أيضرّني شبهه يا نبيّ الله؟ قال: «لا, لأنَك مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ, وإنّهُ كانَ أوّلَ مَنْ غَيّرَ دِينَ إسْماعِيلَ وَنَصَبَ الأوْثانَ, وَسَيّبَ السّوَائِب فِيهِمْ».

وذلك أن الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة إناثا ليس فيها ذكر سيبت, فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف. فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّ أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الإبل, فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف, كما فُعِل بأمها فهي البحيرة ابنة السائبة. والوصيلة: أن الشاة إذا نتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيهنّ ذكر جعلت وصيلة, قالوا: وصلت, فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم, إلا أن يموت منها شيء فيشتركون في أكله ذكورهم وإناثهم. والحامي: أن الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهنّ ذكر حُمِي ظهره, ولم يركب, ولم يجزّ وبره, ويخلى في إبله يضرب فيها, لا ينتفع به بغير ذلك. يقول الله تعالى ذكره: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ.... إلى قوله: وَلاَ يهْتَدُونَ.

10079ـ حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق في هذه الآية: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ قال أبو جعفر: سقط عليّ فيما أظنّ كلام منه قال: فأتيت علقمة فسألته, فقال: ما تريد إلى شيء كانت تصنعه أهل الجاهلية؟

10080ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن مسلم, قال: أتيت علقمة, فسألته عن قول الله تعالى: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ فقال: وما تصنع بهذا؟ إنما هذا شيء من فعل الجاهلية قال: فأتيت مسروقا, فسألته, فقال: البحيرة: كانت الناقة إذا ولدت بطنا خمسا أو سبعا, شقوا أذنها وقالوا: هذه بحيرة. قال: وَلا سائبَةٍ قال: كان الرجل يأخذ بعض ماله, فيقول: هذه سائبة. قال: وَلا وَصِيلَةٍ قال: كانوا إذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الإناث, وإذا ولدت ذكرا وأنثى في بطن قالوا: وصلت أخاها, فلا يأكلونهما قال: فإذا مات الذكر, أكله الذكور دون الإناث. قال: ولا حام, قال: كان البعير إذا ولد وولد ولده, قالوا: قد قضى هذا الذي عليه, فلم ينتفعوا بظهره, قالوا: هذا حام.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن عبيد, عن الأعمش, عن مسلم بن صبيح, قال: سألت علقمة, عن قوله: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ قال: ما تصنع بهذا؟ هذا شيء كان يفعله أهل الجاهلية.

10081ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يـمان ويحيى بـن آدم, عـن إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن أبـي الأحوص: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ قال: البحيرة: التـي قد ولت خمسة أبطن ثم تركت.
10082ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير بن عبد الـحميد, عـن مغيـرة, عن الشعبـي: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ قال: البحيرة: الـمخضرمة. وَلا سـائِبَةٍ والسائبة: ما سيب للهدي. والوصيـلة: إذا ولدت بعد أربعة أبطن فـيـما يـرى جرير ثم ولدت الـخامس ذكرا وأنثى وصلت أخاها. والـحام: الذي قد ضـرب أولاد أولاده فـي الإبل.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبـيّ بنـحوه, إلا أنه قال: والوصيـلة: التـي ولدت بعد أربعة أبطن ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها. وسائر الـحديث مثل حديث ابن حميد.
10083ـ حدثنا ابن وكيـع, قـال: حـدثنا إسـحاق الأزرق, عـن زكريـا, عـن الشعبـي, أنه سئل عن البحيرة, فقال: هي التـي تـجدع آذانهـا. وسـئل عـن السائبة, فقال: كانوا يهـدون لآلهتهـم الإبـل والغنــم فـيتركونها عنـد آلهتهـم لتذبح, فتـخـلط بغنـم الناس, فلا يشرب ألبـانها إلا الرجـال, فـإذا مـات منهـا شيء أكله الرجال والنساء جميعا.
10084ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله تعالـى: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وما معها: البحيرة من الإبل, يحرّم أهل الـجاهلـية وبرها وظهرهــا ولـحمها ولبنها إلا علـى الرجال, فما ولدت من ذكر وأنثى فهو علــى هيئتهـا, وإن ماتت اشترك الرجال والنساء فـي أكل لـحمها, فإذا ضَرَب الــجمل مـن ولد البحيرة فهو الـحامي والسـائبة مـن الغنــم علــى نــحو ذلـك إلا أنهـا مـا ولدت من ولد بــينها وبــين سـتة أولاد كـان علــى هيئتهـا, فـإذا ولـدت فــي السابع ذكرا أو أنثى أو ذكرين, ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وإن توأمت أنثى وذكرا فهي وصيـلة, ترك ذبح الذكر بـالأنثى, وإن كانتا أنثـيـين تركتا.
10085ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابـن عبــاس: مـا جَعَـلَ اللّـهُ مِـنْ بَحِيـرَةٍ وَلا سـائِبَةٍ فــالبحيرة: الناقــة, كـان الرجـل إذا ولـدت خمسـة أبطـن, فــيعمد إلــى الـخامسة, فما لـم يكن سَقْبـا, فـيبتك آذانها, ولا يجزّ لها وبرا, ولا يـذوق لهـا لبنا, فتلك البحيرة. وَلا سائِبَةٍ كان الرجل يسيب من ماله ما شاء. وَلا وَصِيـلَةٍ فهي الشاة إذا ولدت سبعا, عمد إلـى السابع, فإن كان ذكرا ذبح, وإن كـانت أنثى تركت, وإن كان فـي بطنها اثنان ذكر وأنـثى فولـدتهما, قـالوا: وصـلت أخاها, فــيتركان جميعـا لا يـذبحان, فتلـك الوصيــلة. وقـوله: وَلا حـامٍ كـان الرجل يكون له الفحل فإذا لقح عشرا قـيـل: حام, فـاتركوه
10086ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبـد اللـه بـن صالــح, قـال: حـدثنا معاوية بن صالـح, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قوله: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ لـيسيبوها لأصنامهم. وَلا وَصِيـلَةٍ يقـول: الشـاة. وَلا حامٍ يقول: الفحل من الإبل.
10087ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قـوله: مـا جَعَـلَ اللّـهُ مِـنْ بَحِيـرَةٍ وَلا سـائِبَةٍ وَلا وَصِيــلَةٍ وَلا حـامٍ تشديد شدّده الشيطان علـى أهل الـجاهلـية فـي أموالهم, وتغلـيظ علــيهم, فكـانت البحيـرة مثـل الإبـل إذا نتــج الرجـل خمسـا مـن إبلـه نظـر البطـن

الخامس, فإن كانت سقبا ذبح فأكله الرجال دون النساء, وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم, وإن كانت حائلاً وهي الأنثى تركت فبتكت أذنها, فلم يجزّ لها وبر ولم يشرب لها لبن ولم يركب لها ظهر ولم يذكر لله عليها اسم. وكانت السائبة: يسيبون ما بدا لهم من أموالهم, فلا تمتنع من حوض أن تشرع فيه ولا من حمى أن ترتع فيه. وكانت الوصيلة من الشاء: من البطن السابع, إذا كان جديا ذبح فأكله الرجال دون النساء, وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم, وإن جاءت بذكر وأنثى قيل وصلت أخاها فمنعته الذبح. والحام: كان الفحل إذا ركب من بني بنيه عشرة أو ولد ولده, قيل حام, حمى ظهره, فلم يزم ولم يخطم ولم يركب.

10088ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ فالبحيرة من الإبل: كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن, إن كان الخَامس سقبا ذبحوه فأهدوه إلى آلهتهم وكانت أمه من عرض الإبل, وإن كانت رُبَعة استحيوها, وشقوا أذن أمها, وجزّوا وبرها, وخلوها في البطحاء, فلم تَجُزْ لهم في دية, ولم يحلبوا لها لبنا, ولم يجزّوا لها وبرا, ولم يحملوا على ظهرها, وهي من الأنعام التي حرّمت ظهورها. وأما السائبة: فهو الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكر إن كثر ماله, أو برأ من وجع, أو ركب ناقة فأنجح, فإنه يسمي السائبة يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب إلا أصابته عقوبة في الدنيا. وأما الوصيلة, فمن الغنم, هي الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة, فكان آخر ذلك جديا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة, وإن كانت عَناقا استحيوها, وإن كانت جديا وعناقا استحيوا الجدي من أجل العناق, فإنها وصيلة وصلت أخاها. وأما لحام: فالفحل يضرب في الإبل عشر سنين, ويقال: إذا ضرب ولد ولده قيل: قد حمي ظهره, فيتركونه لا يمسّ, ولا ينحر أبدا, ولا يمنع من كلإ يريده, وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها.

10089ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, عن ابن المسيب, في قوله: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ قال: البحيرة من الإبل التي يمنع درّها للطواغيت. والسائبة من الإبل: كانوا يسيبونها لطواغيتهم. والوصيلة من الإبل كانت الناقة تبكر بأنثى, ثم تثني بأنثى, فيسمونها الوصيلة, يقولون: وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر, فكانوا يجدعونها لطواغيتهم, أو يذبحونها, الشكّ من أبي جعفر. والحام: الفحل من الإبل, كان يضرب الضراب المعدود, فإذا بلغ ذلك, قالوا: هذا حـام, قد حمى ظهره فترك, فسموه الحام. قال معمر, قال قتادة: إذا ضرب عشرة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: البحيرة من الإبل: كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن, فإن كان الخامس ذكرا كان للرجال دون النساء, وإن كانت أنثى بتكوا آذانها, ثم أرسلوها, فلم ينحروا لها ولدا, ولم يشربوا لها لبنا, ولم يركبوا لها ظهرا. وأما السائبة, فإنهم كانوا يسيبون بعض إبلهم, فلا تمنع حوضا أن تشرع فيه, ولا مرعى أن ترتع فيه. والوصيلة: الشاة: كانت إذا ولدت سبعة أبطن, فإن كان السابع ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء, وإن كانت أنثى تركت.

10090ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد, قال: حدثنا عبيد بن سلمان, عن الضحاك: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ أما البحيرة: فكانت الناقة إذا نتجوها خمسة أبطن نحروا الخامس إن كان سقبا, وإن كان رُبَعة شقوا أذنها واستحيوها, وهي بحيرة. وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه, وهو خالص لرجالهم, فإن ماتت الناقة أو نتجوها ميتا فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه. وأما السائبة: فكان يسيب الرجل من ماله من الأنعام, فيهمل في الحمى فلا ينتفع بظهره ولا بولده, ولا بلبنه, ولا بشعره, ولا بصوفه. وأما الوصيلة, فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع إذا كان جديا, وإن كان عناقا استحيوه, وإن كان جديا وعناقا استحيوهما كليهما, وقالوا: إن الجدي وصلته أخته, فحرمته علينا. وأما الحامي: فـ الفحل إذا ركبوا أولاد ولده, قالوا: قد حمى هذا ظهره, وأحرز أولاد ولده, فلا يركبونه, ولا يمنعونه من حمى شجر, ولا حوض مّا شرع فيه, وإن لم يكن الحوض لصاحبه, وكانت من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء من شأنهم, لا إن ركبوا, ولا إن حملوا, ولا إن حلبوا, ولا إن نتجوا, ولا إن باعوا, ففي ذلك أنزل الله تعالى: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ... إلى قوله: وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ.

10091ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ قال: هذا شيء كانت تعمل به أهل الجاهلية, وقد ذهب. قال: البحيرة: كان الرجل يجدع أذنى ناقته ثم يعتقها, كما يعتق جاريته وغلامه, لا تحلب, ولا تركب. والسائبة: يسيبها بغير تجديع. والحام: إذا نتج له سبع إناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل.

حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا عبد الله بن يوسف, قال: حدثنا الليث بن سعد, قال: ثني ابن الهاد, عن ابن شهاب, قال: قال سعيد بن المسيب: السائبة: التي كانت تسيب فلا يحمل عليها شيء. والبحيرة: التي يمنع درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد. والوصيلة: الناقة البكر تبكر أوّل نتاج الإبل بأنثى, ثم تثني بعد بأنثى, وكانوا يسمونها للطواغيت, يدعونها الوصيلة, إن وصلت إحداهما بالأخرى. والحامي: فحل الإبل يضرب العشر من الإبل, فإذا نقص ضرابه يدعونه للطواغيت, وأعفوه من الحمل, فلم يحملوا عليه شيئا, وسموه الحامي.

وهذه أمور كانت في الجاهلية فأبطلها الإسلام, فلا نعرف قوما يعملون بها اليوم. فإذا كان ذلك كذلك, وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا يوصل إلى علمه إذ لم يكن له في الإسلام اليوم أثر, ولا في الشرك نعرفه إلا بخبر, وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذي ذكرنا فالصواب من القول في ذلك أن يقال: أما معاني هذه الأسماء, فما بينا في ابتداء القول في تأويل هذه الآية. وأما كيفية عمل القوم في ذلك, فما لا علم لنا به. وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا, وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه, موصلاً إلى حقيقته, وهو أن القوم كانوا محرمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله اتباعا منهم خطوات الشيطان, فوبخهم الله تعالى بذلك, وأخبرهم أن كلّ ذلك حلال, فالحرام من كلّ شيء عندنا, ما حرّم الله

تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم, بنصّ أو دليل. والحلال منه: ما أحلّه الله ورسوله كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلَكِنّ الّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللّهِ الكَذِبَ وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالذين كفروا في هذا الموضع والمراد بقوله: وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ. فقال بعضهم: المعنيّ بالذين كفروا: اليهود, وبالذين لا يعقلون: أهل الأوثان. ذكر من قال ذلك:

10092ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن سفيان, عن دواد بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى: وَلَكِنّ الّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللّهِ الكَذِبَ قال: أهل الكتاب. وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ قال: أهل الأوثان.

وقال آخرون: بل هم أهل ملة واحدة, ولكن «المفترين» المتبوعون, و«الذين لا يعقلون»: الأتباع. ذكر من قال ذلك:

10093ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا خارجة, عن داود بن أبي هند, عن الشعبيّ في قوله: وَلَكِنّ الّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللّهِ الكَذِبَ وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ هم الأتباع. وأما «الذين افتروا», يعقلون أنهم افتروا.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن المعنيين بقوله: وَلَكِنّ الّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللّهِ الكَذِبَ الذين بحروا البحائر, وسيبوا السوائب, ووصلوا الوصائل, وحموا الحوامي مثل عمرو بن لحي وأشكاله, ممن سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة وغيروا دين الله دين الحقّ وأضافوا إلى الله تعالى أنه هو الذي حرّم ما حرّموا وأحلّ ما أحلوا, افتراء على الله الكذب وهم يعلمون, واختلاقا عليه الإفك وهم يعمهون. فكذّبهم الله تعالى في قيلهم ذلك, وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا, فقال تعالى ذكره: ما جعلت من بحيرة ولا سائبة, ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ويفترون على الله الكذب. وأن يقال: إن المعنيين بقوله وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين, فهم لا شكّ أنهم أكثر من الذين لهم سنوا ذلك فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون, لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن, وأخبروهم أنها من عند الله كذبة في إخبارهم أفكة, بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون في إخبارهم صادقون. وإنما معنى الكلام: وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذي حرّمه هؤلاء المشركون وأضافوه إلى الله تعالى كذب وباطل. وهذا القول الذي قلنا في ذلك نظير قول الشعبيّ الذي ذكرناه, ولا معنى لقول من قال: عني بالذي كفروا: أهل الكتاب, وذلك أن النكير في ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب, فالختم بهم أولى من غيرهم, إذ لم يكن عرض في الكلام ما يصرف من أجله عنهم إلى غيرهم. وبنحو ذلك كان يقول قتادة.

10094ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ يقول: لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرّم عليهم, إنما كان من الشيطان ولا يعقلون.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ }..

يقول تعالىّ ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيبون السوائب الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى يفترون على الله الكذب: تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه وإلى رسوله, لبتبين لكم كذب قيلكم فيم تضيفونه إلى الله تعالى من تحريمكم ما تحرّمون من هذه الأشياء, أجابوا من دعاهم إلى ذلك, بأن يقولوا: حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به, ويقولون: نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة, وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل. قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئا, يقول: لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه إلى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وفرية على الله, لا حقيقة لذلك ولا صحة لأنهم كانوا أتباع المفترين ابتدءوا تحريم ذلك افتراء على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب, بل كانوا على ضلالة وخطأ.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مّن ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }..

يقول تعالى ذكره: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ فأصلحوها, واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى, وانظروا لها فيما يقرّبها من ربها, فإنه لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ يقول: لا يضرّكم من كفر وسلك غير سبيل الحقّ إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه, فحرّمتم حرامه وحللتم حلاله. ونصب قوله: أنْفُسَكُمْ بالإغراء, والعرب تغري من الصفات ب «عليك», و«عندك» و«دونك» و«إليك».

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم ذلك. ذكر من قال ذلك:

10095ـ حدثنا سوّار بن عبد الله, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبو الأشهب, عن الحسن: أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ فقال ابن مسعود: ليس هذا بزمانها, قولوها ما قبلت منكم فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي الأشهب, عن الحسن, قال: ذكر عن ابن مسعود يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا ثم ذكر نحوه.

حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن يونس, عن الحسن, قال: قال رجل لابن مسعود: ألم يقل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ؟ قال: ليس هذا بزمانها, قولوها ما قُبلت منكم فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم.

10096ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا شبابة بن سوّار, قال: حدثنا الربيع بن صبيح, عن سفيان بن عقال, قال: قيل لابن عمر: لو جلستَ في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه, فإن الله تعالى يقول: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي, لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» فكنا نحن الشهود وأنتم الغَيَب, ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم.

10097ـ حدثنا أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت أبي, قال: حدثنا قتادة, عن أبي مازن قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة, فإذا قوم من المسلمين جلوس, فقرأ أحدهم هذه الآية: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ فقال أكثرهم: لم يجيءْ تأويل هذه الآية اليوم.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عمرو بن عاصم, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, عن قتادة, عن أبي مازن, بنحوه.

10098ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم, قالا: حدثنا عوف, عن سوّار بن شبيب, قال: كنت عند ابن عمر, إذ أتاه رجل جليدٌ في العين, شديد اللسان, فقال: يا أبا عبد الرحمن نحن ستة كلهم قد قرءوا القرآن فأسرع فيه, وكلهم مجتهد لا يألو, وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة, وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك. فقال رجل من القوم: وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهر بعضهم على بعض بالشرك؟ قال: فقال الرجل: إني لست إياك أسأل, أنا أسأل الشيخ. فأعاد على عبد الله الحديث, فقال عبد الله بن عمر: لعلك ترى لا أبا لك إني سآمرك أن تذهب فتقتلهم؟ عظهم وانههم, فإن عصوك فعليك بنفسك, فإن الله تعالى يقول: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن: أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ قال: إن هذا ليس بزمانها, إنها اليوم مقبولة, ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال: فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم, لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, عن رجل قال: كنت في خلافة عثمان بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فإذا فيهم شيخ يُسْنِدُون إليه, فقرأ رجل: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فقال الشيخ: إنما تأويلها آخر الزمان.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: حدثنا أبو مازن رجل من صالحي الأزد من بني الجدّان, قال: انطلقت في حياة عثمان إلى المدينة, فقعدت إلى حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقرأ رجل من القوم هذه الآية لا يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ قال: فقال رجل من أسنّ القوم: دع هذه الآية, فإنما تأويلها في آخر الزمان.

10099ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ابن فضالة, عن معاوية بن صالح, عن جبير بن نفير, قال: كنت في حلقة فيها أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإني لأصغر القوم, فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ؟ فأقبلوا عليّ بلسان واحد, وقالوا: تنزع بآية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت. ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم, قالوا: إنك غلام حدث السنّ, وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي, وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحّا مطاعا, وهو متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه, فعليك بنفسك لا يضرّك من ضلّ إذا اهتديت

10100ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا ليث بن هارون, قال: حدثنا إسحاق الرازي, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن عبد الله بن مسعود, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جميعا فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا, فكان بين رجلين ما يكون بين الناس, حتى قام كلّ واحد منهما إلى صاحبه, فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك, فإن الله تعالى يقول: عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ قال: فسمعها ابن مسعود, فقال: مَهْ لم يجىء تأويل هذه بعدُ, إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهنّ قبل أن ينزلن, ومنه ما وقع تأويلهنّ على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم, ومنه آي قد وقع تأويلهنّ بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بيسير, ومنه آي يقع تأويلهنّ بعد اليوم, ومنه آي يقع تأويلهنّ عند الساعة على ما ذكر من أمر الساعة, ومنه آي يقع تأويلهنّ يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض, فأمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض, فامرؤ ونفسه, فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن ابن مسعود: أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس, حتى قام كلّ واحد منهما إلى صاحبه, ثم ذكر نحوه.

10101ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا حرمي, قال: سمعت الحسن يقول: تأوّل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ فقال بعض أصحابه: دعوا هذه الآية فليست لكم

10102ـ حدثني إسماعيل بن إسرائيل اللاّل الرملي, قال: حدثنا أيوب بن سويد, قال: حدثنا عتبة بن أبي حكيم, عن عمرو بن جارية اللخميّ, عن أبي أمية الشعباني, قال: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ فقال: لقد سألتَ عنها خبيرا, سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «أبا ثَعْلَبَةَ ائْتَمِرُوا بالمَعْرُوفِ, وَتَناهَوْا عَنِ المُنْكَرِ, فإذَا رأيْتَ دُنْيا مُؤْثَرَةً وشُحّا مُطاعا وإعْجابَ كُلّ ذِي رأي بِرأيِهِ, فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ أرَى مِنْ بَعْدِ كُمْ أيّامَ الصّبرِ, للمُتَمَسّكِ يَوْمَئِذٍ

بِـمِثْلِ الّذِي أنْتُـمْ عَلَـيْهِ كأجْرِ خَمْسِينَ عامِلاً». قـالوا: يـا رسـول اللـه, كـأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال: «لا, كأجْرِ خَمْسِينَ عامِلاً مِنْكُمْ».

حدثنا علـيّ بن سهل, قال: أخبرنا الوليد بن مسلـم, عن ابن الـمبـارك وغيره, عن عتبة بن أبـي حكيـم, (عن عمرو بن جاريـة اللـخمي) عـن أبـي أمية الشعبـانـي, قال: سألت أبـا ثعلبة الـخشنـي: كيف نصنع بهذه الآيـة: يـا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ؟ فقـال أبـو ثعلبة: سألتَ عنها خبـيرا, سألتُ عنها رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقال: «ائْتَـمِرُوا بـالـمَعْرُوفِ, وَتَنـاهَوْا عَـنِ الـمُنْكَرِ, حتـى إذَا رأيْـتَ شُـحّا مُطاعا وَهَوًى مُتّبَعا وإعْجابَ كُلّ ذِي رأي بِرأيِهِ, فَعَلَـيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِـكَ, وَذَرْ عَوَامّهُمْ فإنّ وَرَاءَكُمْ أيّاما أجْرُ العامِلِ فِـيها كأجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».

وقال آخرون: معنى ذلك: أن العبد إذا عمل بطاعة الله لـم يضرّه من ضلّ بعده وهلك. ذكر من قال ذلك:

10103ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عـن ابـن عبـاس, قـوله: يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ يقول: إذا ما العبـد أطاعنـي فـيـما أمرتـه مـن الـحلال والـحرام, فلا يضرّه من ضلّ بعدُ إذا عمل بـما أمرته به.

10104ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالـح, قـال: ثنـي معاوية بن صالـح, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قوله: عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَـنْ ضَـلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ يقـول: أطيعـوا أمـري, واحفظـوا وصيتـي.

10105ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا لـيث بـن هـارون, قـال: حـدثنا إسـحاق الرازي, عن أبـي جعفر الرازي, عن صفوان بن الـجون, قـال: دخـل علـيه شاب من أصحاب الأهواء, فـذكر شـيئا مـن أمـره, فقـال صـفوان: ألا أدلـك علـى خاصة الله التـي خصّ بها أولـياءه يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ... الآية.

10106ـ حدثنا عبد الكريـم بـن أبـي عميـر, قـال: حـدثنا أبـو الـمطرف الـمخزوميّ, قال: حدثنا جويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ ما لـم يكن سيف أو سوط.

10107ـ حدثنا علـيّ بن سهل, قـال: حـدثنا ضـمرة بـن ربـيعة, قـال: تلا الـحسن هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ فقال الـحسن: الـحمد لله بها والـحمد للـه علـيها, مـا كـان مـؤمن فـيـما مضى ولا مؤمن فـيـما بقـي إلا وإلـى جانبه منافق يكره عمله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ فـاعملوا بطاعة الله لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ فأمَرتـم بـالـمعروف ونهيتـم عـن الـمنكر. ذكر من قال ذلك:

10108ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلـم, عـن عنبسـة, عـن سعد البقال, عن سعيد بن الـمسيب: لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَـلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ قـال: إذا أمرتَ بـالـمعروف ونهيت عن الـمنكر, لا يضرّك من ضلّ إذا اهتديت.

10109ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يـمان, عـن سفـيان, عـن أبـي العميس, عن أبـي البختري, عن حذيفة: عَلَـيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُـمْ قال: إذا أمرتـم ونهيتـم.

10110ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي خالد, عن قيس بن أبي حازم, قال: قال أبو بكر: تقرءون هذه الآية: لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ وإن الناس إذا رأوا الظالم قال ابن وكيع: فلم يأخذوا على يديه, أوشكَ أن يعمّهم الله بعقابه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وابن فضيل, عن بيان, عن قيس, قال: قال أبو بكر: إنكم تقرءون هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ وإن القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه, يعمهم الله بعقابه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن إسماعيل, عن قيس, عن أبي بكر, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه.

10111ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر. قال أبو بكر بن أبي قحافة: يا أيها الناس لا تغترّوا بقول الله: عَلَيكُمْ أنْفُسَكُمْ فيقول أحدكم عليّ نفسي. والله لتأمرنّ بالمعروف وتنهونّ عن المنكر أو لتستعملنّ عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب, ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجيب لهم.

حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا ابن فضيل, قال: حدثنا بيان, عن قيس بن أبي حازم, قال: قال أبو بكر وهو على المنبر: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية على غير موضعها: لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه, عمهم الله بعقابه.

10112ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: ثني عيسى بن المسيب البجلي, حدثنا قيس بن أبي حازم, قال: سمعت أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذَا رأى النّاسُ المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيّرُوهُ والظّالِمَ فَلَمْ يَأخُذُوا على يَدَيْهِ, فَيُوشِكُ أنْ يَعُمّهُمُ اللّهُ مِنْهُ بِعِقابٍ».

حدثنا الربيع, قال: حدثنا أسد بن موسى, قال: حدثنا سعيد بن سالم, قال: حدثنا منصور بن دينار, عن عبد الملك بن ميسرة, عن قيس بن أبي حازم, قال: صعد أبو بكر المنبر, منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم, فحمد الله وأثنى عليه, ثم قال: يا أيها الناس إنكم لتتلون آية من كتاب الله, وتعدّونها رخصة والله ما أنزل الله في كتابه أشدّ منها: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ والله لتأمرنّ بالمعروف, ولتنهونّ عن المنكر, أو ليعمنكم الله منه بعقاب.

حدثنا محمد بن سيّار, قال: حدثنا إسحاق بن إدريس, قال: حدثنا سعيد بن زيد, قال: حدثنا مجالد بن سعيد, عن قيس بن أبي حازم, قال: سمعت أبا بكر يقول وهوي خطب الناس: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية, ولا تدرون ما هي: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ النّاسَ إذَا رَأوْا مُنْكَرا فَلَمْ يُغَيّرُوهُ عَمّهُمُ اللّهُ بِعِقابٍ».

وقال آخرون: بل معنى هذه الآية: لا يضرّكم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:

10113ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ قال: يعني: من ضلّ من أهل الكتاب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير في هذه الآية: لا يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ قال: أنزلت في أهل الكتاب.

وقال آخرون: عني بذلك كلّ من ضلّ عن دين الله الحقّ. ذكر من قال ذلك:

10114ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ قال: كان الرجل إذا أسلم, قالوا له: سفّهت آباءك وضلّلتهم, وفعلت وفعلت, وجعلت آباءك كذا وكذا, كان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل فقال الله تعالى: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ.

وأولى هذه الأقوال, وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما رُوي عن أبي بكر الصدّيق فيها, وهو: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ: الزموا العمل بطاعة الله, وبما أمركم به, وانتهوا عما نهاكم الله عنه. لاَ يَضُرّكُمْ مَنْ ضَلّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ يقول: فإنه لا يضرّكم ضلال من ضلّ إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله, وأدّيتم فيمن ضلّ من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, الذي يركبه أو يحاول ركوبه, والأخذ على يديه إذا رام ظلما لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك, ولا ضير عليكم في تماديه في غيه وضلاله إذا أنتم اهتديتم وأدّيتم حقّ الله تعالى فيه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب, لأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البرّ والتقوى ومن القيام بالقسط: الأخذ على يد الظالم ومن التعاون على البرّ والتقوى: الأمر بالمعروف. وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان للناس تَرْك ذلك, لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك, وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصا له تركه إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه. وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى, فبيّن أنه قد دخل في معني قوله: إذا اهْتَدَيْتُمْ ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب, من أن ذلك: أذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر, ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى: إلى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من عباده: اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به, وانتهوا عما نهيتكم عنه, ومروا أهل الزيغ والضلال وما حاد عن سبيلي بالمعروف, وانهوهم عن المنكر فإن قبلوا فلهم ولكم, وإن تمادوا في غيهم وضلالهم فإن إليّ مرجع جميعكم ومصيركم في الآخرة ومصيرهم, وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشرّ, فأخبر هناك كلّ

فريق منكم بـما كان يعمله فـي الدنـيا ثم أجازيه علـى عملـه الـذي قـدم بـه علـيّ جزاءه حسب استـحقاقه, فإنه لا يخفـى علـيّ عمل عامـل منكـم مـن ذكر أو أنثى.

الآية : 106

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يـا أَيّهَـا الّـذِينَ آمَنُـواْ شَـهَادَةُ بَيْنِكُـمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مّنْكُمْ أَوْ آخَـرَانِ مِـنْ غَيْرِكُـمْ إِنْ أَنتُمْ ضَـرَبْتُمْ فِـي الأَرْضِ فَأَصَـابَتْكُم مّصِـيبَةُ الْمَـوْتِ تَحْبِسُـونَهُمَا مِـن بَعْـدِ الصّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىَ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنّآ إِذاً لّمِنَ الآثِمِينَ }..

يقول تعالـى ذكره للـمؤمنـين به: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَـيْنِكُمْ يقول: لـيشهد بـينكم إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ الـمَوْتُ حِيـنَ الوَصِـيّةِ يقـول: وقـت الوصـية, اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ يقول: ذوا رشد وعقل وحِجا من الـمسلـمين. كما:

10115ـ حدثنا مـحمد بن بشار, وعبـيد الله بن يوسـف الـجبـيري, قـالا: حدثنا مؤمل بن إسماعيـل, قـال: حـدثنا شعبة, عـن قتـادة, عـن سـعيد بـن الـمسيب, فـي قوله: وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: ذوا عقل.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ فقال بعضهم: عنـي به: من أهل ملتكم. ذكر من قال ذلك:

10116ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, عن سعيد, عن قتـادة, عـن سـعيد بـن الـمسيب, قـال: شـاهدان ذوا عـدل منكـم مـن الـمسلـمين.

10117ـ حدثنا عمروان بن موسى القزّاز, قـال: حـدثنا عبـد الـوارث بـن سعيد, قال: حدثنا إسحاق بن سويد, عن يحيى بن يعمـر, فـي قـوله: اثْنـانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ من الـمسلـمين.

حدثنا ابن بشار وابن الـمثنى, قالا: حدثنا ابن أبـي عديّ, عن سعيد, عـن قتادة, عن سعيد بن الـمسيب, فـي قوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُـمْ قـال: اثنـان من أهل دينكم.

10118ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عـن أشـعث, عـن ابـن سيرين, عن عبـيدة, قال: سألته, عن قول الله تعالـى: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: من الـملة.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن هشام, عن ابن سيرين, عن عبـيدة, بـمثله, إلا أنه قال فـيه: من أهل الـملة.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن هشام, عن ابن سيرين, قال: سألت عبـيدة عن هذه الآية: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: من أهل الـملة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن ابن عون, عـن ابـن سـيرين, عـن عبـيدة, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسـين, عـن زائـدة, عـن هشـام, عـن ابـن سيرين, قال: سألت عبـيدة, فذكر مثله.

10119ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهدي, عن حماد, عن ابـن أبـي نـجيح, وقال: حدثنا مالك بن إسماعيـل, عن حمـاد بـن زيـد, عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

10120ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: ذوا عدل من أهل الإسلام.

10121ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: من المسلمين.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان سعيد بن المسيب يقول: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ: أي من أهل الإسلام.

وقال آخرون: عني بذلك: ذوا عدل من حيّ الموصي, وذلك قول رُوِي عن عكرمة وعبيدة وعدّة غيرهما.

واختلفوا في صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ما هي, وما هما؟ فقال بعضهم: هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي. وقال آخرون: هما وصيان.

وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان, قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم. وتأويل الذين قالوا: هما وصيان لا شاهدان, قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض, من قولك: شهدت وصية فلان, بمعنى حضرته.

وأولى التأويلين بقوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ تأويل من تأوّله بمعنى: أنهما من أهل الملة دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصي.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لأن الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله: يا أَيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ فغير جائز أن يُصرف ما عمه الله تعالى إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها. وإذ كان ذلك كذلك, فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم على العموم, كما كان ذكرهم ابتداء على العموم.

وأوْلَى المعنيين بقوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ اليمين, لا الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره لمن هي عنده على من هي عليه عند الحكام لأنّا لا نعلم لله تعالى حكما يجب فيه على الشاهد اليمين, فيكون جائزا صرف الشهادة في هذا الموضع إلى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة. وفي حكم الآية في هذه اليمين على ذوي العدل, وعلى من قام مقامهم في اليمين بقوله: تَحْبِسُوَنهُما مِنْ بَعْدِ الصّلاةِ فَيُقْسِمانِ باللّهِ أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك من أن الشهادة فيه الأيمان دون الشهادة التي يقضي بها للمشهود له على المشهود عليه, وفساد ما خالفه. فإن قال قائل: فهل وجدت في حكم الله تعالى يمينا تجب على المدّعي فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع إلى الصحة؟ فإن قلت: لا, تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأوّلت, لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله: فإنْ عُثِرَا على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما فآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ باللّهِ لشَهادَتُنا أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما هما المدعيين. وإن قلت بلى, قيل لك: وفي أيّ حكم الله تعالى وجدت ذلك؟ قيل: وجدنا ذلك في أكثر المعاني, وذلك في حكم الرجل يدّعي قِبَل رجل مالاً, فيقرّ به المدّعي عليه قبله ذلك ويدعي قضاءه, فيكون القول قول ربّ الدين, والرجل يعترف في يد الرجل السلعة, فيزعم المعترَفة في يده أنه اشتراها من المدّعي أو أن المدّعي

وهبها له, وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه. وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في هذا الموضع اليمين على المدّعيين اللذين عثرا على الجانيين فيما جنيا فيه.

واختلف أهل العربية في الرافع قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ, وقوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ. فقال بعض نحويي البصرة: معنى قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ شهادة اثنين ذوي عدل, ثم ألقيت الشهادة وأقيم الاثنان مقامها, فارتفعا بما كانت الشهادة به مرتفعة لو جعلت في الكلام. قال: وذلك في حذف ما حذف منه وإقامة ما أقيم مقام المحذوف, نظير قوله: وَاسأَلِ القَرْيَةَ وإنما يريد: واسأل أهل القرية, وانتصبت القرية بانتصاب الأهل وقامت مقامه, ثم عطف قوله: «أو آخران» على «الاثنين».

وقال بعض نحويي الكوفة: رفع الاثنين بالشهادة: أي ليشهدكم اثنان من المسلمين, أو آخران من غيركم. وقال آخر منهم: رفعت الشهادة ب «إذا حضر». وقال: إنما رفعت بذلك لأنه قال: «إذا حضر», فجعلها شهادة محذوفة مستأنفة, ليست بالشهادة التي قد رفعت لكلّ الخلق, لأنه قال تعالى ذكره: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ, وهذه شهادة لا تقع إلا في هذا الحال, وليست مما ثبت.

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب, قول من قال: الشهادة مرفوعة بقوله: إذَا حَضَرَ لأن قوله: إذا حَضَرَ بمعنى: عند حضور أحدكم الموت, والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم, وهو أن يشهد اثنان, فاكتفي من قيل أن يشهد بما قد جري من ذكر الشهادة في قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لأن الشهادة مصدر في هذا الموضع, والاثنان اسم, والاسم لا يكون مصدرا, غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال. فالأمر وإن كان كذلك, فصرف كل ذلك إلى أصحّ وجوهه ما وجدنا إليه سبيلاً أولى بنا من صرفه إلى أضعفها.

القول في تأويل قوله تعالى: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين, أو آخران من غير المسلمين.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ فقال بعضهم: معناه: أو آخران من غير أهل ملتكم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

10122ـ حدثنا حميد بن مسعدة, وبشر بن معاذ, قالا: حدثنا يزيد بن زريع, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ من أهل الكتاب.

حدثنا محمد بن بشار, ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت قتادة يحدّث, عن سعيد بن المسيب: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ: من أهل الكتاب.

حدثني أبو حفص الجبيري عبيد الله بن يوسف, قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, مثله.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد, مثله.

10123ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم وسليمان التيّمي, عن سعيد بن المسيب, أنهما قالا في قوله: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قالا: من غير أهل ملتكم.

10124ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, قال: ثني من سمع سعيد بن جبير, يقول, مثل ذلك.
10125ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا التيمي, عن أبي مجلز, قال: من غير أهل ملتكم.
10126ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن مغيرة, عن إبراهيم, مثله.
10127ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: إن كان قربه أحد من المسلمين أشهدهم, وإلا أشهد رجلين من المشركين.
10128ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا قتيبة, قال: حدثنا هشيم, عن المغيرة, عن إبراهيم, وسعيد بن جبير, في قوله: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قالا: من غير أهل ملتكم.
حدثنا عمرو, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سعيد: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من أهل الكتاب.
حدثنا عمرو, قال: حدثنا محمد بن سواء, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, مثله.
حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, مثله.
10129ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: حدثنا إسحاق بن سويد, عن يحيى بن يعمر, في قوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ من المسلمين, فإن لم تجدوا من المسلمين, فمن غير المسلمين.
10130ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن شريح, في هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته, فأشهد يهوديّا أو نصرانيا أو مجوسيا, فشهادتهم جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما, أجيزت شهادة المسلمين, وأبطلت شهادة الآخَرَيْن.
10131ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا الأعمش, عن إبراهيم, عن شريح: أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم إلا في الوصية, ولا يجيز شهادتهما على الوصية إلا إذا كانوا في سفر.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع, قالا: حدثنا الأعمش, عن إبراهيم, عن شريح, قال: لا تجوز شهادة اليهود والنصارى إلا في سفر, ولا تجوز في سفر إلا في وصية.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن شريح, نحوه.
10132ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي, قال: حدثنا سفيان, عن منصور عن إبراهيم, قال: كتب هشام بن هبيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين, فكتب: لا تجوز شهادة المشركين على المسلمين إلا في وصية, ولا يجوز في وصية إلا أن يكون الرجل مسافرا.

10133ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أشهب, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قال: سألته عن قول الله تعالى: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير الملة.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن هشام, عن ابن سيرين, عن عبيدة, بمثله.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام, عن ابن سيرين, قال: سألت عبيدة, عن ذلك فقال: من غير أهل الملة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن هشام, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قال: من غير أهل الصلاة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن هشام, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قال: من غير أهل دينكم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسين, عن زائدة, عن هشام, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قال: من غير أهل الملة.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا أبو حرّة, عن محمد بن سيرين, عن عبيدة: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير أهل ملتكم.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن عثمان, قال: حدثنا هشام بن محمد, قال: سألت سعيد بن جبير عن قول الله: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير أهل ملتكم.
10134ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, عن حماد بن زيد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا عمرو, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: من غير أهل ملتكم.
10135ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير أهل الإسلام.
10136ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: قال أبو إسحاق: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من اليهود والنصارى. قال: قال شريح: لا تجوز شهادة اليهوديّ والنصرانيّ إلا في وصية, ولا تجوز في وصية إلا في سفر.
10137ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا زكريا, عن الشعبي: أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدَقُوقَا, ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته, فأشهد رجلين من أهل الكتاب. فقدما الكوفة, فأتيا الأشعري فأخبراه, وقدما بتركته ووصيته, فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأحلفهما, وأمضى شهادتهما.
10138ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن مغيرة الأزرق, عن الشعبيّ: أن أبا موسى قضى بها بَدقُوقا.
10139ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا عثمان بن الهيثم, قال: حدثنا عوف, عن محمد, أنه كان يقول في قوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ شاهدان من المسلمين وغير المسلمين.
10140ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ: من غير أهل الإسلام.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا أبو حفص, عن ليث, عن مجاهد, قال: من غير أهل الإسلام.

10141ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلم في هذه الآية: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... الآية كلها. قال: كان ذلك في رجل تُوُفّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام, وذلك في أوّل الإسلام والأرض حرب والناس كفار, إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة, وكان الناس يتوارثون بالوصية, ثم نُسخت الوصية وفُرضت الفرائض, وعمل المسلمون بها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو آخران من غير حَيّكم وعشيرتكم. ذكر من قال ذلك:

10142ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عثمان بن الهيثم بن الجَهْم, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: شاهدان من قومكم ومن غير قومكم.

10143ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا صالح بن أبي الأخضر, عن الزهريّ, قال: مضت السنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر, إنما هي في المسلمين.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أي من عشيرته أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير عشيرته.

10144ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن ثابت بن زيد, عن عاصم, عن عكرمة: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير أهل حيكم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهديّ, عن ثابت بن زيد, عن عاصم, عن عكرمة: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير حيكم.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا ثابت بن زيد, عن عاصم الأحول, عن عكرمة في قول الله تعالى: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير أهل حيه يعني من المسلمين.

حدثني الحرث بن محمد, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبارك, عن الحسن: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: من غير عشيرتك, ومن غير قومك كلهم من المسلمين.

10145ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أيوب, عن ابن سيرين, عن عبيدة, قوله: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: مسلمين من غير حيكم.

10146ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني الليث, قال: ثني عقيل, قال: سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ... إلى قوله: وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ قلت: أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصي أهما من المسلمين أم هما من أهل الكتاب؟ وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما, أتراهما من غير أهل المرء الموصي؟ أم هما من غير المسلمين؟ قال ابن شهاب: لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها, وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا أحيانا, فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من إمام عادل, ولكنه يختلف فيها رأيهم. وكان أعجبهم فيها رأيا إلينا الذين كانوا يقولون: هي فيما بين

أهل الميراث من المسلمين, يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنه بعضهم, ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضروا من وصية, فإن سلموا جازت وصيته وإن ارتابوا أن يكونوا بدّلوا قول الميت وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشيء حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي صلاة المسلمين, فيقسمان بالله: إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى, ولا نكتم شهادة الله, إنا إذا لمن الآثمين فإذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ما لم يعثر على أنهما استحقا إثما في شيء من ذلك, فإن عثر قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الأوّلان المستحلفان أوّل مرّة, فيقسمان بالله: لشهادتنا على تكذيبكما أو إبطال ما شهدتما به وما اعتدينا, إنا إذن لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها, أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم... الآية.

وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب تأويل من تأوّله: أو آخران من غير أهل الإسلام وذلك أن الله تعالى عرّف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين أو اثنين من غير المؤمنين, ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم أو رجلين من غير عشيرتكم, وإنما يقال: صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم, أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين. فإذ كان لا وجه لذلك في الكلام, فغير جائز صرف مغلق كلام الله تعالى إلا إلى أحسن وجوهه. وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ إنما هو من أهل دينكم وملتكم بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه. وإذا صحّ ذلك بما دللنا عليه, فمعلوم أن معنى قوله: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ إنما هو: أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم. وإذ كان ذلك كذلك, فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدي وثن أو على أيّ دين كانا, لأن الله تعالى لم يخصص آخرين من أهل ملة بعينها دون ملة بعد ألاّ يكونا من (غير) أهل الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: صفة شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية, أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم, إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الأرض. وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله قيل للمسافر الضارب في الأرض. فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ يقول: فنزل بكم الموت. ووجه أكثر التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير وقالوا: معناه: شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم, إن وجدا, فإن لم يوجدا فآخران من غيركم, وإنما فعل ذلك من فعله, لأنه وجه معنى الشهادة في قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إلى معنى الشهادة التي توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم, أو يبطلها. ذكر بعض من تأوّل ذلك كذلك:

10147ـ حدثنا عمران بن موسى القزّاز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: حدثنا إسحاق بن سويد, عن يحيى بن يعمر, في قوله: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ من المسلمين, فإن لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين.

10148ـ حدثنا محمد بن بشار ومحمد بـن المثنـى, قـالا: حـدثنا ابـن أبـي عدي, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب في قوله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: اثنان من أهل دينكم, أو آخـران مـن غيركـم من أهل الكتاب إذا كان ببلاد لا يجد غيرهم.

10149ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عـن عامر, عن شريح في هذه الآية: شَـهادَةُ بَيْنِكُـمْ... إلـى قـوله: أوْ آخَـرَانِ مِـنْ غيرِكُمْ قال: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته, فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا, فشهادتهم جائزة.

10150ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَـرَ أحَـدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: هذا في الحضر, أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ في السفر, إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتَمْ فِي الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِـيبَةُ المَـوْتِ هـذا في الرجل يدركه الموت فـي سـفره وليـس بحضـرته أحـد مـن المسـلمين, فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس, فيوصي إليهما.

10151ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قـال: حـدثنا هشـيم, قـال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, وسعيد بن جبير, أنهما قالا في هذه الآية: يـا أيّهـا الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... الآية, قال: إذا حضـر الرجـلَ الوفـاة فـي سـفر, فيشهد رجلين من المسلمين, فإن لم يجـد رجليـن مـن المسـلمين فرجليـن من أهل الكتاب.

10152ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عـن علـيّ بـن أبـي طلحـة, عـن ابـن عبـاس: يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا شَـهادَةُ بَيْنِكُمْ...إلى قوله: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ فهذا لمن مات وعنده المسـلمون, فـأمره الله أن يشهد على وصيته عـدلين مـن المسـلمين. ثـم قـال: أوْ آخَـرَانِ مِـنْ غيرِكُمْ إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَـوْتِ فهـذا لمـن مـات وليس عنده أحد من المسلمين, فأمره الله تعالى بشـهادة رجليـن مـن غيـر المسلمين.

ووَجّه ذلك آخرون إلى معنى التخيير, وقالوا: إنما عني بالشهادة فـي هـذا الموضع الأيمان على الوصية التي أوصى إليهما وائتمان الميـت إياهمـا علـى ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدّياه إلى ورثته بعد وفاته إن ارتيب بهمـا. قـالوا: وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعا للأمانـة, مـن مـؤمن وكـافر, فـي السفر والحضر. وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضـى, وسنذكر بقيته إن شاء الله تعالى بعد.

القول في تأويل قوله تعالى: تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصّلاةِ فَيُقْسِمانِ باللّهِ إنِ ارْتَبْتُمْ لانَشْتَرِي بِهِ ثَمَنا وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: شـهادة بينكـم إذا حضـر أحـدكم الموت, إن شهد اثنان ذوا عدل منكم, أو كان أوصـى إليهمـا, أو آخـران مـن غيركم, إن كنتم في سفر فحضرتكم المنية فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم, فإذا أنتم أوصيتم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال فأصابتكم مصيبة الموت, فأدّيا إلى ورثتكم ما ائتمنتموها وادّعوا عليهما خيانة خاناهـا ممـا ائتمنـا عليـه, فـإن الحكـم فيهمـا حينئـذ أن تحبسوهما, يقول: تستوقفونهما بعد الصلاة. وفـي الكلام محـذوف اجـتزىء بدلالة ما ظهر منه على ما حذف, وهو: فأصابتكم مصيبة الموت وقد أسندتم

وصيتكم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال, فإنكم تحبسونهما من بعد الصلاة. فَيُقْسِمَانِ بالله إنِ ارْتَبْتُمْ يقول: يحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية أوصى إليهما بها, أو تبديلها. والارتياب: هو الاتهام. لاَنَشْتَري به ثَمَنا يقول: يحلفان بالله لانشتري بأيماننا بالله ثمنا, يقول: لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه وعلى مال نذهب به أو لحقّ نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وإليهم وصيتهم. والهاء في قوله «بِهِ» من ذكر الله, والمعني به الحلف والقَسَم ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به, فيعرف من معنى الكلام, واكتفي به من إعادة ذكر القسم والحلف. وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى يقول: يقسمان بالله لا نطلب بإقسامنا بالله عوضا فنكذب فيها لأحد, ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوِي الخبر عن ابن عباس. ذكر من قال ذلك:

10153ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين, فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين, فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله: لم نشتر بشهادتنا ثمنا قليلاً.

وقوله: تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصّلاةِ من صلاة الآخرين. ومعنى الكلام: أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم بهما, فيقسمان بالله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربَى.

واختلفوا في الصلاة التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية فقال: تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصّلاةِ فقال بعضهم: هي صلاة العصر. ذكر من قال ذلك:

10154ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا زكريا, عن الشعبي: أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا, فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته, فأشهد رجلين من أهل الكتاب. قال: فقدما الكوفة, فأتيا الأشعريّ فأخبراه, وقدما بتركته ووصيته, فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فأحلفهما بعد العصر باالله: ما خانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ولا غيّرا, وإنها لوصية الرجل وتركته. قال: فأمضى شهادتهما.

10155ـ حدثنا ابن بشار وعمرو بن عليّ, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: إذا كان الرجل بأرض الشرك فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب, فإنهما يحلفان بعد العصر.

10156ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن مغيرة, عن إبراهيم, بمثله.

10157ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنكُمْ... إلى: فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ فهذا رجل مات بغربة من الأرض وترك تركته وأوصى بوصيته وشهد على وصيته رجلان, فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد العصر. وكان يقال عندها تصير الأيمان.

10158ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم وسعيد بن جبير, أنهما قالا في هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ

آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ قالا: إذا حضر الرجل الوفاة في سفر, فليشهد رجلين من المسلمين, فإن لم يجد فرجلين من أهل الكتاب, فإذا قدما بتركته, فإن صدّقهما الورثة قبل قولهما, وإن اتهموهما أحلفا بعد صلاة العصر: بالله ما كذبنا, ولا كتمنا, ولا خُنّا, ولا غَيّرنا.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن القطان, قال: حدثنا زكريا, قال: حدثنا عامر: أن رجلاً توفي بدقوقا, فلم يجد من يشهده على وصيته إلاّ رجلين نصرانيين من أهلها, فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر في مسجد الكوفة: بالله ما كتما ولا غَيّرا, وإن هذه الوصية. فأجازها.

وقال آخرون: بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما. ذكر من قال ذلك:

10159ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... إلى قوله: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: هذا في الوصية عند الموت يوصي ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه, قال: هذا في الحضر: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ في السفر إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ هذا الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين, فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس, فيوصي إليهما ويدفع إليهما ميراثه, فيقبلان به, فإن رضي أهل الميت الوصية وعرفوا مال صاحبهم تركوا الرجلين, وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان, فذلك قوله: تَحْبِسُونَهُما منْ بَعْدِ الصّلاةِ... إن ارْتَبْتُمْ. قال عبد الله بن عباس: كأني أنظر إلى العِلْجين حين انتهى بهما إلى أبي موسى الأشعري في داره, ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوّنوهما, فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر, فقلت له: إنهما لا يباليان صلاة العصر, ولكن استحلفهما بعد صلاتهما في دينهما, فيوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما, ويحلفان بالله لا نشتري ثمنا قليلاً ولو كان ذا قربى, ولا نكتم شهادة الله, إنا إذن لمن الآثمين, أن صاحبهم لبهذا أوصى, وإن هذه لتركته. فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إنكما إن كتمتما كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما, ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فإذا قال لهما ذلك, فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا, قول من قال: تحبسونهما من بعد صلاة العصر لأن الله تعالى عرّف الصلاة في هذا الموضع بإدخال الألف واللام فيها, ولا تدخلهما العرب إلاّ في معروف, إما في جنس, أو في واحد معهود معروف عند المتخاطبين. فإذا كان كذلك, وكانت الصلاة في هذا الموضع مجمعا على أنه لم يعن بها جميع الصلوات, لم يجز أن يكون مرادا بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى, لأن لهم صلوات ليست واحدة, فيكون معلوما أنها المعنية بذلك. فإذ كان ذلك كذلك, صحّ أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين. وإذ كان ذلك كذلك, وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم صحيحا عنه أنه إذ لاعن بين العجلانيين لاعن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات, كان معلوما أن التي عنيت بقوله: تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصّلاةِ هي الصلاة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه. هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت, وذلك لقربه من غروب الشمس. وكان ابن زيد يقول في قوله: لا نَشْتَري به ثَمَنا ما:

10160ـ حدثني به يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنا قال: نأخذ به رشوة.
القول في تأويل قوله تعالى: وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ إنّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ.
اختلفت القراءة في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ بإضافة الشهادة إلى الله, وخفض اسم الله تعالى يعني: لا نكتم شهادة الله عندنا. وذكر عن الشعبيّ أنه كان يقرؤه كالذي:
10161ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن ابن عون, عن عامر, أنه كان يقرأ: وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ آللّهِ, إنّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ بقطع الألف وخفض اسم الله. هكذا حدثنا به ابن وكيع.
وكأن الشعبيّ وجه معنى الكلام إلى أنهما يقسمان بالله لا نشتري به ثمنا ولا نكتم شهادة عندنا, ثم ابتدأ يمينا باستفهام بالله أنهما إن اشتريا بأيمانهما ثمنا أو كتما شهادته عندهما لمن الآثمين.وقد رُوِي عن الشعبيّ في قراءة ذلك رواية تخالف هذه الرواية, وذلك ما:
10162ـ حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا عباد بن عباد, عن ابن عون, عن الشعبيّ, أنه قرأ: وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ إنّا إذا لَمِنَ الآثِمِينَ. قال أحمد, قال أبو عبيد: تنوّن شهادة, ويخفض «الله» على الاتصال. قال: وقد رواها بعضهم بقطع الألف على الاستفهام.
وحفظي أنا لقراءة الشعبيّ بترك الاستفهام. وقرأها بعضهم: «وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ» بتنوين الشهادة ونصب اسم «الله», بمعنى: ولا نكتم الله شهادة عندنا.
وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب, قراءة من قرأ: وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللّهِ بإضافة الشهادة إلى اسم «الله» وخفض اسم «الله», لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار التي لا يتناكر صحتها الأمة. وكان ابن زيد يقول في معنى ذلك: ولا نكتم شهادة الله وإن كان صاحبها بعيدا.
10163ـ حدثني بذلك يونس, قال: أخبرنا ابن زيد عنه.

الآية : 107

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإنْ عُثِرَ عَلَىَ أَنّهُمَا اسْتَحَقّآ إثْماً فَآخَرَانِ يقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَآ إنّا إذاً لّمِنَ الظّالِمِينَ }..
يعني تعالى ذكره بقوله: فإنْ عُثِرَ: فإن اطلع منهما, أو ظهر. وأصل العثر: الوقوع على الشيء والسقوط عليه, ومن ذلك قولهم: عثرت إصبع فلان بكذا: إذا صدمته وأصابته, ووقعت عليه ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:
بِذَانِ لَوْثٍ عَفَرْناةً إذَا عَثَرَتْفالتّعْسُ أدْنى لهَا مِنْ أنْ أقولَ لَعا
يعني بقوله: «عثرت»: أصاب ميسم خفها حجر أو غيره, ثم يستعمل ذلك في كلّ واقع على شيء كان عنه خفيا, كقولهم: «عَثَرَتْ على الغزل بأخَرَة, فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةً», بمعنى: وقعت.
وأما قوله: على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما فإنه يقول تعالى ذكره: فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية بعد حلفهما بالله: لا نشتري بأيماننا ثمنا, ولو كان ذا قُربى, ولا نكتم شهادة الله على أنهما استحقا إثما, يقول: على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها إثما, وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خنّا, ولا بدّلنا, ولا غَيّرنا, فإن وجدا قد

خانا من مال الميت شيئا, أو غَيّرا وصيته, أو بـدّلا, فأثمـا بـذلك مـن حلفهمـا بربهما فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما يقول: يقوم حينئذٍ مقامهما من ورثة الميـت الأوليان الموصى إليهما.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10164ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفـر, قـال: حـدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير: أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: إذا كـان الرجل بأرض الشرك فأوصى إلى رجلين مـن أهـل الكتـاب, فإنهمـا يحلفـان بعد العصر, فإذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئا, حَلَف أولياء الميـت إنه كان كذا وكذا, ثم استحقّوا.

10165ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شـعبة, عن مغيرة, عن إبراهيم, بمثله.

10166ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, في قوله: أَوْ آخَـرَانِ مِـنْ غيرِكُمْ مـن غيـر المسـلمين تحبسـونهما مـن بعـد الصـلاة, فـإن ارتِيـبَ فـي شهادتهما, استحلفا بعد الصـلاة بـالله: مـا اشـترينا بشـهادتنا ثمنـا قليلاً فـإن اطلع الأولياء على أن الكافِرَين كذبا في شـهادتهما, قـام رجلان مـن الأوليـاء فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة, وإنا لم نَعْتَدِ فـذلك قـوله: فـإنْ عُثِـرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْمـا يقـول: إن اطلـع علـى أن الكـافرين كـذبا, فَـآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما يقول: من الأولياء, فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة, وإنّا لم نعتد. فتردّ شهادة الكافرين, وتجوز شهادة الأولياء.

10167ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فـإنْ عُثِرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما أي اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما.

واختلف أهل التأويل في المعنـى الـذي لـه حكـم اللـه تعـالى ذكـره علـى الشاهدين بالأيمان فنقلها إلى الآخرين بعد أن عُثِر عليهما أنهما استحقا إثما. فقال بعضهم: إنما ألزمهما اليمين إذا ارتيب في شهادتهما علـى الميـت فـي وصيته أنه أوصى لغير الـذي يجـوز فـي حكـم الإسـلام, وذلـك أن يشـهد أنـه أوصى بماله كله, أو أوصى أن يفضّل بعض ولده ببعض ماله. ذكـر مـن قـال ذلك:

10168ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا شَـهادَةُ بَيْنِكُـمْ إذَا حَضَـرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ... إلى قوله: ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ من أهل الإسـلام, أَوْ آخَـرَانِ مِـنْ غيرِكُمْ من غير أهل الإسلام, إنْ أنْتُمْ ضَـرَبْتُمْ فِـي الأرْضِ... إلـى: فَيُقْسِـمانِ باللّهِ يقول: فيحلفان بالله بعد الصلاة, فإن حلفا على شيء يخالف مـا أنـزل الله تعالى من الفريضة, يعني اللّذَينِ ليسا من أهل الإسلام, فآخران يقومان مقامهما من أولياء الميت, فيحلفان بالله: ما كان صـاحبنا ليوصِـيَ بهـذا, أو: إنهما لكاذبان, ولشهادتنا أحقّ من شهادتهما.

10169ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: يوقـف الـرجلان بعـد صـلاتهما فـي دينهمـا, يحلفان بالله: لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قُربى ولا نكتم شهادة الله, إنّا إذن لمن الآثمين إن صاحبكم لبهذا أوصـى, وإن هـذه لـتركته فـإذا شـهدا, وأجـاز الإمام شهادتهما على ما شـهدا, قـال لأوليـاء الرجـل: اذهبـوا فاضـربوا فـي الأرض واسألوا عنهما, فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة أو أحـدا يطعـن عليهمـا

رددنا شهادتهما فينطلق الأولياء فيسألون, فإن وجدوا أحدا يطعنُ عليهمـا أو هما غير مرضيين عندهم, أو اطّلع على أنهمـا خانـا شـيئا مـن المـال وجـدوه عندهما, فأقبل الأولياء فشـهدوا عنـد الإمـام وحلفـوا بـالله: لشـهادتنا إنهمـا لخائنان متهمان في دينهما مطعون عليهما أحقّ من شهادتهما بما شهدا, وما اعتدينا. فـذلك قـوله: فـإنْ عُـثرَ علـى أنّهُمـا اسْـتَحَقّا إثْمـا فَـآخَرَانِ يَقُومـانِ مَقامَهُما مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ.

وقال آخرون: بل إنما ألزم الشاهدان اليمين, لأنهما ادّعيا أنه أوصى لهمـا ببعض المال. وإنما ينقل إلى الآخرين من أجل ذلك إذا ارتابوا بدعواهما. ذكر من قال ذلك:

10170ـ حدثنا عمران بن موسى القزّاز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعد, قال: حدثنا إسحاق بن سويد, عن يحيى بن يعمر في قوله: تَحْبِسُـونَهُما مِـنْ بَعْدِ الصّلاةِ فَيُقْسِمانِ باللّهِ قال: زعما أنه أوصى لهما بكـذا وكـذا, فـإنْ عُثِـرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما أي بدعواهما لأنفسهما, فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ أنّ صاحبنا لم يوص إليكما بشيء مما تقولان.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن الشاهدين ألزما اليمين في ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله, ودعواهم قبلها خيانة مال معلوم المبلغ, ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التي كانت من الورثة فيهما, وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما, فيحلف الوارث حينئذٍ مع شهادة الشاهد عليهما أو على أحدهما إنما صحح دعواه إذا حقق حقه, أو الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادّعى عليهما الوارث أو بجميعه, ثم دعواهما في الذي أقرّا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلاّ ببينة, ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بينة, فينقل حينئذٍ اليمين إلى أولياء الميت.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة, لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ارتيب بشهادتهما أو لم يرتب بها, فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيرا لذلك. ولم نجد ذلك كذلك صحّ بخبر عن الررسول صلى الله عليه وسلم ولا بإجماع من الأمة, لأن استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله تعالى, فيكون أصلاً مسلما. والمقول إذا خرج من أن يكون أصلاً أو نظيرا لأصل فيما تنازعت فيه الأمة, كان واضحا فساده. وإذا فسد هذا القول بما ذكرناه, فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادّعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم في أن من حكم الله تعالى أن مدّعيا لو ادّعى في مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدّعي في ماله الوصية مع أيمانهم, دون قول مدّعي ذلك مع يمينه, وذلك إذا لم يكن للمدّعي بينة. وقد جعل الله تعالى اليمين في هذه الآية على الشهود إذا ارتيب بهما, وإنما نقل الإيمان عنهم إلى أولياء الميت, إذا عُثِر على أن الشهود استحقوا إثما في أيمانهم فمعلوم بذلك فساد قول من قال: ألزم اليمين الشهود لدعواهم لأنفسهم وصية أوصى بها لهم الميت في ماله, على أن ما قلنا في ذلك ع ن أهل التأويل هو التأويل الذي وردت به الأخبار عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم وبسببهم. ذكر من قال ذلك:

10171ـ حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن يحيى بن أبي زائدة, عن محمد بن أبي القاسم, عن عبد الملك بن سعيد بن جبير, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الدارّي وعديّ بن بداء, فمات السهميّ بأرض ليس فيها مسلم, فلما قدما بتركته, فقدوا جاما من فضة مخوّصا بالذهب, فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وُجد الجام بمكة, فقالوا: اشتريناه من تميم الداريّ وعديّ بن بداء. فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا: لشهادتنا أحقّ من شهادتهما, وأن الجام لصاحبهم. قال: وفيهم أنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ.

10172ـ حدثنا الحسن بن أبي شعيب الحراني, قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن أبي النضر, عن زاذان مولى أمّ هانيء ابنة أبي طالب, عن ابن عباس, عن تميم الدرايّ في هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوْتُ قال: برىء الناس منها غيري وغير عديّ بن بداء, وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام, فأتيا الشام لتجارتهما, وقدم عليهما مولى لبني سهم, يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة, ومعه جام فضة يريد بن الملك, وهو عظم تجارته, فمرض, فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات, أخذنا ذلك الجام, فبعناه بألف درهم فقسمناه أنا وعديّ بن بداء, (فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا, وفقدوا الجام فسألونا عنه) فقلنا: ما ترك غير هذا, وما دفع إلينا غيره. قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك, فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر, وأدّيت إليهم خمسمائة درهم, وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها, فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسألهم البينة فلم يجدوا, فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه, فحلف, فأنزل الله تعالى: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... إلى قوله: أنْ تُرّدّ أيمَانٌ بَعْدَ أيمانِهِمْ فقام عمرو بن العاص, ورحل آخر منهم, فحلفا, فنزعت الخمسمائة من عَديّ بن بداء.

10173ـ حدثنا القاسم: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة وابن سيرين وغيره. قال: وثنا الحجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة, دخل حديث بعضهم في بعض: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... الآية, قال: كان عديّ وتميم الداريّ وهما من لخم نصرانيان يتجران إلى مكة في الجاهلية. فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حوّلا متجرهما إلى المدينة, فقدم ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص المدينة, وهو يريد الشام تاجرا. فخرجوا جميعا, حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية, فكتب وصيته بيده ثم دسّها في متاعه, ثم أوصى إليهما. فلما مات, فتحا متاعه, فأخذا ما أرادا. ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا, ففتح أهله متاعه, فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به, وفقدوا شيئا فسألوهما عنه, فقالوا: هذا الذي قبضنا له ودفع إلينا قال لهما أهله: فباع شيئا أو ابتاعه؟ قالا: لا. قالوا: فهل استهلك من متاعه شيئا؟ قالا: لا. قالوا: فهل تجرَ تجارة؟ قالا: لا. قالوا: فإنا قد فقدنا بعضه فاتهما, فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فنزلت هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوْتُ... إلى قوله: إنّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما في دبر صلاة العصر: بالله الذي لا إله

إلاّ هو, ما قبضنا له غير هذا ولا كتمنا قال: فمكثنا ما شاء الله أن نمكث, ثم ظهر معهما على إناء من فضة منقوش مموّه بذهب, فقال أهله: هذا من متاعه, قالا: نعم, ولكنا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا, فكرهنا أن نكذّب أنفسنا فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فنزلت الآية الأخرى: فإن عُثِرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيّبا ويستحقانه. ثم إن تميما الداريّ أسلم وبايع النبيّ صلى الله عليه وسلم, وكان يقول: صدق الله ورسوله, أنا أخذت الإناء.

10174ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ... الآية كلها, قال: هذا شيء حين لم يكن الإسلام إلاَّ بالمدينة, وكانت الأرض كلها كفرا, فقال الله تعالى: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْل مِنْكُمْ من المسلمين, أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ من غير أهل الإسلام, إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ في الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ قال: كان الرجل يخرج مسافرا والعرب أهل كفر, فعسى أن يموت في سفره فيسند وصيته إلى رجلين منهم, فيقسمان بالله إن ارتبتم في أمرهما إذا قال الورثة: كان مع صاحبنا كذا وكذا, فيقسمان بالله: ما كان معه إلاّ هذا الذي قلنا. فإنْ عُثِرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما إنما حلفا على باطل وكذب. فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ بالميت فَيُقْسِمانِ بِاللّهِ لَشَهادَتَنَا أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما وَما اعْتَدَيْنا إنّا إذا لَمِنَ الظّالِمِينَ ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا, قال هؤلاء: لم يكن معه. قال: ثم عثر على بعض المتاع عندهما, فلما عثر على ذلك ردّت القَسَامة على وارثه, فأقسما, ثم ضمن هذان. قال الله تعالى: ذَلِكَ أدْنَى أنْ يَأتُوا بالشّهادَةِ على وَجْهِها أوْ يَخافُوا أنْ تُرَدّ أيمَانٌ فتبطل أيمانُهم, وَاتّقُوا اللّهَ وَاسْمَعوا وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ الكاذبين الذين يحلفون على الكذب. وقال ابن زيد: قدم تميم الداريّ وصاحب له, وكانا يومئذٍ مشركين ولم يكونا أسلما, فأخبرا أنهما أوصى إليهما رجل, وجاءا بتركته, فقال أولياء الميت: كان مع صاحبنا كذا وكذا, وكان معه إبريق فضة وقال الآخران: لم يكن معه إلاّ الذي جئنا به. فحلفا خلف الصلاة. ثم عثر عليهما بعد والإبريق معهما فلما عثر عليهما ردّت القسامة على أولياء الميت بالذي قالوا مع صاحبهم, ثم ضمنها الذي حلف ليه الأوليان.

10175ـ حدثنا الربيع, قال: حدثنا الشافعيّ, قال: أخبرنا سعيد بن معاذ بن موسى الجعفريّ, عن بكير بن معروف, عن مقاتل بن حيان, قال بكر: قال مقاتل: أخذت هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك في قول الله: اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أن رجلين نصرانيين من أهل دَارِين, أحدهما تميمي والآخر يماني, صاحبَهما مولى لقريش في تجارة, فركبوا البحر ومع القرشيّ مال معلوم قد علمه أولياؤه من بين آنية وبزَ ورِقَة. فمرض القرشيّ, فجعل وصيته إلى الداريّين, فمات. وقبض الداريان المال والوصية, فدفعاه إلى أولياء الميت, وجاءا ببعض ماله. وأنكر القوم قلة المال, فقالوا للداريّين: إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما اتيتمونا به, فهل باع شيئا أو اشترى شيئا فوُضِعَ فيه؟ أو هل طال مرضه فأنفق على

نفسه؟ قالا: لا. قالوا: فإنكما خنتمانا فقبضوا المال ورفعوا أمرهما إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله تعالى: يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... إلى آخر الآية. فلما نزل: أن يُحبسا من بعد الصلاة, أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلاة, فحلفا بالله ربّ السموات ما ترك مولاكم من المال إلاّ ما أتيناكم به, وإنا لا نشتري بأيماننا ثمنا قليلاً من الدنيا ولو كان ذا قُربى, ولا نكتم شهادة الله, إنّا إذن لمن الآثمين فلما حلفا خُلّي سبيلهما. ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت, فأخِذ الداريان فقالا: اشتريناه منه في حياته وكذبا, فكُلّفا البينة فلم يقدرا عليها. فرفعوا ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله تعالى: فإن عُثِرَ يقول: فإن اطّلع على أنهما استحقا إثما, يعني الداريّين إن كَتَما حقّا, فآخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان, فيقسمان بالله إن مال صاحبنا كان كذا وكذا, وإن الذي يُطْلَب قِبَل الدار يّين لحقّ, وما اعتدينا, إنّا إذن لمن الظالمين. هذا قول الشاهدين أولياء الميت, ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها, يعني: الداريين والناس أن يعودوا لمثل ذلك.

قال أبو جعفر: ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التي روينا دليل واضح على صحة ما قلنا من أن حكم الله تعالى باليمين على الشاهدين في هذا الموضع, إنما هو من أجل دعوى ورثته على المسنَد إليهما الوصية خيانة فيما دفع الميت من ماله إليهما, أو غير ذلك مما لا يبرأ فيها المدّعي ذلك قبله إلاّ بيمين, وإن نقل اليمين إلى ورثة الميت, بما أوجبه الله تعالى بعد أن عثر على الشاهدين أنهما استحقّا إثما في أيمانهما, ثم ظُهِر على كذبهما فيها, إنّ القوم ادّعوا فيما صحّ أنه كان للميت دعوى من انتقال ملك عنه إليهما ببعض ما تزول به الأملاك, مما يكون اليمين فيها على ورثة الميت دون المدّعَى, وتكون البينة فيها على المدعي وفساد ما خالف في هذه الآية ما قلنا من التأويل. وفيها أيضا البيان الواضح على أن معنى الشهادة التي ذكرها الله تعالى في أوّل هذه القصة إنما هي اليمين, كما قال الله تعالى في مواضع أخر: والَّذِينَ يَرْمونَ أَزْوَاجَهُمْ ولَمْ يكُنْ لهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ فشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أرْبَعُ شَهاداتٍ باللّهِ إنّهُ لمِنَ الصّادقينَ, فالشهادة في هذا الموضع معناها القسم من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين, وكذلك معنى قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إنما هو قَسَم بينكم, إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ أن يقسم اثْنان ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ إن كانا ائتمنا على ما قال, فارتيب بهما, أو ائتمن آخران من غير المؤمنين فاتهما. وذلك أن الله تعالى لمّا ذكر نقل اليمين من اللذين ظهر على خيانتهما إلى الآخرين, قال: فَيُقْسِمانِ باللّهِ لَشَهادَتُنا أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما. ومعلوم أن أولياء الميت المدّعين قِبَل اللذين ظهر على خيانتهما, غير جائز أن يكون شهداء بمعنى الشهادة التي يؤخذ بها في الحكم حقّ مدّعى عليه لمدّع, لأنه لا يعلم لله تعالى حكم قضى فيه لأحد بدعواه, ويمينه على مدّعًى عليه بغير بينة ولا إقرار من المدّعى عليه ولا برهان. فإذا كان معلوما أن قوله: لشَهادَتُنا أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما إنما معناه: قسمنا أحقّ من قسمهما, وكان قسم اللذين عثر على أنهما أثما هو الشهادة التي ذكر الله تعالى في قوله: أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما صح أن معنى قوله: شَهادَةِ بَيْنِكُمْ بمعنى الشهادة في قوله: لَشَهادَتُنا أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما وأنها بمعنى القسم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ فقرأ ذلك قرّاء الحجاز والعراق والشام: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ» بضم التاء. ورُوِي عن عليّ وأبي بن كعب والحسن البصري أنهم قرءوا ذلك: مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ بفتح التاء.

واختلفت أيضا في قراءة قوله: الأوْلَيانِ فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والشام والبصرة: الأوْلَيانِ, وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: «الأوليين». وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «مِنَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوّلانِ».

وأولى القراءتين بالصواب في قوله: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِم» قراءة من قرأ بضمّ التاء, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, مع مساعدة عامّة أهل التأويل على صحة تأويله, وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله: فآخران من أهل الميت الذين استحقّ المؤتمنان على مال الميت الإثم فيهم, يقومان مقام المستحقّ الإثم فيهما بخيانتهما ما خانا من مال الميت. وقد ذكرنا قائل ذلك أو أكثر قائليه فيما مضى قبل, ونحن ذاكروا باقيهم إن شاء الله تعالى ذلك.

10176ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله تعالى: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران لا يحضره غير اثنين منهم, فإن رضي ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك, وحلف الشاهدان إن اتهما لصادقان, فإن عثر وجد لطخ حلف الاثنان الأوليان من الورثة, فاستحقا, وأبطلا أيمان الشاهدين.

وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بفتح التاء, أرادوا أن يوجهوا تأويله إلى: فَآخران يقومان مقامهما مقام المؤتمنين اللذين عثر على خيانتهما في القسم والاستحقاق به عليهما دعواهما قبلهما من الذين استحقّ على المؤتمنين على المال على خيانتهما القيام مقامهما في القسم والاستحقاق في الأوليان بالميت. وكذلك كانت قراءة من رُوِيت هذه القراءة عنه, فقرأ ذلك: مِنَ الّذِينَ استَحَقّ بفتح التاء على معنى: الأوليان بالميت وماله. وذلك مذهب صحيح وقراءة غير مدفوعة صحتها, غير أنا نختار الأخرى لإجماع الحجة من القرّاء عليها مع موافقتها التأويل الذي ذكرنا عن الصحابة والتابعين.

10177ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عبد الرحمن وكريب عن عليّ, أنه كان يقرأ: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ».

10178ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, عن حماد بن زيد, عن وائل مولى أبي عبيد, عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر, عن أبيّ بن كعب, أنه كان يقرأ: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ».

وأما أولى القراءات بالصواب في قوله: الأوْلَيانِ عندي, فقراءة من قرأ: الأوْلَيانِ بصحة معناها وذلك لأن معنى: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الإثم, ثم حذف «الإثم» وأقيم مقامه «الأوليان», لأنهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتمنهما عليه الميت, كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم, وحذفهم الاسم

اجتزاء بالفعل. ومن ذلك ما قد ذكرنا في تأويل هذه القصة, وهو قوله: شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّةِ اثْنانِ ومعناه: أن يشهد اثنان, وكما قال: فَيُقْسِمان باللّهِ إنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِه ثَمَنا فقال «به», فعاد بالهاء على اسم «الله» وإنما المعنى: لا نشتري بقسمنا بالله, فاجتزىء بالعود على اسم الله بالذكر, والمراد به: لا نشتري بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم. وكذلك اجتزىء بذكر الأوليين من ذكر الإثم الذي استحقه الخائنان لخيانتهما إياها, إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته, وذلك قوله: فإنْ عُثِرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما. وأما الذين قرءوا ذلك «الأوّلين» فإنهم قصدوا في معناه إلى الترجمة به عن «الذين», فأخرجوا ذلك على وجه الجمع, إذ كان «الذين» جمعا وخفضا, إذ كان «الذين» مخفوضا. وذلك وجه من التأويل, غير أنه إنما يقال للشيء أوّل إذا كان له آخر هو له أوّل, وليس للذين استحقّ عليهم الإثم آخرهم له أوّل, بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا إثما قبل إيمانهم, فهم إلى أن يكونوا إذ كانت أيمانهم آخرا أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أوّلين وأيمانهم آخرة لأولى قبلها. وأما القراءة التي حكيت عن الحسن, فقراءة عن قراءة الحجة من القرّاء شاذّة, وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بعدها من الصواب.

واختلف أهل العربية في الرافع لقوله: الأوْلَيانِ إذا قرىء كذلك, فقال بعض نحويي البصرة: يزعم أنه رفع ذلك بدلاً من «آخران» في قوله: فآخَرَانِ يَقومانِ مَقامَهُما وقال: إنما جاز أن يبدل الأوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة, لأنه حين قال: يَقُومانِ مَقامهمَا مِنَ الّذِينَ اسْتحقّ عَلَيْهِم كان كأنه قد حدّهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى, فقال: «الأوْلَيانِ», فأجرى المعرفة عليهما بدلاً. قال: ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير. واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز:

عَلَيّ يوْمَ يمْلِكُ الأمُورَاصَوْمَ شُهورٍ وَجَبتْ نُذورَاوبَادِنا مُقَلّدا مَنْحورَا

قال: فجعله «عليّ واجب», لأنه في المعنى قد أوجب.

وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك ويقول: لا يجوز أن يكون «الأوليان» بدلاً من «آخران» من أجل أنه قد نَسَق «فيقسمان» على «يقومان» في قوله: فَآخَرَانِ يَقُومانِ فلم يتمّ الخبر عند من قال: لا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر, كما قال: غير جائز «مررت برجل قام زيد وقعد» وزيد بدل من رجل.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: «الأوليان» مرفوعان بما لم يسمّ فاعله, وهو قوله: «اسْتُحِقّ عَلَيْهِم» وأنهما موضع الخبر عنهما, فعمل فيهما ما كان عاملاً في الخبر عنهما وذلك أن معنى الكلام: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الإثم بالخيانة, فوضع «الأوليان» موضع «الإثم» كما قال تعالى في موضع آخر: أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَام كمَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ومعناه: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر؟ وكما قال: وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ, وكما قال بعض الهذليين:

يُمَشّي بَيْنَنا حانُوتُ خَمْرٍمِنَ الخُرْسِ الصّرَاصِرَةِ القِطاطِ

وهو يعني صاحب حانوت خمر, فأقام الحانوت مقامه لأنه معلوم أن الحانوت لا يمشي, ولكن لما كان معلوما عنده أنه لا يخفى على سامعه ما

قصد إليه من معناه حذف الصاحب, واجتزأ بذكر الحانوت منه, فكذلك قوله: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ» إنما هو من الذين استحقّ فيهم خيانتهما, فحذفت «الخيانة» وأقيم «المختانان» مقامها, فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف ولو ظهر. وأما قوله: «عليهم» في هذا الموضع, فإن معناها: فيهم, كما قال تعالى: وَاتّبَعُوا ما تَتْلُوا الشّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ يعني: في ملك سليمان, وكما قال: ولأُصَلّبَنّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ ف «في» توضع موضع «على», و «على» في موضع «في» كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام, ومنه قول الشاعر:

مَتَى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوهاعلى أقْطارِها عَلَقٌ نَفِيثُ

وقد تأوّلت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى: «فإنْ عُثِرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ» أنهما رجلان آخران من المسلمين, أو رجلان أعدل من المُقسِمَين الأوّلين. ذكر من قال ذلك:

10179ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن عامر, عن شريح في هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيّة اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ قال: إذا كان الرجل بأرض غُرْبة, ولم يجد مسلما يشهده على وصيته, فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا, فشهادتهم جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان, فشهدا بخلاف شهادتهم, أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين.

10180ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فإنْ عُثِرَ أي اطلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما, فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا, أجيزت شهادة الآخرين وأبطلت شهادة الأوّلين.

10181ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن عبد الملك, عن عطاء, قال: كان ابن عباس يقرأ: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأوّلَيْنِ» قال: كيف يكون «الأوْلَيان», أرأيت لو كان الأوليان صغيرين؟

حدثنا هناد وابن وكيع, قال: حدثنا عبدة, عن عبد الملك, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: كان يقرأ: «مِنَ الّذِينَ اسْتُحِقّ عَلَيْهِمُ الأوّلَيْنِ» قال: وقال: أرأيت لو كان الأوليان صغيرين, كيف يقومان مقامهما؟

قال الإمام أبو جعفر: فذهب ابن عباس فيما أرى إلى نحو القول الذي حكيت عن شريح وقتادة, من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانيّين, أو عَدْلان من المسلمين هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الأوّلين أو المُقسِمَين. وفي إجماع جميع أهل العلم على أن لا حكم لله تعالى يجب فيه على شاهد يمين فيما قام به من الشهادة, دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذي قاله الحسن ومن قال بقوله في قول الله تعالى: فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما أولى به.

وأما قوله الأوْلَيانِ فإن معناه عندنا: الأولى بالميت من المقسمين الأوّلين فالأولى, وقد يحتمل أن يكون معناه: الأولى باليمين منهما فالأولى, ثم حذف «منهما» والعرب تفعل ذلك فتقول: فلان أفضل, وهي تريد أفضل منك, وذلك إذا وضع أفعل موضع الخبر. وإن وقع موقع الاسم وأدخلت فيه الألف واللام, فعلوا ذلك أيضا إذا كان جوابا لكلام قد مضى, فقالوا: هذا

الأفضل, وهذا الأشرف يريدون هو الأشرف منك. وقال ابن زيد: معنى ذلك: الأوليان بالميت.

10182ـ حدثني يونس, عن ابن وهب, عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: فَيُقْسِمانِ باللّهِ لَشَهادَتُنا أحَقّ مِنْ شَـهادتِهِم وَما اعْتَدَيْنا إنّا إذَنْ لَمِنَ الظّالِمِينَ.

يقول تعالى ذكره: فيُقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عـثر علـى أنهمـا اسـتحقا إثمـا بخيانتهمـا مـال الميـت الأوليـان بـاليمين والميـت مـن الخـائنين: لَشَـهادَتُنا أحَـقّ مِـنْ شَـهادَتِهما يقـول: لأيماننـا أحـقّ مـن أيمـان المقسمين المستحقين الإثم وأيمانهما الكاذبة في أنهما قد خانا في كذا وكذا من مال ميتنا, وكـذا فـي أيمانهمـا الـتي حلفـا بهـا. وَمـا اعْتَـدَيْنا يقـول: ومـا تجاوزنا الحقّ في أيماننا. وقد بينا أن معنى الاعتداء: المجـاوزة فـي الشـيء حدّه. إنّا إذَنْ لَمِنَ الظّـالِمِينَ يقـول: إنـا إن كنـا اعتـدينا فـي أيماننـا, فحلفنـا مبطلين فيها كاذبين, لمِنَ الظّالِمِينَ يقول: لَمِنْ عِدَادِ مَنْ يأخذ مـا ليـس لـه أخذه, ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن يَأْتُواْ بِالشّهَادَةِ عَلَىَ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوَاْ أَن تُرَدّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتّقُوا اللّهَ وَاسْمَعُواْ وَاللّـهُ لاَ يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْفَاسِقِينَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلكَ: هذا الذي قلت لكم فـي أمـر الأوصـياء إذا ارتبتم في أمرهم واتهمتموهم بخيانة المال من أوصى إليهم من حَبْسهم بعد الصلاة, واستحلافكم إياهم على ما ادّعى قِبَلهم أولياء الميـت أدْنـى لَهُـم أنْ يَأتُوا بالشّهادَةِ على وجهها يقول: هـذا الفعـل إذا فعلتـم بهـم أقـرب لهـم أن يصدقُوا في أيمانهم, ولا يكتموا, ويقرّوا بالحقّ, ولا يخونوا. أوْ يَخافُوا أنْ تُـرَدّ أيمَـانٌ بَعْـدَ أيمَـانِهِمْ يقـول أو يخـافوا هـؤلاء الأوصـياء إن عُثِـر عليهـم أنهـم استحقوا إثمـا فـي أيمـانهم بـالله, أن تـردّ أيمـانهم علـى أوليـاء الميـت بعـد أيمـانهم الـتي عـثر عليهـا أنهـا كـذب, فيسـتحقوا بهـا مـا ادّعـوا قِبَلهـم مـن حقـوقهم, فيصـدقوا حينئـذٍ فـي أيمـانهم وشـهادتهم مخافـة الفضـيحة علـى أنفسهم وحذرا أن يستحقّ عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد تقدمت الروايـة بـذلك عـن بعضهم, نحن ذاكرو الرواية في ذلك عن بعض من بقي منهم.

10183ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحـة, عـن ابـن عبـاس: فـإن عُثِـرَ علـى أنّهُمـا اسْـتَحَقّا إثْمـا يقـول: إن اطلـع علـى أن الكـافرين كـذبا, فـآخَرَانِ يَقُومَـانِ مَقَامَهُمَا يقول: من الأولياء, فحلفا بالله أن شهادة الكـافرين باطلـة وأنّـا لـم نعتدِ, فتردّ شهادة الكافرين وتجوز شهادة الأولياء. يقول تعـالى ذكـره: ذلـك أدنى أن يأتي الكافرون بالشهادة على وجهها, أو يخـافوا أن تـردّ أيمـان بعـد أيمـانهم. وليـس علـى شـهود المسـلمين أقسـام, وإنمـا الأقسـام إذا كـانوا كافرين.

10184ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ذَلِكَ أدْنَى أنْ يَأتُوا بالشّهادَةِ... الآية, يقول: ذلـك أحـرى أن يصدقوا في شهادتهم, وأن يخافوا العقاب.

10185ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَوْ يَخافُوا أنْ تُرَدّ أيمَانٌ بَعْدَ أيمَانِهِمْ قال: فتبطل أيمانهم, وتؤخذ أيمان هؤلاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: تحبسونهما من بعد الصلاة, ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها, وعلى أنهما استحقا إثما, فآخران يقومان مقامهما. ذكر من قال ذلك:

10186ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما, فيحلفان بالله لا نشتري به ثمنا قليلاً ولو كان ذا قُربى, ولا نكتم شهادة الله, إنا إذن لمن الآثمين, إنّ صاحبكم لبهذا أوصى, وإن هذه لتركته فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا: إنكما إن كنتما كتمتما أو خنتما فضحتكما في قومكما ولم أجز لكما شهادة وعاقبتكما. فإن قال لهما ذلك, فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها.

القول في تأويل قوله تعالى: وَاتّقُوا اللّـهَ وَاسمَعُوا وَاللّـهُ لا يَهدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس, وراقبوه في أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبة وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله, وأن تخونوا من ائتمنكم. واسمَعُوا يقول: اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به, فاعملوا به وانتهوا إليه. وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ يقول: والله لا يوفق من فسق عن أمر ربه فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه.

وكان ابن زيد يقول: الفاسق في هذا الموضع: هو الكاذب.

10187ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ: الكاذبين يحلفون على الكذب.

وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفوع, إلاّ أن الله تعالى عمّ الخبر بأنه لا يهدي جميع الفساق, ولم يخصص منهم بعضا دون بعض بخبر ولا عقل, فذلك على معاني الفسق كلها حتى يخصص شيئا منه ا ما يجب التسليم له فيسلم له.

ثم اختلف أهل العلم في حكم هاتين الآيتين, هل هو منسوخ, أو هو محكم ثابت؟ فقال بعضهم: هو منسوخ. ذكر من قال ذلك:

10188ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن رجل, قد سماه, عن حماد, عن إبراهيم, قال: هي منسوخة.

10189ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قال: هي منسوخة. يعني هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ... الآية.

وقال جماعة: هي محكمة وليست بمنسوخة. وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى.

والصواب من القول في ذلك أن حكم الآية منسوخ, وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره الذي عليه أهل الإسلام, من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم, إلى يومنا هذا, أن من ادّعِيَ عليه دعوى مما يملكه بنو آدم أن المدّعى عليه لا يبرئه مما ادّعِيَ عليه إلاّ اليمين إذا لم يكن للمدّعي بينة تصحح دعواه, وأنه إن اعترف وفي يدي المدّعى سلعة له, فادّعى أنها له دون الذي في يده, فقال الذي هي في يده: بل هي لي

اشتريتها من هذا المدّعي, أن القول قول من زعم الذي هي في يده أنه اشتراها منه دون من هي في يده مع يمينه إذا لم يكن للذي هي في يده بينة تحقق به دعواه الشراء منه. فإذ كان ذلك حكم الله الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم, وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصي إلى عدلين من المسلمين أو إلى آخرَيْن من غيرهم, إنما ألزَم النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه الوصيين اليمين حين ادّعى عليهما الورثة ما ادّعوا ثم لم يُلزم المدّعى عليهما شيئا إذ حلفا, حتى اعترفت الورثة في أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الإبريق أو غير ذلك من أموالهم فزعما أنهما اشترياه من ميتهم, فحينئذٍ ألزم النبيّ صلى الله عليه وسلم ورثة الميت اليمين, لأن الوصيين تحوّلا مدّعِيَين بدعواهما ما وجدا في أيديهما من مال الميت أنه لهما اشتريا ذلك منه فصارا مقرّين بالمال للميت مدّعيين منه الشراء, فاحتاجا حينئذٍ إلى بينة تصحح دعواهما وورثة الميت ربّ السلعة أولى باليمين منهما, فذلك قوله تعالى: فإنْ عُثرَ على أنّهُما اسْتَحَقّا إثْما فِ آخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِ نَ الّذِينَ اسْتَحَقّ عَلَيْهِمُ الأوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ باللّهِ لَشَهادَتُنا أحَقّ مِنْ شَهادَتِهما... الآية. فإذ كان تأويل ذلك كذلك فلا وجه لدعوى مدّع أن هذه الآية منسوخة, لأنه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ إلاّ بخبر يقطع العذر إما من عند الله أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم, أو بورود النقل المستفيض بذلك, فأما ولا خبر بذلك, ولا يدفع صحته عقل, فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ.

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِنّكَ أَنتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ }..

يقول تعالى ذكره: واتقوا الله أيها الناس, واسمعوا وعظه إياكم وتذكيره لكم, واحذروا يوم يجمع الله الرسل. ثم حذف «واحذروا» واكتفى بقوله: وَاتّقُوا اللّهَ واسمَعُوا عن إظهاره, كما قال الراجز:

عَلَفْتُها تِبْنا وَماءً بارِداحتى غَدَتْ هَمّالَةً عَيْناها

يريد: وسقيتها ماء باردا, فاستغنى بقوله «علفتها تبنا» من إظهار سقيتها, إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه. فكذلك في قوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرّسُلَ حذف «واحذروا» لعلم السامع معناه, اكتفاء بقوله: واتّقُوا اللّهَ واسمَعُوا إذ كان ذلك تحذيرا من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه.

وأما قوله: ماذَا أُوجِبْتُمْ فإنه يعني به: ما الذي أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى توحيدي والإقرار بي والعمل بطاعتي والانتهاء عن معصيتي؟ قالوا: لا علم لنا.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى قولهم: لا عِلْمَ لَنا لم يكن ذلك من الرسل إنكارا أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم, ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم, ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم. ذكر من قال ذلك:

10190ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا قال: ذلك أنهم لما نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول, فلما سئلوا, قالوا: لا علم لنا. ثم نزلوا منزلاً آخر, فشهدوا على قومهم.

10191ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عـن عنبسـة, قـال: سـمعت الحسن يقول, في قوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرّسُلَ.... الآية, قال: من هول ذلك اليوم.

10192ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا الثوريّ, عن الأعمش, عن مجاهد في قوله: يَوْمَ يَجْمَـعُ اللّـهُ الرّسُـلَ فَيَقُـولُ ماذَا أُجِبْتُمْ فيفزعون, فيقول: ماذا أجبتم؟ فيقولون: لا عِلْمَ لَنا.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا علم لنا إلا ما علمتنا. ذكر من قال ذلك:

10193ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مجاهد, في قوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللّـهُ الرّسُـلَ فَيَقُـولُ مـاذَا أُجِبْتُـمْ فيقولون: قالُوا لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما عَلّمْتَنا إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ.

وقال آخرون: معنى ذلك: قالوا لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا. ذكر من قال ذلك:

10194ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابـن عبـاس, قـوله: يَـوْمَ يَجْمَـعُ اللّـهُ الرّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إلا علم أنت أعلم به منا.

وقال آخرون: معنى ذلك ماذَا أُجِبْتُمْ: ماذا عملوا بعـدكم؟ ومـاذا أحـدثوا؟. ذكر من قال ذلك:

10195ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, قوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُـمْ: مـاذا عملـوا بعـدكم, وماذا أحدثوا بعـدكم؟ قـالوا: قـالُوا لا عِلْـمَ لَنـا إلاّ مَـا عَلّمْتَنـا إنّـكَ أنْـتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا, لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا: لا عِلْـمَ لَنـا إلاّ مَـا عَلّمْتَنَـا إنّـكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ: أي أنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره مـن خفي العلوم وجليها. فإنما نفي القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنـه مـن ذلـك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره, لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شـاهدوا, كيـف يجوز أن يكون ذلك كذلك وهـو تعـالى ذكـره يخـبر عنهـم أنهـم يخـبرون بمـا أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء, فقال تعالى ذكـره: وكَـذَلِكَ جَعَلْنـاكُمْ أُمّـةً وَسَـطا لِتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ علـى النّـاسِ وَيَكُـونَ الرّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيدا.

وأما الذي قاله ابن جريج من أن معناه: ماذا عملت الأمـم بعـدكم؟ ومـاذا أحدثوا؟ فتأويل لا معنى له, لأن الأنبياء لم يكن عندها مـن العلـم بمـا يحـدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك, وإذا سئلت عما عملت الأمم بعـدها والأمـر كذلك فإنما يقال لها: ماذا عرّفناك أنه كائن منهـم بعـدك؟ وظـاهر خـبر اللـه تعالى ذكره عن مسألته إياهم يدلّ على غير ذلك

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِـي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيّدتّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلّمُ النّاسَ فِـي الْمَهْـدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّين كَهَيْئَةِ الطّيْـرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَىَ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ عَنـكَ إِذْ جِئْتَهُـمْ بِالْبَيّنَـاتِ فَقَـالَ الّـذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاّ سِحْرٌ مّبِينٌ }..

يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم: ماذا أجابتكم أممكم في الدنيا إذ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلى وَالِدَتِكَ إذْ أيّدتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ ف «إذْ» من صلة «أجبتم», كأن معناها: ماذا أجابت عيسى الأمم التي أرسل إليها عيسى.

فإن قال قائل: وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها في عهد عيسى, ولم يكن في عهد عيسى من الرسل إلا أقلّ ذلك؟ قيل: جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله: فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا في عهد عيسى. فخرج الخبر مخرج الجميع, والمراد منهم من كان في عهد عيسى, كما قال تعالى: الّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ والمراد: واحد من الناس, وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس.

ومعنى الكلام: إذْ قالَ اللّهُ حين قال يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إذْ أيّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ يقول: يا عيسى, اذكر أيادِيّ عندك وعند والدتك, إذ قوّيتك بروح القدس وأعنتك به.

وقد اختلف أهل العربية في أيدتك ما هو من الفعل, فقال بعضهم: هو فعلتك, كما في قولك: قوّيتك فعلت من القوّة.

وقال آخرون: بل هو فاعلتك من الأيد. ورُوِي عن مجاهد أنه قرأ: «إذْ آيَدْتُكَ» بمعنى: أفعلتك من القوّة والأيد. وقوله: بِرُوحِ القُدُسِ يعني بجبريل, يقول: إذ أعنتك بجبريل. وقد بينت معنى ذلك وما معنى القُدُس فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: تُكَلّمُ النّاسَ فِي المَهْدِ وكَهْلاً وَإذْ عَلّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتّوْرَاةَ والإنْجِيلَ وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ بإذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْرا بإذْنِي وَتُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ بإذْنِي وَإذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بإذْنِي وَإذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيّناتِ فقالَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِيله لعيسى: اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إذْ أيّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ في حال تكليمك الناس في المهد وكهلاً. وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره أنه أيّده بروح القُدس صغيرا في المهد وكهلاً كبيرا, فردّ «الكهل» على قوله في «المهد» لأن معنى ذلك: صغيرا, كما قال الله تعالى ذكره: دَعانا لِجَنْبِهِ أوْ قاعِدا أو قائما. وقوله: وَإذْ عَلّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتّوْرَاةَ والإنْجِيلَ يقول: واذكر أيضا نعمتي عليك إذ علمتك الكتاب: وهو الخط, والحكمة: وهي الفهم بمعاني الكتاب الذي أنزلته إليك وهو الإنجيل. وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ يقول: كصورة الطير, بإذْنِي يعني بقوله تَخْلُقُ: تعمل وتصلح من الطين, كَهَيْئَةِ الطّيْرِ بإذْنِي يقول: بعوني على ذلك وعلم مني. فَتَنْفُخُ فِيها يقول: فتنفخ في الهيئة, فتكون الهيئة والصورة طَيْرا بإذْنِي وتُبْرِىءُ الأكْمَهَ يقول: وتشفي الأكمه: وهو الأعمى الذي لا يبصر شيئا المطموس البصر, والأبْرَصَ بإذْنِي. وقد بينت معاني هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسرا بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: وَإذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيّناتِ يقول: واذكر أيضا نعمتي عليك, بكفّي عنك بني إسرائيل إذ كففتهم عنك وقد هّموا بقتلك, إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيّنَاتِ يقول: إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوّتك وحقية

ما أرسلتك به إليهم. فَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره: فقال الـذين جحدوا نبوّتك وكذّبوك من بني إسرائيل: إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته قـرّاء أهـل المدينـة وبعـض أهـل البصرة: إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ يعني: يبين عما أتى بـه لمـن رآه ونظـرا إليـه أنه سحر لا حقيقة لـه. وقـرأ ذلـك عامّـة قـراء الكوفـة: «إنْ هَـذَا إلاّ سـاحِرٌ مُبِينٌ» بمعنى: ما هذا, يعني به عيسى, إلا ساحر مبين, يقول: يـبين بأفعـاله وما يأتي به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبيّ صادق.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتـان معروفتـان صـحيحتا المعنـى متفقتان غير مختلفتين, وذلك أن كلّ مـن كـان موصـوفا بفعـل السـحر فهـو موصوف بأنه ساحر, ومن كـان موصـوفا بـأنه سـاحر فـإنه موصـوف بفعـل السحر, فالفعل دالّ على فاعله والصفة تـدلّ علـى موصـوفها, والموصـوف يدلّ على صفته والفاعل يدلّ على فعلـه فبـأيّ ذلـك قـرأ القـارىء فمصـيب الصواب في قراءته.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعـالى: {وَإِذْ أَوْحَيْـتُ إِلَـى الْحَـوَارِيّينَ أَنْ آمِنُـواْ بِـي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنّا وَاشْهَدْ بِأَنّنَا مُسْلِمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: واذكر أيضا يا عيسى إذ ألقيت إلـى الحـواريين, وهـم وزراء عيسى على دينه. وقد بينا معنى ذلك ولـم قيـل لهـم الحواريـون فيمـا مضى بما أغنى عن إعادته.

وقد اختلف ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: وَإِذْ أَوْحَيْتُ وإن كانت متفقة المعاني, فقال بعضهم بما:

10196ـ حدثني به محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عـن السـديّ: وَإِذْ أَوْحَيْـتُ إلـى الحَـوَارِيّينَ يقـول قـذفت فـي قلوبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ألهمتهم.

فتأويل الكلام إذن: وإذ ألقيـت إلـى الحـواريين أن صـدّقوا بـي وبرسـولي عيسى, فقالوا: آمّنا: أي صدّقنا بما أمرتنا أن نؤمن يا ربنا. واشْهَدْ علينا بأنّنـا مُسْلِمُونَ يقول: واشهد علينا بأننا خاضعون لـك بالذلـة سـامعون, مطيعـون لأمرك.

الآية : 112

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيّونَ يَعِيسَـى ابْـنَ مَرْيَـمَ هَـلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أَن يُنَزّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مّنَ السّمَآءِ قَالَ اتّقُواْ اللّهَ إِن كُنْتُم مّؤْمِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره: واذكر يا عيسى أيضـا نعمـتي عليـك, إذ أوحيـت إلـى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي, إذ قالوا لعيسى ابـن مريـم: هَـلْ يَسْـتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السّماءِ ف «إذ» الثانية من صلة «أوحيت».

واختلفت القرّاء في قراءة قـوله: يَسْـتَطِيعُ رَبّـكَ فقـرأ ذلـك جماعـة مـن الصحابة والتابعين: «هَـلْ تَسْـتَطِيعُ» بالتـاء «رَبّـكَ» بالنصـب, بمعنـى: هـل تستطيع أن تسأل ربك, وهل تستطيع أن تدعو ربك أو هل تستطيع وتـرى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكّين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينـزل عليهم ذلك, وإنما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟

10197ـ حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر, عن نافع, عن ابن عمر, عن ابن أبي مليكة, قال: قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة, ولكن قالوا: يا عيسى, هل تستطيع ربّك؟

10198ـ حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا ابن مهدي, عن جابر بن يزيد بن رفاعة, عن حيان بن مخارق, عن سعيد بن جبير أنه قرأها كذلك: «هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبّكَ» وقال: تستطيع أن تسأل ربك؟ وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق: هَلْ يَسْتَطِيعُ بالياء رَبّكَ بمعنى: أن ينزّل علينا ربّك, كما يقول الرجل لصاحبه: أتستطيع أن تنهض معنا في كذا؟ وهو يعلم أنه يستطيع, ولكنه إنما يريد: أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزّل علينا؟

وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ ذلك: هَلْ يَسْتَطِيعُ بالياء رَبّكَ برفع الربّ, بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن قوله: إذْ قالَ الحَوَارِيّونَ من صلة «إذ أوحيت», وأن معنى الكلام: وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي إذْ قالَ الحَوَارِيّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ. فبين إذ كان ذلك كذلك, أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه, وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قيلهم ذلك, والإقرار لله بالقدرة على كلّ شيء, وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار. وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا: اتّقُوا اللّهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ففي استتابة الله إياهم, ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك, واستعظام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم, الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع الربّ إذ كان لا معنى في قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء؟ أن تستكبر هذا الاستكبار.

فإن ظنّ ظانّ أن قولهم ذلك له إنما هو استعظام منهم, لأن ذلك منهم كان مسألة آية, فإن الآية إنما يسألها الأنبياء من كان بها مكذّبا, ليتقرّر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها, كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحوّل لهم الصفا ذهبا ويفجّر فجاج مكة أنهارا من سأله من مشركي قومه, وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذّبي قومه, ومسألة شعيب أن يسقط كِسْفا من السماء من كفار من أرسل إليهم. وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزّل عليهم مائدة من السماء, على هذا الوجه كانت مسألتهم, فقد أحلهم الذين قرءوا ذلك بالتاء ونصب الربّ محلاّ أعظم من المحلّ الذي ظنوا أنهم نزّهوا ربهم عنه, أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبيّ مبعوث ورسول مرسل, وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر. فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك, وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه, إذا كان فقيرا أن يسأل له ربه أن يغنيه, وإن عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها, فأنّي ذلك من مسألة الآية في شيء؟ بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه, فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له. وخبر الله تعالى عن القوم ينبىء بخلاف ذلك, وذلك أنهم قالوا لعيسى, إذ قال لهم: اتّقُوا اللّهَ إنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأكُلَ مِنْها وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُنا وَنَعْلَـمَ أنْ قَـدْ صَـدَقْتَنا. فقـد أنبأ هذا من قيلهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم, ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته, فلا بيان أبين من هذا الكلام في أن القوم كانوا قـد خالطوا قلوبهم مرض وشكّ في دينهم وتصـديق رسـولهم, وأنهـم سـألوا مـا سألوا من ذلك اختبارا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10199ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ع ن ليـث, عن عقيل, عن ابن عباس, أنه كان يحدّث عن عيسى صلى الله عليه وسـلم أنه قال لبني إسـرائيل: ه ل لكـم أن تصـوموا للـه ثلاثيـن يومـا, ثـم تس ألوه فيعطيَكم ما سألتم؟ فإن أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثـم قـالوا: يـا معلم الخير, قلت لنا: إن أجر العامل على من عمـل لـه, وأمرتنـا أن نصـوم ثلاثين يوما ففعلنا, ولم نكن نعمـل لأحـد ثلاثيـن يومـا إلا أطعمنـا حيـن نفـرغ طعاما فَهَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السّماءِ قال عيسـى اتّقُـوا اللّهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قالُوا نُرِيدُ أنْ نَأكُلَ مِنْهـا وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُنـا وَنَعْلَـمَ أنْ قَـدْ صَدَقْتَنا وَنَكونَ عَلَيْها مِنَ الشّاهِدِينَ... إلى قوله: لا أعَذّبُهُ أحَدا مِـنَ العَـالَمِيَن قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليهـا سـبعة أحـوات وسـبعة أرغفة, حتى وضعتها بين أيديهم, فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم.

10200ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السّماءِ قالوا: هل يطيعك ربك إن سألته؟ فأنزل الله عليهم مائدة مـن السـماء فيهـا جميع الطعام إلا اللحم فأكلوا منها.

وأما المائدة فإنها الفاعلة, من ماد فلان القوم يَمِيدُهم مَيْدا: إذا أطعمهـم ومارهم ومنه قول رؤبة:

نُهْدِي رُءُوسَ المُتْرَفِينَ الأنْدادْإلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتادْ

يعني بقوله: الممتاد: المُسْتَعْطَي, فالمائدة المطعِمة سـميت «الخِـوانَ» بذلك, لأنها تطعم الآكل مما عليها. والمائد: المدارُ به في البحـر, يقـال: مـاد يَمِيدُ مَيْدا.

وأمـا قـوله: قـالَ اتّقُـوا اللّـهَ إنْ كُنْتُـمْ مُـؤْمِنِينَ فـإنه يعنـي: قـال عيسـى للحواريين القائلين له: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْنـا مائِـدَةً مِـنَ السّـماءِ: راقبوا الله أيها القوم, وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هــذا, فإن الله لا يعجزه شيء أراده, وفي شككم في قدرة الله على إنـزال مائـدة من السماء كفر به, فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته إن كنتـم مـؤمنين يقـول: إن كنتم مصدقيّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم: هَــلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السّماءِ.

الآية : 113

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ نُرِيـدُ أَن نّأْكُـلَ مِنْهَـا وَتَطْمَئِـنّ قُلُوبُنَـا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ }..

يعني تعالى ذكره بذلك: قال الحواريون مجيبي عيسى علـى قـوله لهـم: اتّقُوا اللّهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ في قولكم هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْنـا مائِـدَةً مِنَ السّماءِ: أنّا إنما قلنا ذلك وسألناك أن تسأل لنا ربنـا لنأكـل مـن المائـدة, فنعلم يقينا قـدرته علـى كـلّ شـيء وتَطمَئِـنّ قُلُوبُنـا يقـول: وتسـكن قلوبنـا وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كلّ ما شاء وأراد, ونعلم أن قـد صـدقتنا,

ونعلم أنك لم تكذّبنا في خبرك أنك لله رسول مرسل ونبيّ مبعـوث. ونَكُـونَ عَلَيْها يقول: ونكون على المائدة, مِنَ الشّاهِدِينَ يقول: ممـن يشـهد أن اللـه أنزلها حجة لنفسه علينا في توحيده وقدرته على ما شاء ولـك علـى صـدقك في نبوّتك.

الآية : 114

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّهُمّ رَبّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَـا مَآئِدَةً مّنَ السّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأوّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَـةً مّنْـكَ وَارْزُقْنَـا وَأَنـتَ خَيْـرُ الرّازِقِينَ }..

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنـه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: تَكُونُ لَنا عِيدا لأوّلِنـا وآخِرِنـا فقـال بعضهم: معناه: نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا. ذكر من قال ذلك:

10201ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: تَكُونُ لَنَا عِيـدا لأوّلِنـا وآخِرِنـا يقـول: نتخـذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا.

10202ـ حدثنا بشر بن معاذ,قال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: تَكُونُ لَنا عِيدا لاِءَوّلِنا وآخِرِنا قال: أرادوا أن تكـون لعقبهـم مـن بعدهم.

10203ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, قوله: أنْزِلْ عَلَيْنا مائِدةً مِنَ السّماءِ تَكُونُ لَنا عِيـدا لأوّلِنـا قـال: الـذين هم أحياء منهم يومئذ وآخِرِنا مَن بعدهم منهم.

10204ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: قال سفيان: تَكُونُ لَنا عِيدا قالوا: نصلي فيه نزلت مرّتين.

وقال آخرون: معناه: نأكل منها جميعا. ذكر من قال ذلك:

10205ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عـن ليـث, عن عقيل, عن ابن عباس, أنه قال: أكل منها يعني من المائدة حين وضـعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أوّلهم.

وقال آخرون: معنى قوله عِيدا عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهانا.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: تكون لنا عيدا, نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيـه ونصـلي لـه فيـه, كمـا يعيّـد النـاس فـي أعيـادهم. لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فـي العيـد مـا ذكرنـا دون القـول الذي قاله من قال معناه: عائدة من الله علينا وتوجيه معـاني كلام اللـه إلـى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه إلى المجهول منه ما وجد إليه السبيل.

وأما قوله: لأَوّلِنا وآخِرِنا فإن الأولى من تـأويله بالصـواب قـول مـن قـال: تأويله للأحياء منا اليوم ومن يجيء بعدنا منا للعلـة الـتي ذكرناهـا فـي قـوله: تَكُونُ لَنا عِيدا لأن ذلك هو الأغلب من معناه.

وأما قوله: وآيَةً مِنْكَ فإن معناه: وعلامة وحجة منك يا ربّ على عبادك في وحدانيتك, وفي صدق على أني رسول إليهم بما أرسلتني به. وَارْزُقْنـا وأنْـتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ: وأعطنا من عطائك, فإنك يا ربّ خير مـن يعطـي وأجـود مـن تفضّل, لأنه لا يدخل عطاءه منّ ولا نكد.

وقد اختلف أهل التأويل في المائدة, هل أنزلت عليهم أم لا؟ ومـا كـانت؟ فقال بعضهم: نزلت وكانت حوتا وطعاما, فأكل القـوم منهـا, ولكنهـا رفعـت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى. ذكر من قـال ذلك:

10206ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي عبد الرحمن السلمي, قال: نزلـت المائـدة خبزا وسمكا.

10207ـ حدثني الحسين بن عليّ الصدائي, قال: حدثنا أبي, عن الفضيل, عن عطية, قال: المائدة سمكة فيها طعم كلّ طعام.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد اللـه, عـن فضـيل, عـن مسـروق, عـن عطية, قال: المائدة: سمك فيه من طعم كلّ طعام.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عبد الرحمن, قال: نزلت المائدة خبزا وسمكا.

10208ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: نزلت على عيسى ابن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا.

10209ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا المنذر بن النعمان, أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله: أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِـدةً مِنَ السّماءِ تَكُونُ لَنا عِيدا قال: نزل عليهم قِرصَة من شـعير وأحـوات. قـال الحسن: قال أبو بكر: فحدّثت به عبد الصمد بن معقل, فقال: سـمعت وهبـا وقيل له: وما كـان ذلـك يغنـي عنهـم؟ فقـال: لا شـيء ولكـن اللـه حثـا بيـن أضعافهنّ البركة, فكان قوم يأكلون ثم يخرجون, ويجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون, حتى أكلوا جميعهم وأفضلوا.

10210ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد اللـه, عـن إسـرائيل, عـن أبـي يحيى, عن مجاهد, قال: هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا.

10211ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عـن مجاهـد, فـي قـول اللـه تعـالى: مائـدَةً مِـنَ السّماءِ قال: مائدة عليها طعام أبَوْها حين عـرض عليهـم العـذاب إن كفـروا فأبوا أن تنزل عليهم.

10212ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجـاج, عـن أبـي معشر, عن إسحاق بن عبد الله: أن المائدة نزلت علـى عيسـى ابـن مريـم, عليها سبعة أرغفة وسـبعة أحـوات, يـأكلون منهـا مـا شـاءوا. قـال: فسـرق بعضهم منها, وقال: لعلها لا تنزل غدا فرفعت.

10213ـ حدثنا المثنى, قال: حـدثنا عبـد الأعلـى, قـال: حـدثنا داود, عـن سماك بن حرب, عن رجل من بني عجل قال: صـليت إلـى جنـب عمـار بـن ياسر, فلما فرغ, قال: هل تدري كيف كان شأن مائدة بنـي إسـرائيل؟ قـال: فقلت لا. قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يـأكلون منه لا ينفد, قال: فقيل لهـم: فإنهـا مقيمـة لكـم مـا لـم تخـبئوا أو تخونـوا أو ترفعوا, فإن فعلتم فإني أعذّبكم عذابا لا أعذّبه أحدا من العالمين. قال: فمـا تـمّ يـومهم حـتى خـبئوا ورفعـوا وخـانوا, فعُـذّبوا عـذابا لـم يعـذّبه أحـدا مـن العالمين. وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشـاء, فبعـث اللـه فيكم رسولاً من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه, وأخبركم على لسان نـبيكم

أنكم ستظهرون على العرب, ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة, وايم اللــه لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذّبكم عذابا أليما
10214ـ حدثنا الحسن بن قزعة البصريّ, قال: حدثنا سفيان بــن حــبيب, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن حلاس بن عمرو, عن عمار بن ياسر, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَزَلَتِ المَائدَةُ خُبْزا ولَحْمــا, وأُمِـرُوا أنْ لا يَخُونُوا وَلا يَدّخِرُوا وَلا يَرْفَعُوا لِغَـد, فَخـانُوا وَادّخَـرُوا وَرَفَعُـوا, فَمُسِـخُوا قِرَدَةً وَخَنازِيرَ».
حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا يوسف بن خالد, قال: حدثنا نافع بن مالك, عن عكرمة عن ابن عباس فـي المائـدة, قـال: كـانت طعامـا ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا. ذكر من قال ذلك:
10215ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن خلاس بن عمرو, عن عمار, قال: نزلت المائدة, وعليها ثمـر مـن ثمر الجنة, فـأمروا أن لا يخـبئوا ولا يخونـوا ولا يـدّخروا. قـال: فخـان القـوم وخبئوا وادخروا, فحوّلهم الله قردة وخنازير.
10216ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة, وأمروا أن لا يخــبئوا ولا يخونوا ولا يدّخروا لغد, بلاء ابتلاهم الله به, وكانوا إذا فعلوا شيئا من ذلــك أنبأهم به عيسى, فخان القوم فيه فخبئوا وادّخروا لغد.
وقال آخرون: كان عليها من كلّ طعام إلا اللحم. ذكر من قال ذلك:
10217ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن ميسرة, قال: كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل, اختلفت عليها الأيدي بكلّ طعام.
10218ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن عطاء, عن ميسرة وزاذان, قالا: كانت الأيدي تختلف عليها بكل طعام.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان الثـوريّ, عـن عطاء بن السائب, عن زاذان وميسرة في: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ أنْ يُنَـزّلَ عَلَيْنـا مائِدَةً مِنَ السّماءِ قالا: رأوا الأيدي تختلف عليها بكلّ شيء إلا اللحم.
وقال آخرون: لم ينزل الله على بني إسرائيل مائدة: ثم اختلف قائلو هذه المقالة فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعـالى لخلقـه نهـاهم بـه عـن مسألة نبيّ الله الآيات. ذكر من قال ذلك:
10219ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن ليـث, عن مجاهد, في قوله: أنْزِلْ عَلَيْنا مائِدةً مِنَ السّـماءِ قـال: مثـل ضـرب, لـم ينزل عليهم شيء.
وقال آخرون: إن القوم لما قيل لهم: فَمَنْ يَكْفُـرْ بَعْـدُ مِنْكُـمْ فـإنّي أُعَـذّبُهُ عَذَابا لا أعذّبُه أحَدا مِنَ العالَمِينَ استعْفَوا منها فلم تنزل. ذكر من قال ذلك:
10220ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول لما قيل لهـم: فَمَـنْ يَكْفُـرْ بَعْـدُ مِنْكُـمْ.... إلى آخر الآية, قالوا: لا حاجة لنا فيها فلم تنزل.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قـال: حـدثنا شـعبة, عـن منصور بن زاذان, عن الحسن أنه قال في المائدة: لم تنزل.
10221ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: مائدة عليها طعام أبوها حين عـرض عليهـم العذاب إن كفروا, فأبَوْا أن تنزل عليهم.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أنـزل المائـدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه. وإنما قلنا ذلك للخـبر الـذي روينـا بذلك عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه وأهـل التأويـل مـن بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه. وبعد, فإن الله تعالى لا يخلف وعـده ولا يقع في خبره الخلف, وقد قال تعالى مخبرا في كتابه عن إجابة نـبيه عيسـى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك: إنّي مُنَزّلُهَا عَلَيْكُمْ, وغيـر جائز أن يقول تعالى ذكره إني منزلها عليكم, ثم لا ينزلها لأن ذلك منه تعـالى خبر, ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: إني منزلها عليكـم, ثـم لا ينزلها عليهم, جاز أن يقول: فَمَـنْ يَكْفُـرْ بَعْـدُ مِنْكُـمْ فـإنّي أُعَـذّبُهُ عَـذَابا لا أُعَذّبُهُ أحَدا مِن العالَمِينَ ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعـذّبه, فلا يكـون لوعـده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة, وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك.

وأما الصواب من القول فيما كان على المائـدة, فـأن يقـال: كـان عليهـا مأكول, وجائز أن يكون كان سمكا وخبزا, وجائز أن يكون كان ثمرا من ثمـر الجنة وغير نافع العلم بـه ولا ضـارّ الجهـل بـه إذا أقـرّ تـالي الآيـة بظـاهر مـا احتمله التنزيل.

الآية : 115

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ اللّهُ إِنّي مُنَزّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنّيَ أُعَذّبُهُ عَذَاباً لاّ أُعَذّبُهُ أَحَداً مّنَ الْعَالَمِينَ }..

وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم, فقال تعالى ذكره: إنـي منزلهـا عليكـم أيهـا الحواريـون فمطعكموها. فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُـمْ يقـول: فمـن يجحـد بعـد إنزالهـا عليكـم وإطعامكموها منكم رسالتي إليه وينكـر نبـوّة نـبي عيسـى صـلى اللـه عليـه وسلم ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته, فـإني أعـذّبه عـذابا لا أعـذّبه أحـدا من عالمي زمانه. ففعل القوم, فجحدوا وكفروا بعد مـا أنزلـت عليهـم فيمـا ذكر لنا, فعذّبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير. كالذي:

10222ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّي مُنَزّلُهَا عَلَيْكُمْ.... الآية, ذكر لنا أنهم حوّلوا خنازير.

10223ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب ومحمد بـن أبـي عـديّ, ومحمد بن جعفر, عن عوف, عن أبي المغيـرة القـوّاس, عـن عبـد اللـه بـن عمرو, قال: إن أشدّ الناس عذابا ثلاثة: المنافقون, ومـن كفـر مـن أصـحاب المائدة, وآل فرعون.

حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن عوف, قال: سمعت أبا المغيرة القوّاس يقول: قال عبد الله بـن عمـرو: إن أشـدّ النـاس عذابا يوم القيامة: مَنْ كفر من أصحاب المائدة, والمنافقون, وآل فرعون.

10224ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ بعد ما جاءته المائدة, فـإنّي أُعَذّبُهُ عَذَابا لا أُعَذّبُهُ أحَدا مِنَ العالَمِينَ يقول: أعذّبه بعذاب لا أعذّبه أحدا من العالمين غير أهل المائدة.

الآية : 116

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَـمَ أَأَنـتَ قُلـتَ لِلنّاسِ اتّخِذُونِي وَأُمّيَ إِلَـهَيْنِ مِـن دُونِ اللّـهِ قَـالَ سُـبْحَانَكَ مَـا يَكُـونُ لِـيَ أَنْ

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ }..

يقول تعالى ذكره: يوم يجمع الله الرسل, فيقول ماذا أجبتم, إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين م ن دون الله؟ وقيل: إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

10225ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإِذْ قالَ اللّه يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مَنْ دُونِ اللّهِ قال: لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه, قالت النصارى ما قالت, وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك, فسأله عن قوله, ف قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقِ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ.... إلى قوله: وأنْتَ على كُلّ شَيْء شَهِيدٌ.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيس ى ذلك في القيامة. ذكر من قال ذلك:

10226ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حج اج, ع ن ابن جريج: وَإِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قال: والناس يسمعون, فراجعه بما قد رأيت, وأقرّ له بالعبودية على نفسه, فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان يقول باطلاً.

10227ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن ميسرة, قال: قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ فأرعدت مفاصله, وخشي أن يكون قد قال, ف قَالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقَ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ... الآية.

10228ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: يا عِيسَى ابْنَ مَرْيمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة, ألا ترى أنه يقول: هَذَا يَومُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ.

فعلى هذا التأويل الذي تأوّله ابن جريج يجب أن يكون «وإذْ» بمعنى «وإذا», كما قال في موضع آخر: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا, بمعنى: يفزعون. وكما قال أبو النجم:

ثُمّ جَزَاهُ اللّهُ عَنّا إذْ جَزَىجَنّاتِ عَدْنٍ فِي العَلالِيّ العُلا

والمعنى: إذا جزى. وكما قال الأسود:

فالآنَ إذْ هازَلْتُهُنّ فإنّمَايَقُلْنْ ألا لم يذْهَبِ الشّيخُ مَذْهَبا

بمعنى: إذا هازلتهنّ. وكأنّ من قال في ذلك بقول ابن جريج هذا, وجّه تأويل الآية إلى: فَمَنْ يَكْفُرْ بعدُ مِنْكُمْ فَإنّي أعَذّبُهُ عَذَابا لاَ أُعَذّبُهُ أحَدا مِنَ الْعَالِمِينَ في الدنيا وأعذّبه أيضا في الآخرة, إذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ.

وأولى القولين عندنا بالصواب في ذلك, قول من قال بقول السدّيّ: وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه, وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين: إحداهما: أن «إذ» إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضي من الفعل, وإن كانت قد تدخلها أحيانا في موضع

الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها وذلك غير فـاشٍ ولا فصـيح فـي كلامهم, فتوجيه معاني كلام الله تعـالى إلـى الأشـهر الأعـرف مـا وجـد إليـه السبيل أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر. والأخرى: أن عيسـى لـم يشـكّ هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات علـى شـركه, فيجـوز أن يتوهم على عيسى أن يقول فـي الآخـرة مجيبـا لربـه تعـالى: إن تعـذّب مـن اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنهم عبادك, وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيــز الحكيم.

فإن قال قائل: وما كان وجه سؤال الله عيسى: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله, وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك؟ قيل: يحتمـل ذلك وجهين من التأويل: أحدهما: تحذير عيسـى عـن قيـل ذلـك ونهيـه, كمـا يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا؟ ممـا يعلـم المقـول لـه ذلـك أن القائـل يستعظم فعل ما قال له: «أفعلته» على وجه النهي عـن فعلـه والتهديـد لـه فيه. والآخر: إعلامه أن قومه الذين فارقهم قـد خـالفوا عهـده وبـدّلوا دينهـم بعده, فيكون بذلك جامعا إعلامه حالهم بعده وتحذيره له قيله.

وأما تأويـل الكلام: فـإنه: أأنـت قلـت للنـاس اتخـذوني وأمـي إلهيـن, أي معبودين تعبدونهما من دون الله؟ قال عيسى: تنزيها لك يا ربّ وتعظيمــا أن أفعل ذلك أو أتكلم به, ما يكون لي أن أقول ما ليس لـي بحـقّ يقـول: ليـس لي أن أقول ذلك لأنهي عبد مخلوق وأمي أمة لك, فهل يكـون للعبـد والأمـة ادّعاء ربوبية؟ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ, يقـول: إنـك لا يخفـى عليـك شـيء, وأنت عالم أني لم أقل ذلك ولم آمرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفي أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم إليـه أو أمرهـم به, فقال: سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَـدْ عَلِمْتَهُ ثم قال: تَعْلَـمُ مـا فِـي نَفْسِـي يقـول: إنـك يـا ربّ لا يخفـي عليـك مـا أضمرته نفسي مما لم أنطلق به ولم أظهره بجوارحي, فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي؟ يقول: لو كنت قد قلت للناس أتخذوني وأمـي إلهيـن من دون الله كنت قد علمته, لأنك تعلم ضـمائر النفـوس ممـا لـم تنطـق بـه فكيف بما قد نطقت به. وَلا أعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيتـه عني فلم تطلعني عليه, لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ يقول: إنك أنت العالم بخفيات الأمور التي لا يطلـع عليهـا سـواك ولا يعلمها غيرك.

الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }..

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى, يقول: ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم, وهو أن قلت لهم اعْبُدُوا الله رَبّي ورَبّكُمْ وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدا يقول: وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم. فَلمّا توفّيْتَني يقول: فلما قبضتني

إليك, كُنْتُ أنْتَ الرّقِيبَ عَلَيهِمْ يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني, لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم.
وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرّفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله: أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ... وأنْتَ على كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ يقول: وأنت تشهد على كل شيء, لأنه لا يخفى عليك شيء, وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء, وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظَهْرُ القوم, فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت.
وبنحو الذي قلنا في قوله: كُنْتَ أنْتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10229ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: كُنْتَ أنْتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ أما الرقيب: فهو الحفيظ.
10230ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: كُنْتَ أنْتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ قال: الحفيظ.
وكانت جماعة من أهل العلم تقول: كان جواب عيسى الذي أجاب به ربه من الله تعالى توقيفا منه له فيه. ذكر من قال ذلك:
10231ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه: أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقَ قال: الله وقّفه.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو داود الحفري, قال: قرىء على سفيان, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه طاوس, قال: احتجّ عيسى والله وقّفه: أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ... الآية.
10232ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن ميسرة, قال: قال الله تعالى: يا عِيسَى ابْنَ مَرْيمَ أأنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ؟ قال: فأرعدت مفاصله, وخشي أن يكون قد قالها, ف قالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقَ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ

الآية : 118

القول في تأويل قوله تعالى: {إن تُعَذّبْهُمْ فَإنّهُمْ عِبَادُكَ وَإن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنّكَ أنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }..
يقول تعالى ذكره: إن تعذّب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها, فإنهم عبادك, مستسلمون لك, لا يمتنعون مما أردت بهم ولا يدفعون عن أنفسهم ضرّا ولا أمرا تنالهم به. وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها فتستر عليهم, فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه, الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب. كالذي:
10233ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في قوله: إنْ تُعَذّبْهُمْ فإنّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فتخرجهم من النصرانية وتهديهم إلى الإسلام, فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ وهذا قول عيسى في الدنيا.

10234ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: إنْ تُعَذّبْهُمْ فإنّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ قال: والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين.

الآية : 119

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ اللّهُ هَـَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }..

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة: «هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ» بنصب «يوم». وقرأ بعض أهل الحجاز وبعض أهل المدينة وعامّة قرّاء أهل العراق: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ برفع يوم. فمن رفعه رفعه بهذا, وجعل «يوم» اسما, وإن كانت إضافته غير محضة, لأنه صار كالمنعوت. وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون في إعراب الأوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها, إن كان ما بعدها رفعا رفعوها, كقولهم: هذا يومُ يركب الأمير, وليلةُ يصدر الحاج, ويومُ أخوك منطلق وإن كان ما بعدها نصبا نصبوها, وكذلك كقولهم: هذا يومَ خرج الجيش وسار الناس, وليلةَ قتل زيد ونحو ذلك, وإن كان معناها في الحالين: «إذ», و«إذا». وكأنّ من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة, وكذلك كان السديّ يقول في ذلك.

10235ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ هذا فصل من كلام عيسى, وهذا يوم القيامة.

يعني السدي بقوله: «هذا فصل من كلام عيسى» أن قوله: سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ... إلى قوله: فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ من خبر الله عزّ وجلّ عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه, وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة. وأما النصب في ذلك, فإنه يتوجه من وجهين: أحدهما: أن إضافة «يوم» ما لم تكن إلى اسم تجعله نصبا, لأن الإضافة غير محضة, وإنما تكون الإضافة محضة إذا أضيف إلى اسم صحيح. ونظير اليوم في ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الأزمنة, كما قال النابغة:

على حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ على الصّباوقُلْتُ أَلمّا أصْحُ والشّيْبُ وَازِعُ

والوجه الآخر: أن يكون مرادا بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن, «يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ» فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة, بمعنى: هذا الأمر في يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: «هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ» بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة, لأن معنى الكلام: أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال: سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أنْ أقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ.... إلى قوله: فإنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ فقال له عزّ وجلّ: هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ فاليوم وقت القول والصدق النافع.

فإن قال قائل: فما موضع «هذا»؟ قيل رفع فإن قال: فأين رافعه؟ قيل مضمر, وكأنه قال: قال الله عزّ وجلّ: هذا, هذا يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ, كما قال الشاعر:

أما تَرَى السّحابَ كَيْفَ يَجْرِيهَذَا وَلا خَيْلُكَ يا ابْنَ بِشْرِ
يريد: هذا هذا, ولا خيلك.
فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا لما بينا: قال الله لعيسى: هذا القول النافع في يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ في الدنيا صِدْقُهُمْ ذلك في الآخرة عند الله. لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: للصادقين في الدنيا جناتٌ تجري من تحتها الأنهار في الآخرة ثوابا لهم من الله عزّ وجلّ, على ما كان من صدقهم الذي صدقوا الله فيما وعدوه, فوفوا به لله, فوفي الله عزّ وجلّ لهم ما وعدهم من ثوابه. خالِدِينَ فِيها أبَدا يقول: باقين في الجنات التي أعطاهموها أبدا دائما لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول. وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود: الدوام والبقاء.
القول في تأويل قوله تعالى: رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ.
يقول تعالى ذكره: رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه, ورَضُوا عَنْهُ يقول: ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه, فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه. ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ يقول: هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار, خالدين فيها, مرضيّا عنهم, وراضين عن ربهم, هو الظفر العظيم بالطِّلبة وإدراك الحاجة التي كانوا يطلبونها في الدنيا, ولها كانوا يعملون فيها, فنالوا ما طلبوا وأدركوا ما أملوا.

الآية : 120

القول في تأويل قوله تعالى: {للّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا فِيهِنّ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }..
يقول تعالى ذكره: أيها النصارى لِلّهِ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: له سلطان السموات والأرض, وَما فِيهِنّ دون عيسى الذين تزعمون أنه إلهكم ودون أمه, ودون جميع من في السموات ومن في الأرض فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهنّ وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والانتقال, يدلان بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والأرض وما فيهنّ. ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه ويعتبروه, فيعقلوا عنه. وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول تعالى ذكره: والله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهنّ, قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن وإهلاك عيسى وأمه ومن في الأرض جميعا كما ابتدأ خلقهم, لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة.

سورة الأنعام

سورة الأنعام مكية
وآياتها خمس وستون ومائة
بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى:
{الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله الحَمْدُ للّهِ: الحمد الكامل لله وحده لا شريك له, دون جميع الأنداد والآلهة, ودون ما سواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام. وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر يُنْحَى به نحو الأمر, يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس وخلق السموات والأرض, ولا تشركوا معه في ذلك أحدا شيئا, فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمة عليكم, لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكا من خلقه. وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهده فيما مضى قبل.
القول في تأويل قوله تعالى: وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنّورَ.
يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض, وأظلم الليل وأنار النهار. كما:
10236ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنّورَ قال: الظلمات: ظلمة الليل, والنور: نور النهار.
10237ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أما قوله: الحَمْدُ للّهِ الّذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنّورِ فإنه خلق السموات قبل الأرض, والظلمة قبل النور, والجنة قبل النار.
فإن قال قائل: فما معنى قوله إذن «جَعَلَ»؟ قيل: إن العرب تجعلها ظرفا للخبر والفعل, فتقول: جعلت أفعل كذا, وجعلت أقوم وأقعد, تدلّ بقولها «جعلت» على اتصال الفعل, كما تقول: علقت أفعل كذا, لا أنها في نفسها فعل, يدلّ على ذلك قول القائل: جعلت أقوم, وأنه لا جعل هناك سوى القيام, وإنما دلّ بقوله «جعلت» على اتصال الفعل ودوامه, ومن ذلك قول الشاعر:
وزَعَمْتَ أنّكَ سوْفَ تسْلُكُ فَارِداوالمَوْتُ مُكْتَنِعٌ طَرِيقَيْ قادِرِ
فاجْعَلْ تَحَلّلْ مِنْ يَمِينِكَ إنّمَاحِنْثُ اليَمِينِ على اللّئِيمِ الفاجِرِ
يقول «فاجعل تحلّل» بمعنى: تحلل شيئا بعد شيء, لا أن هناك جعلاً من غير التحليل. فكذلك كلّ جعل في الكلام إنما هو دليل على فعل له اتصال, لا أن له خطا في معنى الفعل فقوله: وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنّورَإنما هو أظلم ليلهما وأنار نهارهما.
القول في تأويل قوله تعالى: ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ.
يقول تعالى ذكره معجّبا خلقه المؤمنين من كفرة عباده ومحتجّا على الكافرين: إن الإله الذي يجب عليكم أيها الناس حمده هو الذي خلق السموات والأرض, الذي جعل منهما معايشكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم, فمن السموات ينزل عليكم الغيث وفيها تجري الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ومنافعكم بها. والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذي فعل ذلك وأحداثه يَعْدِلُونَ: يجعلون له شريكا في عبادتهم إياه, فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان, وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم,

بل هو المنفرد بذلك كله, وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره. فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها من عظة, لمن فكّر فيها بعقل وتدبرها بفهم ولقد قيل إنها فاتحة التوراة.

10238ـ حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمّي, عن أبي عمران الجونّي, عن عبد الله بن رباح, عن كعب, قال: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام: الحَمْدُ للّهِ الّذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ وجَعَلَ الظّلُماتِ والنّورَ ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ.

10239ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن جعفر بن سليمان, عن أبي عمران الجونّي, عن عبد الله ابن رباح, عن كعب, مثله. وزاد فيه: وخاتمة التوراة خاتمة هود.

يقال من مساواة الشيء بالشيء: عدلت هذا بهذا, إذا ساويته به عدلاً. وأما في الحكم إذا أنصفت فيه, فإنك تقول: عَدَلْت فيه أعدل عدلاً.

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله: يَعْدِلُونَ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

10240ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَعْدِلُونَ قال: يشركون.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُنِي بذلك, فقال بعضهم: عُنِي به أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

10241ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمى, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن ابن أبزى, قال: جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: الحَمْدُ للّهِ الّذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ وجَعَلَ الظّلُمَاتِ والنّورِ ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ قال له: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قال: بلى. قال: وانصرف عنه الرجل, فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزى, إن هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا, إنه رجل من الخوارج فقال: ردّوه عليّ فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا. قال إنها نزلت في أهل الكتاب, اذهب ولا تضعها على غير حدّها.

وقال آخرون: بل عُنى بها المشركون من عبدة الأوثان.

ذكر من قال ذلك:

10242ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ قال: هؤلاء أهل صراحة.

10243ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ قال: هم المشركون.

10244ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ قال: الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله قال: وليس بالله عِدْل ولا ندّ, وليس معه آلهة, ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون, فعمّ بذلك جميع الكفار, ولم يخصص منهم بعضا دون بعض, فجميعهم داخلون في ذلك: يهودهم, ونصاراهم, ومجوسهم, وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن طِيـنٍ ثُـمّ قَضَـىَ أَجَلاً وَأَجَلٌ مّسمّى عِندَهُ ثُمّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِيـنٍ أن اللـه الـذي خلـق السموات والأرض, وأظلم ليلهما وأنار نهارهم, فكفر بـه مـع إنعـامه عليهـم الكافرون, وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرّهم. هو الذي خلقكم أيهـا النـاس من طين وإنما يعني بذلك تعالى ذكره أن الناس وَلَـدُ مَـن خَلَقـه مـن طيـن, فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم, إذ كانوا وَلَدَه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

10245ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ بدء الخلق خلق الله آدم من طين.

10246ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ قال: هو آدم.

10247ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدّثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما خَلَقكم من طين: فآدم.

10248ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبـو تميلـة, عـن عبيد بن سليمان, عن الضحاك بن مزاحم, قال: خلق آدم مـن طيـن, وخلـق الناس من سلالة من ماء مهين.

10249ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ قال: خلق آدم من طين, ثم خلقنا من آدم حين أخذنا من ظهره.

القول في تأويل قوله تعالى: ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى قـوله: ثُـمّ قَضَـى أجَلاً: ثم قضى لكم أيها الناس أجلاً, وذلـك مـا بيـن أن يُخلـق إلـى أن يمـوت وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ وذلك ما بين أن يموت إلى أن يبعث. ذكر من قال ذلك:

10250ـ حدثنا ابن وكيع, وهناد بن السريّ, قالا: حدثنا وكيع, قـال: حـدثنا أبي, عن أبي بكر الهذليّ, عن الحسن, في قوله: قَضَى أجَلاً قال: ما بين أن يخلق إلى أن يموت. وأجَـلٌ مُسَـمّى عِنْـدَهُ قـال: مـا بيـن أن يمـوت إلـى أن يبعث.

10251ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ كان يقـول: أجـلَ حياتـك إلى أن تموت وأجَل موتك إلى أن تبعث, فأنت بين أجلين من الله تعالى.

10252ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبـو تميلـة, عـن عبيد بن سليمان, عن الضحاك بن مزاحم: قَضَـى أجَلاً وأجَـلٌ مُسَـمّى عِنْـدَهُ قال: قضى أجل الموت, وكلّ نفس أجلها الموت. قال: وَلَنْ يُؤَخّرَ اللّهُ نَفْسا إذَا جَاءَ أجَلُها. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ يعني: أجل الساعة ذهاب الـدنيا والإفضـاء إلى الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة. ذكر من قـال ذلك:

10253ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن سفيان, عـن أبـي حصين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عبـاس قـوله: أجَلاً قـال: الـدنيا. وأجَـلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ الآخرة.

10254ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو عاصم, عن زكريا بن إسحاق, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قَضَى أجَلاً قال: الآخرة عنده. وأجَلٌ مُسَمّى الدنيا.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أجَلاً قال: الآخرة عنده. وأجَلٌ مُسَمّى قال: الدنيا.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أجَلاً قال: الآخرة عنده. وأجَلٌ مُسَمّى قال: الدنيا.

10255ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة والحسن: ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ قالا: قضى أجل الدنيا من حين خلقك إلى أن تموت. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ يوم القيامة.

10256ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة: ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ قال: قضى أجل الدنيا. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ قال: هو أجل البعث.

10257ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة: ثُمّ قَضَى أجَلاً قال: الموت. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ الآخرة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة والحسن, في قوله: ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ قالا: قضى أجل الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تموت, وأجل مسمى عنده يوم القيامة.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد: قَضَى أجَلاً قال: أجل الدنيا. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ قال: البعث.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن طلحة, عن ابن عباس: ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ يعني: أجل الموت. والأجل المسمى: أجل الساعة, الوقوف عند الله.

10258ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قَضَى أجَلاً قال: أما قضى أجلاً: فأجل الموت. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ يوم القيامة.

وقال آخرون في ذلك بما:

10259ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: ثُمّ قَضَي أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ قال: أما قوله: قَضَي أجَلاً فهو النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة. وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ: هو أجل موت الإنسان.

وقال آخرون بما:

10260ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, في قوله: هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمّ قَضَى أجَلاً وأجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ ثُمّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ قال: خلق آدم من طين, ثم خلقنا من آدم, أخذنا من ظهره, ثم أخذ الأجل والميثاق في أجل واحد مسمى في هذه الحياة الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم قضى أجل هذه الحياة الدنيا, وأجَلٌ مُسَمّى عِّهْدَهُ وهو أجل البعث عنده.

وإنما قيل ذلك أولى بالصواب, لأنه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم, فقال لهم: أيها الناس, إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين, فجعلكم صورا أجساما أحياء بعد إذ كنتم طينا جمادا, ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم,

ليعيدكم ترابا وطينا كالذي كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم. وأَجَلٌ مُسَمّى عِنْدَهُ لإعادتكم أحياء وأجساما كالذي كنتم قبل مماتكم. وذلك نظير قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللّهِ وكُنْتُمْ أمْوات فأحْيَاكُمْ ثُمّ يُمِيْتُكُمْ ثُمّ يُحْيِيكُمْ ثُمّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ثُمّ أنْتُمْ تَمْتُرُونَ.

يقول تعالى ذكره: ثم أنتم تشكون في قدرة من قدر على خلق السموات والأرض, وإظلام الليل وإنارة النهار, وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها على إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم, وإيجاده إياكم بعد عدمكم. والمرية في كلام العرب هي الشكّ, وقد بينت ذلك بشواهده في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. وقد:

10261ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: ثُمّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ قال: الشكّ. قال: وقرأ قول الله: فِي مِرْيَةٍ منْهُ قال: في شكّ منه.

10262ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ثُمّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ بمثله.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَهُوَ اللّهُ فِي السّمَاوَاتِ وَفِي الأرْضِ يَعْلَمُ سِرّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ }..

يقول تعالى ذكره: إن الذي له الألوهة التي لا تنبغي لغيره المستحق عليكم إخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس الذي يعدل به كفاركم من سواه, هو الله الذي هو في السموات وفي الأرض, ويَعْلَمُ سِرّكُمْ وجَهْرَكُمْ فلا يخفى عليه شيء, يقول: فربكم الذي يستحقّ عليكم الحمد ويجب عليكم إخلاص العبادة له, هو هذا الذي صفته, لا من يقدر لكم على ضرّ ولا نفع ولا يعمل شيئا ولا يدفع عن نفسه سواء أريد بها.

وأما قوله: وَيَعْلَمُ ما تَكْسَبُونَ يقول: ويعلم ما تعملون وتجرحون, فيحصي ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا تَأْتِيهِم مّنْ آيَةٍ مّنْ آيَاتِ رَبّهِمْ إِلاّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وما تأتي هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم آيةٍ مِنْ آياتِ رَبّهِمْ يقول: حجة وعلامة ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته وحقيقة نبوّتك يا محمد وصدق ما أتيتهم به من عندي, إلاّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ يقول: إلا أعرضوا عنها, يعني عن الآية, فصدّوا عن قبولها والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلت على صحته, جهلاً منهم بالله واغترارا بحلمه عنهم.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَدْ كَذّبُواْ بِالْحَقّ لَمّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ }..

يقول تعالى ذكره: فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحقّ لما جاءهم, وذلك الحقّ هو محمد صلى الله عليه وسلم, كذّبوا به, وجحدوا نبوّته لما جاءهم قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم إياه وجحودهم نبوّته: سوف يأتي

المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم أنْباءُ ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ يقول: سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزءون من آياتي وأدلتي التي آتيتهم. ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا في غيهم وعتَوْا على ربهم, فقتلهم يوم بدر بالسيف.

الآية : 6

ذكر من قال ذلك:

{أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مّن قَرْنٍ مّكّنّاهُمْ فِي الأرْضِ مَا لَمْ نُمَكّن لّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السّمَآءَ عَلَيْهِم مّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم ير هؤلاء المكذّبون بآياتي الجاحدون نبوّتك, كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون, وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطأة لم أوطئها لكم, وأعطيتهم فيها ما لم أعطكم. كما:

10263ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: مَكّنّاهُمْ فِي الأرْضِ مَا لَمْ نُمَكّنْ لَكُمْ يقول: أعطيناهم ما لم نعطكم.

قال أبو جعفر: أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها, وأعطتهم الأرض رَيْع نباتها, وجابوا صخور جبالها, ودرّت عليهم السماء بأمطارها, وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني, فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم, وبغوا حتى حُقّ عليهم قولي, فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم, وأهلكت بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصيحة وغير ذلك من أنواع العذاب.

ومعنى قوله: وأرْسَلْنَا السّماءَ عَلَيْهِمْ مِدرَارا المطر, ويعني بقوله: «مدرارا»: غزيرة دائمة. وأنْشَأنَا مِنَ بَعْدِهِمْ قَرْنا آخَرِينَ يقول وأحدثنا من بعدهم الذين أهلكناهم قرنا آخرين فابتدأنا سواهم.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: مَكنّاهُمْ فَي الأرْضِ ما لَمْ نُمَكّنْ لَكُمْ ومن المخاطب بذلك؟ فقد ابتدأ الخبر في أوّل الآية عن قَوم غيب بقوله: أَلَمْ يَرَوْا كَم أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ؟ قيل: إن المخاطب بقوله: ما لَمْ نُمَكّنْ لَكُمْ هو المخبر عنهم بقوله: أَلَمْ يَرَوُا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ولكن في الخبر معنى القول, ومعناه: قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذّبوا بالحقّ لما جاءهم: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكّنّاهُمْ في الأرْضِ ما لَمْ نُمْكّنْ لَكُمْ. والعرب إذا أخبرت خبرا عن غائب وأدخلت فيه قولاً فعلَت ذلك فوجهت الخبر أحيانا إلى الخبر عن الغائب, وأحيانا إلى الخطاب, فتقول: قلت لعبد الله: ما أكرمه, وقلت لعبد الله: ما أكرمك, وتخبر عنه أحيانا على وجه الخبر عن الغائب ثم تعود إلى الخطاب, وتخبر على وجه الخطاب له ثم تعود إلى الخبر عن الغائب. وذلك في كلامها وأشعارها كثير فاش وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعض نحوي البصرة يقول في ذلك: كأنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطبه معهم وقال: حتى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيّبَةٍ فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب, لأنه المخاطب.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ نَزّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـَذَآ إِلاّ سِحْرٌ مّبِينٌ }..

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام. يقول تعالى ذكره: وكيف يتفقّهون الآيات, أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوّتك بحجج الله وآياته وأدلته, وهم لعنادهم الحقّ وبعدهم من الرشد, لو أنزلت عليك يا محمد الوحي الذي أنزلته عليك مع رسولي في قرطاس يعاينونه ويمسّونه بأيديهم وينظرون إليه ويقرءونه منه معلقا بين السماء والأرض بحقيقة ما تدعوهم إليه وصحة ما تأتيهم به من توحيدي وتنزيلي, لقال الذين يعدلون بي غيري فيشركون في توحيدي سواي: إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِين: أي ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر سحرت به أعيننا, ليست له حقيقة ولا صحة مُبِينٌ يقول: مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10264ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله تعالى: كِتابا في قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِمْ قال: فمسوه ونظروا إليه لم يصدّقوا به.

10265ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْ نَزّلْنا عَلَيْكَ كِتابا في قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيدِيهِمْ يقول: فعاينوه معاينة لقال الذين كفروا: إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ.

10266ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ نَزّلْنَا عَلَيْكَ كِتابا فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِمْ يقول: لو نزلنا من السماء صحفا فيها كتاب فلمسوه بأيديهم, لزادهم ذلك تكذيبا.

10267ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلَوْ نَزّلْنا عَلَيْكَ كِتابا في قِرْطاسٍ: الصحف.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: في قِرْطاسٍ يقول: في صحيفة, فَلَمَسُوهُ بأيْديهِمْ لقال الذين كفروا: إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَقَالُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لّقُضِيَ الأمْرُ ثُمّ لاَ يُنظَرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المكذّبون بآياتي العادلون بي الأنداد والآلهة: يا محمد لك لو دعوتهم إلى توحيدي والإقرار بربوبيتي, وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم: هلاّ نزل عليك ملك من السماء في صورته يصدقّك على ما جئنا به, ويشهد لك بحقيقة ما تدّعي من أن الله أرسلك إلينا كما قال تعالى مخبرا عن المشركين في قيلهم لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم: وقَالُوا ما لِهَـذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعامَ ويَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرا وَلَوْ أنْزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمّ لا يَنْظُرُونَ يقول: ولو أنزلنا مَلَكا على ما سألوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي, لجاءهم العذاب عاجلاً غير

آجل, ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة, كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النقمة وترك الإنظار. كما:

10268ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلَوْ أنْزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمّ لا يَنْظُرُونَ يقول: لجاءهم العذاب.

10269ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلَوْ أنْزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمّ لا يَنْظُرُونَ يقول: ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكا ثم لم يؤمنوا لم ينظروا.

10270ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ في صورته, وَلَوْ أنْزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ لقامت الساعة.

10271ـ حدثنا ابن وكيع, عن أبيه, قال: حدثنا أبو أسامة, عن سفيان, عن سفيان الثوري, عن عكرمة: لقُضِيَ الأمْرُ قال: لقامت الساعة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَلَوْ أنْزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ قال: يقول: لو أنزل الله مَلَكا ثم لم يؤمنوا, لعجل لهم العذاب.

وقال آخرون في ذلك بما.

10272ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: أخبرنا بشر, عن عمار, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ أنْزَلْنَا مَلَكا لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمّ لا يَنْظُرُونَ قال: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا, ثم لم يؤخروا طرفة عين.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مّا يَلْبِسُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بي, القائلين: لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكا ينزل عليهم من السماء, ويشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرهم باتباعه, لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً يقول: لجعلناه في صورة رجل من البشر, لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته. يقول: وإذا كان ذلك كذلك, فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا, إذ كنت إذا أنزلت عليهم مَلَكا إنما أنزله بصورة إنسيّ, وحججي في كلتا الحالتين عليهم ثابته بأنك صادق وأن ما جئتهم به حقّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10273ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمار, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس: ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكا لَجَعَلْناه رَجُلاً يقول: ما أتاهم إلا في صورة رجل, لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة.

10274ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكا لَجَعَلْناه رَجُلاً في صورة رجل في خلق رجل.

10275ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكا لَجَعَلْناه رَجُلاً يقول: لو بعثنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة آدمي.

حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكا لَجَعَلْناه رَجُلاً يقول: في صورة آدميّ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, حدثنا قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

10276ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ولَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكا لَجَعَلْناه رَجُلاً قال: لجعلنا ذلك الملك في صورة رجل, لم نرسله في صورة الملائكة.

القول في تأويل قوله تعالى: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ: ولو أنزلنا ملكا من السماء مصدّقا لك يا محمد, شاهدا لك عند هؤلاء العادلين بي الجاحدين آياتك على حقيقة نبوّتك, فجعلناه في صورة رجل من بني آدم إذ كانوا لا يطيقون رؤية الملَك بصورته التي خلفته بها, التبس عليهم أمره فلم يدروا ملك هو أم أنسيّ, فلم يوقنوا به أنه ملك ولم يصدّقوا به, وقالوا: ليس هذا ملكا, وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقية أمرك وصحة برهانك وشاهدك على نبوّتك. يقال منه: لَبَسْتُ عليهم الأمر أَلْبِسُهُ لَبْسا: إذا خلطته عليهم, ولَبِسْتُ الثوبَ أَلْبَسُهُ لُبْسا, واللِّبُوس: اسم الثياب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10277ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس قوله: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ يقول: لشبهنا عليهم.

10278ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ يقول: ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم واللبس: إنما هو من الناس.

10279ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ يقول: شبّهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم.

وقد رُوي عن ابن عباس في ذلك قول آخر, وهو ما:

10280ـ حدثني به محمد بن سعيد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذّبوا رسلهم, وهو تحريف الكلام عن مواضعه.

10281ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, في قوله: وَللَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ يعني التحريف: هم أهل الكتاب, فرّقوا ودينهم وكذّبوا رسلهم, فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم.

وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أوّل السورة بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى, بما أغنى عن إعادته.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف في ذات الله: هوّن عليك يا محمد ما أنت لا ق م ن هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك فيّ وفي طاعتي, وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي فإنهم إن تمادوا في غيهم وأصرّوا على المقام على كفرهم, نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المثلات بهم, فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك, وفعلوا مثل فعل قومك بك, فَحَاقَ بالّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ يعني بقوله: فحاقَ فنزل وأحاط بالذين هزئوا برسلهم وما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ يقول: العذاب الذي كانوا يهزءون به وينكرون أن يكون واقعا بهم على ما أنذرتهم رسلهم. يقال منه: حاق بهم هذا الأمر يَحِيقُ بهم حَيْقا وحُيُوقا وحَيَقانا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10282ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَحاقَ بالّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ من الرسل, ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ يقول: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُلْ سِيرُواْ فِي الأرْضِ ثُمّ انْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذّبِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأنداد المكَذّبينَ بك الجاحدين حقيقة ما جئتم به من عندي: سِيرُوا فِي الأرْضِ يقول: جولوا في بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتي من قبلهم من صُرَبائهم وأشكالهم من الناس. ثُمّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ المْكَذّبِينَ يقول: ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها, وما حلّ بهم من سخط الله عليهم من البور وخراب الديار وعفوّ الآثار. فاعتبروا به, إن لم تنهكم حلومكم, ولم تزجركم حجج الله عليكم, فما أنتم مقيمون عليه من التكذيب, فاحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحلّ بكم مثل الذي حلّ بهم. وكان قتادة يقول في ذلك بما:

10283ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ ثُمّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ المْكَذّبِينَ دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم إلى النار.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُل لّمَن مّا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ قُل للّهِ كَتَبَ عَلَىَ نَفْسِهِ الرّحْمَةَ لَيَجْمَعَنّكُمْ إِلَىَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم: لمن ما في السموات والأرض؟ يقول: لمن ملك ما في السموات والأرض. ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كلّ شيء وقهر كل شيء

بملكه وسلطانه, لا للأوثان والأنداد ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلها من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرّا.

وقوله: كَتَبَ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ يقول: قضي أنه بعباده رحيم, لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الإنابة والتوبة. وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة, يقول تعالى ذكره: أن هؤلاء العادلين بي الجاحدين نبوّتك يا محمد, إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم, وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء. كالذي:

10284ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن ذكوان, عن أبي هريرة, عن النبي صلى الله عليه وسلم, قال: «لَمّا فَرَغَ اللّهُ مِنَ الخَلْقِ كَتَبَ كِتابا: إنّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي».

10285ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن أبي عثمان, عن سليمان, قال: «إن الله تعالى لما خلق السماء والأرض, خلق مائة رحمة, كل رحمة ملء ما بين السماء إلى الأرض, فعنده تسع وتسعون رحمة, وقسّم رحمةً بين الخلائق فبها يتعاطفون وبها تشرب الوحش والطير الماء, فإذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين وزادهم تسعا وتسعين».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن أبي عثمان, عن سلمان نحوه, إلا أن ابن أبي عديّ لم يذكر في حديثه وبها تشرب الوحش والطير الماء.

10286ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن عاصم بن سليمان, عن أبي عثمان عن سليمان, قال: نجد في التوراة عطفتين: أن الله خلق السموات والأرض, ثم خلق مئة رحمة أو: جعل مئة رحمة قبل أن يخلق الخلق, ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة, وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة, قال: فيها يتراحمون, وبها يتباذلون, وبها يتعاطفون, وبها يتزاورون, وبها تحنّ الناقة, وبها تَنْئِج البقرة, وبها تيعر الشاة, وبها تتّابع الطير, وبها تتّابع الحيتان في البحر فإذا كانوا يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده, ورحمته أفضل وأوسع.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن عاصم بن سليمان, عن أبي عثمان الهدى, عن سلمان, في قوله: كَتَبَ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ... الآية, قال: أنا نجد في التوراة عطفتين, ثم ذكر نحوه, إلا أنه ما قال: «وبها تتّابع الطير, وبها تتّابع الحيتان في البحر.

10287ـ حدثنا محمد بن الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال ابن طاوس, عن أبيه: إن الله تعالى لما خلق الخلق, لم يعطف شيء على شيء, حتى خلق مئة رحمة, فوضع بينهم رحمة واحدة, فعطف بعض الخلق على بعض.

حدثني الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه بمثله.

10288ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: وأخبرني الحكم بن أبان, عن عكرمة حسبته أسنده قال: إذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه, أخرج كتابا من تحت العرش فيه: «إن رحمتي سبقت غضبي, وأنا أرحم الراحمين» قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة, أو قال مثلاً أهل الجنة, ولا أعلمه إلا قال: «مثلا», وأما مثل فلا أشكّ مكتوبا

ها هنا, وأشار الحكم إلى نحره, عتقاء الله. فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبد الله, فإن الله يقول: يُرِيدُونَ أنْ يَخْرُجُوا مِنَ النّارِ ومَا هُمْ بخَارِجينَ مِنْها ولَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ قال: ويلكَ أولئك أهلها الذين هم أهلها.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحكم بن أبان, عن عكرمة حسبت أنه أسنده قال: إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش, ثم ذكر نحوه, غير أنه قال: فقال رجل: يا أبا عبد الله, أرأيت قوله: يُرِيدُونَ أنْ يَخْرُجُوا مِنَ النّارِ وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن همام بن منبه, قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَمّا قَضَى اللّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إنّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

10289ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي أيوب, عن عبد الله بن عمرو, أنه كان يقول: إن لله مئة رحمة, فأهبط رحمة إلى أهل الدنيا يتراحم بها الجنّ والإنس وطائر السماء وحيتان الماء ودوابّ الأرض وهوامّها وما بين الهواء واختزن عند تسعا وتسعين رحمة, حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا, فحواها إلى ما عنده, فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة.

10290ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: قال عبد الله بن عمرو: أن الله مئة رحمة, أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة يتراحم بها الجن والإنس والطير والبهائم وهوّام الأرض.

10291ـ حدثنا محمد بن عوف, قال: أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج, قال: حدثنا صفوان بن عمرو, قال: ثني أبو المخارق زهير بن سالم, قال: قال عمر لكعب: ما أوّل شيء ابتداه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد, ولكنه كتب بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: «أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي».

القول في تأويل قوله تعالى: لَيَجْمَعَنّكُمْ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ.

وهذه اللام التي في قوله: لَيَجْمَعَنّكُمْ لام قسم. ثم اختلف أهل العربية في جالبها, فكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلت الرحمة غاية كلام, ثم استأنفتَ بعدها: لَيَجْمَعَنّكُمْ, قال: وإن شئت جعلته في موضع نصب, يعني كتب لَيَجْمَعَنّكُمْ كما قال: كَتَبَ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ أنّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ يريد: كتب أنه من عمل منكم. قال: والعرب تقول في الحروف التي يصلح معها جواب كلام الأيمان بأن المفتوحة وباللام, فيقولون: أرسلت إليه أن يقوم, وأرسلت إليه ليقومنّ. قال: وكذلك قوله: ثُمّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِما رَأوا الآياتِ لَيَسْجُنُنّهُ حتى حِينٍ. قال وهو في القرآن كثير إلا ترى أنك لو قلت: بدا لهم أن يسجنوه, لكان صوابا؟ وكان بعض نحوي البصرة يقول: نصبت لام لَيَجْمَعَنّكُمْ لأن معنى كتاب كأنه قال: والله ليجمعنكم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله: كَتَبَ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ غاية, وأن يكون قوله: لَيَجْمَعَنّكُمْ خبر مبتدإ, ويكون معنى الكلام

حينئذ: ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه لينتقم منكم بكفركم به.

وإنما قلت: هذا القول أولى بالصواب من إعمال كتب فـي لَيَجْمَعَنّكُـمْ لأن قوله: كَتَبَ قد عمل في الرحمة, فغير جائز وقد عمل في الرحمـة أن يعمـل في: لَيَجْمَعَنّكُمْ لأنه لا يتعدى إلى اثنين.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في قراءة من قرأ: كَتَبَ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ أنه بفتح أن؟ قيل: إن ذلـك إذ قرىء كـذلك, فـإن «أن» بيـان عـن الرحمـة وترجمة عنها, لأن معنى الكلام: كتـاب علـى نفسـه الرحمـة أن يرحـم (مـن تاب) من عباده بعد اقـتراف السـوء بجهالـة, ويعفـو والرحمـة يـترجم عنهـا, ويبين معناها بصفتها, وليس من صفة الرحمـة لَيَجْمَعَنّكُـمْ إلـى يَـوْمِ القِيَامَـةِ فيكون مبينا به عنها. فإن كان ذلك كذلك, فلم يبق إلا أن ينصـب بنيـة تكريـر كتب مرة أخرى معـه, ولا ضـرورة بـالكلام إلـى ذلـك فتـوجه إلـى مـا ليـس بموجود في ظاهر.

وأما تأويل قول لا رَيْبَ فِيهِ فإنه لا يشكّ فيه, يقول: في أن اللـه يجمعكـم إلى يوم القيامة فيحشركم إليه جميعا, ثم يؤتى كلّ عامل منكم أجر ما عمل من حسن أوسيّىء.

القول في تأويل قوله تعالى: الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يؤْمِنُونَ.

يعنـي تعـالى ذكـره بقـوله: الّـذِينَ خَسِـرُوا أنْفُسَـهُمْ العـادلين بـه الأوثـان والأصنام يقول تعالى ذكـره: ليجمعـنّ اللـه الـذين خسـروا أنفسـهم, يقـول: الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندّ والعـديل, فأبقوهـا بإيجـابهم سخط الله وأليم عقابه في المعاد. وأصل الخسار: الغَبْن, يقال منـه: خسـر الرجل في البيع: إذا غبن, كما قال الأعشى:

لا يأخُذُ الرّشْوَةَ فَي حُكْمِهِولا يُبَالي خَسَرَ الخاسِرِ

وقد بينا ذلك في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته. وموضوع «الذين» في قوله: الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ نصب على الـردّ علـى الكـاف والميـم فـي قوله: لَيَجْمَعَنّكُمْ على وجه البيان عنها. وذلك أن الذين خسروا أنفسهم, هـم الذين خوطبوا بقوله: لَيَجْمَعَنّكُمْ. وقوله: فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ يقول: فهم لأهلاكهم أنفسهم وغبنهم إياه حظها لا يؤمنون, أي لا يوحدون الله ولا يصدّقون بوعده ووعيده ولا يقرون بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 13

القول في تأويـل قـوله تعـالى: {وَلَـهُ مَـا سَـكَنَ فِـي اللّيْـلِ وَالنّهَـارِ وَهُـوَ السّمِيعُ العَلِيمُ }..

يقول تعالى ذكره: لا يؤمن هؤلاء العـادلون بـالله الأوثـان, فيخلصـوا لـه التوحيد ويفردوا له الطاعة ويقرّوا بالألوهيـة جهلاً. وَلَـهُ مـا سَـكَنَ فِـي اللّيْـلِ والنّهارِ يقول: وله ملك كل شيء, لأنه لا شيء من خلق اللـه إلا وهـو سـاكن الليل والنهار, فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا. وَهُوَ السّمِيعُ ما يقول هـؤلاء المشركون فيه من ادّعائهم له شريكا, و مـا يقـول غيرهـم مـن خلاف ذلـك. العَلِيمُ بما يضمرونه في أنفسـهم ومـا يظهرونـه بجـوارحهم, لا يخفـى عليـه شيء من ذلك, فهو يحصيه عليهم, ليوفي كلّ إنسان ثواب ما اكتسب وجزاء ما عمل.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: سَكَنَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10292ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنّهارِ يقول: ما استقرّ في الليل والنهار.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أوّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام, والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك, الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان: أشياء غير الله تعالى أتخذ وليا وأستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث؟ كما:

10293ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قُلْ أَغَيْرُ اللّهِ أَتّخِذُ وَلِيّا قال: أما الوليّ: فالذي يتولونه ويقرون بالربوبية.

فاطِرِ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول أشيئا غير الله فاطر السموات والأرض أتخذ وليا؟ ففاطر السموات من نعت الله وصفته ولذلك خفض. ويعني بقوله: فاطِرِ السّمَواتِ والأرْضِ مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما. كالذي:

10294ـ حدثنا به ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان, عن سفيان, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد, قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض, حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر, فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها, يقول: أنا ابتدأتها.

10295ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فاطِرِ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: خالق السموات والأرض.

10296ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فاطِرِ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: خالق السموات والأرض.

يقال من ذلك: فطرها الله يَفْطُرُها ويَفْطِرُها فَطْرا وفُطُورا, ومنه قوله: هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ يعني: شقوقا وصدوعا, يقال: سيف فُطَار: إذا كثر فيه التشقق, وهو عيب فيه ومنه قول عنترة:

وسَيْفِي كالعقيقةِ فهو كِمْعِيسِلاحي لا أفلّ ولا فُطارَا

ومن يقال: فَطَر نابُ الجمل: إذا تشقق اللحم فخرج ومنه قوله: تَكادُ السّمَوَاتِ يَتَفَطّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ: أي يتشقّقن ويتصدعن.

وأما قوله: وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ فإنه يعني: وهو يَرْزُق خلقه ولا يُرْزَق. كما:

10297ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قال: يَرْزُق, ولا يُرْزَق.

وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك: وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ أي أنه يطعم خلقه, ولا يأكل هو. ولا معنى لذلك لقلة القراءة به.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ إِنّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أوّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ويحثّونك على عبادتها: أغير الله

فاطر السموات والأرض, وهو يرزقني وغيري, ولا يرزقه أحد, أتخذ وليا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضا: إني أمرني ربي أن أكون أوّل من أسلم, يقول: أوّل من خضع له بالعبودية وتذلل لأمره ونهيه وانقاد له من أهل دهري وزماني. وَلا تَكُونَنّ مِنَ المْشُرِكِينَ يقول: وقل: وقيل لي لا تكوننّ من المشركين بالله الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء وجعل قوله: أُمِرْتُ بدلاً من «قيل لي», لأن قوله: أُمِرْتُ معناه: قيل لي, فكأنه قيل: قل إني قيل لي: كن أوّل من أسلم, ولا تكوننّ من المشركين فاجتزىء بذكر الأمر من ذكر القول, إذ كان الأمر معلوما أنه قول.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم: إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه, وإني أخاف إن عصيت ربي, فعبدتها عذاب يوم عظيم, يعني عذاب يوم القيامة. ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله وفظاعة شأنه.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {مّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ }..

اختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قراء الحجاز والمدينة والبصرة: مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ بضم الياء وفتح الراء, بمعنى: من يصرف عنه العذاب يومئد. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ» بفتح الياء وكسر الراء, بمعنى: من يصرف الله عنه العذاب يومئد.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي, قراءة من قرأه: «يَصْرِفْ عَنْهُ» بفتح الياء وكسر الراء, لدلالة قوله: فَقَدْ رَحِمَهُ على صحة ذلك, وأن القراءة فيه بتسمية فاعله. ولو كانت القراءة في قوله: مَنْ يُصْرَفُ على وجه ما لم يسمّ فاعله, كان الوجه في قوله: فَقَدْ رَحِمَهُ أن يقال: «فقد رُحِم» غير مسمى فاعله وفي تسمية الفاعل في قوله: فَقَدْ رَحِمَهُ دليل على بين أن ذلك كذلك في قوله: «مَنْ يَصْرِفُ عَنْهُ». وإذا كان ذلك هو الوجه الأولى بالقراءة, فتأويل الكلام: مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ من خلقه يَوْمِئِذٍ عذابه فَقَدْ رَحِمَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ. ويعني بقوله: ذَلِكَ: وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة, ورحمته إياه الفَوْزُ أي النجاة من الهلكة والظفر بالطلبة المُبِينُ يعني الذي بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وإدراك الطلبة.

وبنحو الذي قلنا في قوله: مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10298ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ قال: من يصرف عنه العذاب.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدُيرٌ }..

يقول تعالى ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم: يا محمد, إن يصبك الله بضرّ, يقول: بشدّة وشظف في عيشك وضيق فيه, فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أوّل من أسلم لأمره ونهيه, وأذعن له من أهل زمانك, دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام ودون كلّ شيء سواها من خلقه. وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ يقول: وإن يصبك بخير: أي برخاء في عيش وسعة في الرزق وكثرة في المال فتقرّ أنه أصابك بذلك, فَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول تعالى ذكره: والله الذي أصابك بذلك فهو على كل شيء قدير, هو القادر على نفعك وضرّك, وهو على كلّ شيء يريده قادر, لا يعجزه شيء يريده ولا يمتنع منه شيء طلبه, ليس كالآلهة الذليلة المهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضر عنها ولا غيرها يقول تعالى ذكره: فكيف تعبد من كان هكذا؟ أم كيف لا تخلص العبادة, وتقرّ لمن كان بيده الضرّ والنفع والثواب والعقاب وله القدرة الكاملة والعزّة الظاهرة؟

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: «وهو» نفسه يقول: والله القاهر فوق عباده. ويعني بقوله: القاهِرُ: المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم. وإنما قال: «فوق عباده», لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم, ومن صفة كلّ قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه.

فمعنى الكلام إذن: والله الغالب عباده, المذلّلهم, العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم, فهو فوقهم بقهره إياهم, وهم دونه. وهُوَ الحَكِيمُ يقول: والله الحكيم في علوّه على عباده وقهره إياهم بقدرته وفي سائر تدبيره, الخبير بمصالح الأشياء ومضارّها, الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديها, ولا يقع في تدبيره خلل, ولا يدخل حكمه دخل.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَيّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيّ هَـَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَىَ قُل لاّ أَشْهَدُ قُلْ إِنّمَا هُوَ إِلَـَهٌ وَاحِدٌ وَإِنّنِي بَرِيءٌ مّمّا تُشْرِكُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوّتك من قومك: أيّ شيء أعظم شهادة وأكبر, ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب, ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم, بالمحقّ منا من المبطل والرشيد منا في فعله وقوله من السفيه, وقد رضينا به حكما بيننا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10299ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله تعالى: أيّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهادَةً قال: أمر محمد أن يسأل قريشا, ثم أمر أن يخبرهم فيقول: اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

القول في تأويل قوله تعالى: وأُوحِيَ إليّ هَذَا القُرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين الذين يكذّبونك: اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وأُحِيَ إليّ هَذَا القُرْآنُ لأنْذِرَكُمْ بِهِ عقابه, وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم, إن لم ينته إلى العمل بما فيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإيمان بجميعه, نزولَ نقمة الله به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10300ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أيّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وأُحِيَ إليّ هَذَا القُرآنُ لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يا أيّها النّاسُ بَلِّغُوا وَلَوْ آيَةً مِنْ كِتابِ الله, فإنّهُ مَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللّهِ فقد بلغه أمْرُ اللّهِ, أخَذَهُ, أوْ تَرَكَهُ».

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «بَلّغُوا عَنِ اللّهِ, فَمَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللّهِ, فَقَدْ بَلَغَهُ أمْرُ اللّهِ».

10301ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب القرظي: لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قال: من بلغه القرآن فكأنما رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم. ثم قرأ: وَمَنْ بَلَغَ أئِنّكُمْ لَتَشْهَدُونَ.

10302ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن حسن بن صالح, قال: سألت ليثا: هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة؟ قال: كان مجاهد يقول: حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير. ثم قرأ: لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أئِنّكُمْ لَتَشْهَدُونَ.

10303ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَمَنْ بَلَغَ: من أسلم من العجم وغيرهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا خالد بن يزيد, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب في قوله:لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قال: من بلغه القرآن, فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم.

10304ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وأُحِيَ هَذَا القُرآنُ لأنْذِرَكُمْ بِهِ يعني أهل مكة, وَمَنْ بَلَغَ يعني: ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير.

حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت سفيان الثوريّ يحدّث, لا أعلمه إلاّ عن مجاهد, أنه قال في قوله: وأُحِيَ هَذَا القُرآنُ لأنْذِرَكُمْ بِهِ العرب وَمَنْ بَلَغَ العجم.

10305ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أما «من بلغ»: فمن بلغه القرآن فهو له نذير.

10306ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وأُحِيَ هَذَا القُرآنُ لِاُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قال: يقول: من بلغه القرآن فأنا نذيره. وقرأ: يا أيّها النّاسُ إنّي رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعا قال: فمن بلغه القرآن, فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره.

فمعنى هذا الكلام: لأنذركم بالقرآن أيها المشركون, وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم, ف «مَنْ» موضع نصب بوقوع «أنذر» عليه, و «بلغ» في صلته, وأسقطت الهاء العائدة على «مَنْ» في قوله: «بَلَغَ» لاستعمال العرب ذلك في صلات «من, وما, والذي».

القول في تأويل قوله تعالى: أئِنّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أنّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أشْهَدُ قُلْ إنّمَا هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ وَإنّنِي بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوّتك, العادلين بالله ربا غيره: أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى, يقول: تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام. وقال: «أُخْرَى» ولم يقل: «أخر» والآلهة جمع, لأن الجموع يلحقها التأنيث, كما قال تعالى: فَمَا بالُ القُرُونِ الأُولى ولم يقل «الأُوَل», ولا «الأوّلين». ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد, لا أشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى, بل أجحد ذلك وأنكره. إنّما هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ يقول: إنما هو معبود واحد, لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة. وَإنّنِي بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ يقول: قل وإنني بريء من كلّ شريك تدعونه لله وتضيفونه إلى شركته وتعبدونه معه, لا أعبد سوى الله شيئا ولا أدعو غيره إلها. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته. وذلك ما:

10307ـ حدثنا به هناد بن السريّ وأبو كريب, قالا: حدثنا يونس بن بكير, قال: ثني محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت, قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة, عن ابن عباس, قال: جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحريّ بن عمير, فقالوا: يا محمد أما تعلم مع الله إلها غيره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ بِذَلِكَ بُعِثْتُ, وَإلى ذلكَ أدْعُو» فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم: قُلْ أيّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إلى قوله: لا يؤْمِنون.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }..

يقول تعالى ذكره: الذين آتيناهم الكتاب التوراة والإنجيل, يعرفون أنما هو إله واحد لا جماعة الآلهة, وأن محمدا نبيّ مبعوث, كما يعرفون أبناءهم. وقوله: الّذِينَ خَسِروا أنْفُسَهُمْ من نعت «الذين» الأولى, ويعني بقوله: خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ أهلكوها وألقوها في نار جهنم بإنكارهم محمدا أنه لله رسول مرسل, وهم بحقيقة ذلك عارفون فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ يقول: فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون. وقد قيل: إن معنى خسارتهم أنفسهم: أن كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة, وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار, فذلك خسران الخاسرين منهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار, بما فرط منهم في الدنيا من معصيتهم الله

وظلمهم أنفسهم, وذلك معنى قول الله تعالى: الّذِينَ يَرِثُـونَ الفِـرْدَوْسِ هُـمْ فِيها خالِدُونَ
وبنحو ما قلنا في معنى قوله: الّذِينَ آتيْناهُمُ الكِتابِ يَعْرِفُونَهُ كمـا يَعْرِفُـونَ أبْناءَهم قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10308ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: الّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابِ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أبْنـاءَهُمْ يعرفـون أنّ الإسلام دين الله, وأن محمدا رسول الله, يجدونه مكتوبا عندهم في التـوراة والإنجيل.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قتـادة, في قـوله: الّـذِينَ آتَيْنـاهُمُ الكِتـابَ يَعْرِفُـونَهُ كمـا يَعْرِفُـونَ أبْنـاءَهُمْ النصـارى واليهود, يعرفون رسول الله في كتابهم, كما يعرفون أبناءهم.
10309ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, قـال: حدثنا أسـباط, عـن السـديّ: الّـذِينَ آتَيْنـاهُمُ الكِتـابَ يَعْرِفُـونَهُ كمـا يَعْرِفُـونَ أبْناءَهُمْ
10310ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, قوله: الّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ: يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: زعم أهل المدينة عن أهـل الكتـاب ممـن أسـلم, أنهم قالوا: والله لنحن أعرف به من أبنائنـا مـن أجـل الصـفة والنعـت الـذي نجده في الكتاب وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّـهِ كَـذِباً أَوْ كَذّبَ بِآيَاتِهِ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الظّالِمُونَ }..
يقول تعالى ذكره: ومن أشدّ اعتداء وأخطأُ فعلاً وأخطل قولاً مِمّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا, يعني: ممن اختلق على الله قيل باطل, واخـترق مـن نفسـه عليه كذبا, فزعـم أن لـه شـريكا مـن خلقـه وإلهـا يعبـد مـن دونـه كمـا قـاله المشركون من عبدة الأوثان, أو ادّعى له ولدا أو صاحبة كما قالته النصـارى. أوْ كَذّبَ بآياتِهِ يقول: أو كذّب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوّتهم كذّبت بهـا اليهـود. إنّـه لا يُفْلِـحُ الظّـالِمُونَ يقـول: إنـه لا يفلـح القائلون على الله الباطل, ولا يدركون البقاء في الجنـان, والمفـترون عليـه الكذب والجاحدون بنبوّة أنبيائه.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَـوْمَ نَحْشُـرُهُمْ جَمِيعـاً ثُـمّ نَقُـولُ لِلّـذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ }..
يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المفترين على الله كذبا والمكذّبين بآياته, لا يفلحون اليوم في الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعا, يعني: ولا في الآخرة. ففي الكلام محذوف قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف.
وتأويل الكلام: إنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعا فقوله: «ويوم نحشـرهم», مـردود علـى المـراد فـي الكلام, لأنـه وإن كـان محذوفا منه فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه. ثم نَقُولُ للّذِينَ أشْرَكُوا أيْنَ شُرَكاؤُكُم يقـول: ثـم نقـول إذا حشـرنا هـؤلاء المفـترين علـى اللـه الكـذب بادّعائهم له في سلطانه شريكا والمكذّبين بآيـاته ورسـله, فجمعنـا جميعهـم

يوم القيامة: أيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أنهم لكم آلهة من دون اللـه, افتراء وكذبا, وتدعونهم من دونه أربابا, فأتوا بهم إن كنتم صادقين.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَن قَـالُواْ وَاللّـهِ رَبّنَـا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلـك إذ فتنـاهم فاختبرنـاهم, إلاّ أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ كذبا منهم في أيمانهم على قيلهم ذلك.

ثم اختلف القراء في قراءة ذلك, فقرأته جماعة من قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ» بالنصب, بمعنى: لم يكن اختبارنا لهم إلاّ قيلهم وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ غير أنهم يقرءون تَكُنْ بالتاء على التأنيث وإن كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهي خبر, وذلك عند أهل العربيـة شاذّ غير فصيح في الكلام وقد رُوِي بيت للبيد بنحو ذلك, وهو قوله:

فَمَضَى وَقَدّمَها وكانَتْ عادَةً منهُ إذا هيَ عَرّدَتْ إقْدامُها

فقال: «وكانت» بتأنيث الإقدام لمجاورته قوله: عادة.

وقرأ ذلك جماعة مـن قـرّاء الكـوفيين: «ثـمّ لَـمْ يَكُـنْ» باليـاء «فِتْنَتَهُـمْ» بالنصب إلاّ أنْ قالُوا بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم, غيـر أنهـم ذكـروا يكـون لتـذكير أن وهـذه القـراءة عنـدنا أولـى القراءتيـن بالصواب, لأن «أنْ» أثبت في المعرفة من الفتنة.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ثُمّ لَـمْ تَكُـنْ فِتْنَتُهُـمْ فقـال بعضـهم: معناه: ثم لم يكن قولهم. ذكر من قال ذلك:

10311ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, قال: قال قتادة في قوله: ثُـمّ لَـمْ تَكُـنْ فِتْنَتُهُـمْ قـال: مقـالتهم. قـال معمر: وسمعت غير قتادة يقول: معذرتهم.

10312ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابـن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ قـال: قولهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قـوله: ثُـمّ لَـمْ تَكُـنْ فِتْنَتُهُـمْ إلاّ أنْ قـالُوا... الآيـة, فهـو كلامهم, قالوا: واللّهِ رَبّنَا ما كُنَا مُشْرِكِينَ.

10313ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بـن خالد يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال سمعت الضحاك: ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ يعني كلامهم.

وقال آخرون: معنى ذلك معذرتهم. ذكر من قال ذلك:

10314ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفـر, قـال: حدثنا شعبة, عن قتادة: ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ قال: معذرتهم.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاّ أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ يقول: اعتـذارهم بالباطـل والكذب.

والصواب من القول في ذلك أن يقال معناه: ثم لم يكن قيلهم عنـد فتنتنـا إياهم اعتذارا مما سلف منهم من الشرك بالله, إلا أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّـا مُشْرِكِينَ فوضـعت الفتنـة موضـع القـول لمعرفـة السـامعين معنـى الكلام.

وإنما الفتنة: الاختبار والابتلاء, ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلاّ عند الاختبار, وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم.

واختلفت القرّاء أيضا في قراءة قوله: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين: وَاللّهِ رَبّنا خفضا على أن «الرب» نعت لله. وقرأ ذلك جماعة من التابعين: «واللّهِ رَبّنا» بالنصب بمعنى: والله يا ربنا, وهي قراءة عامة قرّاء أهل الكوفة.

وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: «وَاللّهِ رَبّنا» بنصب الربّ, بمعنى: يا ربنا. وذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم: أيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمونَ وكان من جواب القوم لربهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين, فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا. يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون, ويعني بقوله: ما كُنّا مُشْرِكِينَ ما كنا ندعو لك شريكا ولا ندعو سواك.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ وَضَلّ عَنْهُمْ مّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام في الآخرة, عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين, واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها متخلقين في الدنيا من الكذب والفرية.

ومعنى النظر في هذا الموضع: النظر بالقلب لا النظر بالبصر, وإنما معناه: تبين, فاعلم كيف كذبوا في الآخرة. وقال: «كذبوا», ومعناه: يكذبون, لأنه لما كان الخبر قد مضى في الآية قبلها صار كالشيء الذي قد كان ووجد. وضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ يقول: وفارقهم الأنداد والأصنام وتبرّءوا منها, فسلكوا غير سبيلها لأنها هلكت, وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتزاء, ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله وعبادتهم إياه وإشراكهم إياها في سلطان الله, فضلّت عنهم, وعوقب عابدوها بفريتهم. وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال: الأخذ على غير الهدى. وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذٍ. ذكر الرواية بذلك.

10315ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن مطرف, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبير, قال: أتى رجل ابن عباس, فقال: قال الله: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلاّ أهل الإسلام فقالوا: تعالوا لنجحد قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم وَلا يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثا.

10316ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ قال: قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر, ولا يغفر الله لمشرك, انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله إياهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

10317ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ ثم قال: ولا يَكْتُمونَ الله حَدِيثا بجوارحهم.
10318ـ حدثنا ابن وكيع, قال حدثنا أبي, عن حمزة الزيات, عن رجل يقال له هشام, عن سعيد بن جبير: ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاّ أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ قال: حلفوا واعتذروا, قالوا: والله ربنا.
حدثني المثنى, قال: حدثنا قبيصة بن عقبة, قال: حدثنا سفيان, عن سعيد بن جبير, قال: أقسموا واعتذروا: والله ربنا.
حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن حمزة الزيات, عن رجل يقال له هشام, عن سعيد بن جبير بنحوه.
10319ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو معاوية, عن سفيان بن زياد العصفري, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ قال: لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد, قال من فيها من المشركين: تعالوا نقول: لا إله إلاّ الله, لعلنا نخرج مع هؤلاء قال: فلم يصدّقوا, قال: فحلفوا: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ قال: فقال الله: انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ.
10320ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ: أي يشركون به.
حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ قال: لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة إلاّ مسلم, قالوا: تعالوا إذا سئلنا قلنا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ. فسئلوا, فقالوا ذلك, فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم, فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك لَوْ تُسَوّى بِهِمُ الأرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثا.
حدثني الحرث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا مسلم بن خلف, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قال: يأتي على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل الشرك أهل التوحيد يُغْفر لهم, فيقولوا: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ قال: انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال حدثنا سفيان عن رجل, عن سعيد بن جبير, أنه كان يقول: وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ يخفضها. قال: أقسموا واعتذروا. قال الحرث: قال عبد العزيز, قال سفيان مرّة أخرى, ثني هشام, عن سعيد بن جبير.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىَ قُلُوبِهِمْ أَكِنّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيَ آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلّ آيَةٍ لاّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتّىَ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوَاْ إِنْ هَـَذَآ إِلاّ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ }..
يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد من يستمع إليك, يقول: من يستمع القرآن منك, ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك وأمره ونهيه, ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه, ولا يتدبره ولا يصغي له سمعه ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك, إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك, ولا يعقل عنك ما تقول لأن الله قد جعل على قلبه أكنّة. وهي جمع كنان, وهو الغطاء مثل سنان وأسنة,

يقال منه: أكننت الشيء في نفسي بالألف, وكنَنْتُ الشيء إذا غطيته, ومن ذلك بَيْضٌ مَكْنُونٌ وهو الغطاء, ومنه قول الشاعر:
تَحْتَ عَيْنٍ كِنانُناظِلّ بُرْدٍ مُرَحّلُ
يعني غطاءهم الذي يكنّهم.
وفِي آذَانِهِمْ وَقْرا يقول تعالى ذكره: وجعل في آذانهم ثقلاً وصمما عن فهم ما تتلو عليهم والإصغاء لما تدعوهم إليه. والعرب تفتح الواو من «الوَقْر» في الأذن: وهو الثقل فيها, وتكسرها في الحمل, فتقول: هو وِقْر الدابة, ويقال من الحِمل: أوقرت الدابة فهي مُوقَرة, ومن السمع: وقرت سمعه فهو موقور, ومنه قول الشاعر:
(ولي هامَةٌ قَدْ وَقَرَ الضّرْبُ سَمْعَها)
وقد ذكر سماعا منهم: وقَرَتْ أذنه: إذا ثقلت, فهي موقورة, وأوقَرت النخلة فهي مُوقر, كما قيل: امرأة طامث وحائض, لأنه لاحظّ فيه للمذكر, فإذا أريد أن الله أوقرها قيل موقرة. وقال تعالى ذكره: وَجَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنّةً أنْ يَفْقَهُوهُ بمعنى: أن لا يفقهوه, كما قال: يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلّوا بمعنى: أن لا تضلوا, لأن الكنّ إنما جعل على القلب لئلا يفقهه لا ليفقهه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10321ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَجَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وفِي آذَانِهِمْ وَقْرا قال: يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئا, كمثل البهيمة التي تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها.
10322ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَجَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وفِي آذَانِهِمْ وَقْرا أما أكنة: فالغطاء, أكنّ قلوبهم لا يفقهون الحقّ, وفِي آذَانِهِمْ وَقْرا قال صمم.
10323ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ قال: قريش.
حدثني المثنى, قال: حدثنا حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
القول في تأويل قوله تعالى: وَإنْ يَرَوْا كُلّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حتى إذَا جَاءُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاّ أساطِيرُ الأوّلِينَ.
يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام, الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك, كُلّ آيَةٍ: يقول: كل حجة وعلامة تدلّ أهل الحِجا والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبّوتك لا يُؤْمِنُوا بِها يقول: لا يصدّقون بها ولا يقرّون بأنها دالة على ما هي عليه دالة. حتى إذَا جَاءُوكَ يُجادِلُونَكَ يقول: حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به يجادلونك, يقول: يخاصمونك. يَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا يعني بذلك الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها, يقولون لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا حجج الله التي احتجّ بها عليهم وبيانه الذي بينه لهم: إنْ هَذَا إلاّ أساطِيرُ الأوّلِينَ أي ما هذا إلاّ أساطير الأوّلين. والأساطير: جمع إسْطارة وأُسْطورة مثل أفكوهة وأضحوكة, وجائز أن يكون الواحد أسطارا مثل أبيات وأبابيت وأقوال

وأقاويل, من قول الله تعالى: وكِتابٍ مَسْطُورٍ من سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرا. فإن كان من هذا, فإن تأويله: ما هذا إلاّ ما كتبه الأوّلون. وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأوّلونه بهذا التأويل, ويقولون معناه: إن هذا إلاّ أحاديث الأوّلين.

10324ـ حدثني بذلك المثنى بن إبراهيم, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس.

10325ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما: أساطِيرُ الأوّلِينَ فأساجيع الأوّلين.

وكان بعض أهل العلم وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى بكلام العرب يقول: الإسطارة: لغة الخرافات والترّهات. وكان الأخفش يقول: قال بعضهم: واحده أسطورة, وقال بعضهم: إسطارة قال: ولا أراه إلاّ من الجمع الذي ليس له واحد, نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل. قال: وقال بعضهم: واحد الأبابيل: إبّيل وقال بعضهم: إبّوْل, مثل عِجّوْل, ولم أجد العرب تعرف له واحدا, وإنما هو مثل عباديد لا واحد لها. وأما الشماطيط, فإنهم يزعمون أن واحده شِمْطاط, قال: وكلّ هذه لها واحد, إلاّ أنه لم يستعمل ولم يتكلم به, لأن هذا المثال لا يكون إلاّ جمعا قال: وسمعت العرب الفصحاء تقول: أرسل خيله أبابيل, تريد جماعات, فلا تتكلم بها موحدة. وكانت مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر, ما:

10326ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: حتى إذَا جَاءُوكَ يُجادِلُونَكَ... الآية: قال: هم المشركون يجادلون المسلمين في الذبيحة, يقولون: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون, وأما ما قتل الله فلا تأكلون, وأنتم تتبعون أمر الله تعالى.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }..

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنأوْنَ عَنْهُ فقال بعضهم: معناه: هؤلاء المشركون المكذّبون بآيات الله, ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه, وينأون عنه: يتباعدون عنه. ذكر من قال ذلك:

10327ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص بن غياث وهانيء بن سعيد, عن حجاج, عن سالم, عن ابن الحنفية: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأوْنَ عَنْهُ قال: يتخلفون عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه, وينهون الناس عنه.

10328ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأوْنَ عَنْهُ يعني: ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به. ويَنْأوْنَ عَنْهُ يعني: يتباعدون عنه.

10329ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأوْنَ عَنْهُ أن يتبع محمد ويتباعدون هم منه.

10330ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْـهُ ويَنْـأَوْنَ عَنْـهُ يقـول: لا يلقونه, ولا يدعون أحدا يأتيه.
10331ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول فـي قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ يقول: عن محمد صلى الله عليه وسلم.
10332ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ جمعوا النهي والنأي. والنأي: التباعد.
وقال بعضهم: بل معناه: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ عن القرآن أن يُسمع لـه ويعمـل بما فيه. ذكر من قال ذلك:
10333ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, في قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ قال: ينهون عـن القـرآن, وعـن النبيّ صلى الله عليه وسلم. ويَنْأَوْنَ عَنْهُ ويتباعدون عنه.
10334ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ قال قريش عن الذكر. ويَنْأَوْنَ عَنْهُ يقول يتباعدون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَهُمْ يَنْهَـوْنَ عَنْـهُ ويَنْـأَوْنَ عَنْـهُ قريـش عـن الـذكر, ينـأون عنـه: يتباعدون.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عـن معمـر, عـن قتادة: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ قال: ينهون عن القرآن وعن النـبيّ صـلى الله عليه وسلم, ويتباعدون عنه.
10335ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: يَنْأَوْنَ عَنْهُ قال: ينأون عنه: يبعدون.
وقال آخرون: معنى ذلك: وهـم ينهـون عـن أذى محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم, وينأون عنه: يتباعدون عن دينه واتباعه. ذكر من قال ذلك:
10336ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع وقبيصـة, وحـدثنا ابـن وكيـع, قـال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حـبيب بـن أبـي ثـابت, عمـن سـمع ابـن عبـاس يقول: نزلت في أبي طالب, كان ينهى عن محمد أن يُؤْذَي وينأي عما جاء به أن يؤمن به.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, قال: ثني من سمع ابن عباس يقول: وَهُمْ يَنْهَـوْنَ عَنْـهُ ويَنْـأَوْنَ عَنْهُ قال: نزلت في أبي طالب ينهي عنه أن يؤذي, وينأي عما جاء به.
حدثنا الحسن بن يحيى, أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن حبيب بن أبي ثابت, عمن سمع ابن عباس: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ قال: نزلت في أبي طالب كان ينهي المشركين أن يؤذوا محمدا, وينأي عما جاء به.
10337ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عبدة, عن إسماعيل بن أبـي خالـد, عـن القاسم بن مخيمرة, قال: كان أبو طالب ينهـي عـن النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم ولا يصدّقه.
10338ـ حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي ومحمد بن بشر, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن القاسم بن مخيمرة, في قوله: وَهُمْ يَنْهَـوْنَ عَنْـهُ ويَنْـأَوْنَ عَنْـهُ قال: نزلت في أبي طالب. قال ابن وكيع: قال بشر: كـان أبـو طـالب ينهـي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يؤذي, ولا يصدّق به.

حدثنا هناد, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن أبي محمد الأسديّ, عن حبيب بن أبي ثابت, قال: ثني من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ نزلت في أبي طالب كان ينهي عن أذى محمد, وينأى عما جاء به أن يتبعه.

10339ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن القاسم بن مخيمرة, في قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ قال: نزلت في أبي طالب.

10340ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, عن عبد العزيز بن سياه, عن حبيب, قال: ذاك أبو طالب, في قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ.

10341ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني سعيد بن أبي أيوب, قال: قال عطاء بن دينار في قوله الله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ أنها نزلت في أبي طالب, أنه كان ينهى الناس عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عما جاء به من الهدى.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية, قول من قال: تأويله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من سواهم من الناس, وينأوْنَ عن اتباعه. وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به, والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه, فالواجب أن يكون قوله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ خبرا عنهم, إذ لم يأتنا ما يدلّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم, بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يكون خبرا عن خاصّ منهم.

وإذ كان ذلك كذلك, فتأويل الآية: وإن ير هؤلاء المشركون يا محمد كلّ آية لا يؤمنوا بها, حتى إذا جاءوك يجادلونك, يقولون: إن هذا الذي جئتنا به إلا أحاديث الأوّلين وأخبارهم, وهم ينهون عن استماع التنزيل وينأون عنك, فيبعدون منك ومن اتباعك. وإنْ يُهْلِكُونَ إلاّ أَنْفُسَهُمْ يقول: وما يهلكون بصدّهم عن سبيل الله وإعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم إلا أنفسهم لا غيرها, وذلك أنهم يكسبونها بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه وما لا قبل لها به. وَما يَشْعُرُونَ يقول: وما يدرون ما هم مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم. والعرب تقول لكلّ من بعد عن شيء: قد نأي عنه, فهو ينأي نأيا, ومسموع منهم: نَأَيْتُك بمعنى نأيت عنك وأما إذا أرادوا: أبعدتك عني, قالوا: أنأيتك, ومن نأيتك بمعنى نأيت عنك قول الحطيئة:

نَأَتْكَ أُمامَةُ إلا سُؤَالاَوأبْصَرْتَ مِنْها بطَيْفٍ خَيالاَ

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النّارِ فَقَالُواْ يَلَيْتَنَا نُرَدّ وَلاَ نُكَذّبَ بِآيَاتِ رَبّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلَوْ تَرَى يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوّتك الذين وصفت لك صفتهم, إذْ وُقِفُوا يقول: إذ حبسوا, على النّارِ يعني في النار, فوضعت «على» موضع «في» كما قال: وَاتّبَعُوا ما تَتْلُوا الشّياطِينُ على مُلْكِ سَلَيْمانَ بمعنى في ملك سليمان. وقيل: وَلَوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا ومعناه: إذا وقفوا لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع «إذ» مكان «إذا»,

و«إذا» مكان «إذ», وإن كان حظّ «إذ» أن تصاحب من الأخبار ما قد وجد فقضى, وحظّ «إذا» أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد, ولكن ذلك كما قال الراجز وهو أبو النجم:

مدّ لنا في عُمْرِهِ ربّ طَهَثمّ جَزَاهُ اللّهُ عَنّا إذْ جَزَى جنّاتِ عَدْنٍ في العلالـيّ العُلا

فقال: «ثم جزاه الله عنا إذ جزى», فوضع «إذ» مكان «إذا». وقيل: «وُقِفوا» ولم يقل «أوقفوا», لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب, يقال: وقفت الدابة وغيرها بغير ألف إذا حبستها, وكذلك وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة حبيسا, بغير ألف. وقد:

10342ـ حدثني الحارث, عن أبي عبيد, قال: أخبرني اليزيديّ والأصمعيّ كلاهما, عن أبي عمرو, قال: ما سمعت أحدا من العرب يقول: «أوقفت الشيء» بالألف. قال: إلا أني لو رأيت رجلاً بمكان, فقلت: ما أوقفك هاهنا؟ بالألف لرأيته حسنا. فَقَالُوا يا لَيْتَنَا نُرَدّ يقول: فقال هؤلاء المشركون بربهم إذ حبسوا في النار: يا ليتنا نردّ إلى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله, وَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا يقول: ولا نكذّب بحجج ربنا ولا نجحدها, وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يقول: ونكون من المصدّقين بالله وحججه ورسله, متبعي أمره ونهيه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراقيين: «يا لَيْتَنا نُرَدّ وَلا نُكَذّبُ بآياتِ رَبّنا وَنَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ» بمعنى: يا ليتنا نردّ, ولسنا نكذّب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: يا لَيْتَنا نُـرَدّ وَلا نُكَـذّبَ بآياتِ رَبّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ بمعنى يا ليتنا نردّ, وأن لا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين.

وتأوّلوا في ذلك شيئا:

10343ـ حدّثنيه أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: في حرف ابن مسعود: «يا لَيْتَنا نُـرَدّ فَلا نُكَـذّبَ» بالفاء.

وذكر عن بعض قرّاء أهل الشام أنه قرأ ذلك: «يا لَيْتَنا نُـرَدّ وَلا نُكَـذّبُ» بالرفع ونَكُونَ بالنصب. كأنه وجه تأويله إلى أنهم تمنوا الردّ وأن يكونوا من المؤمنين, وأخبروا أنهم لا يكذّبون بآيات ربهم إن ردّوا إلى الدنيا.

واختلف أهل العربية في معنى ذلك منصوبا ومرفوعا, فقال بعض نحويي البصرة: وَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ نصب لأنه جواب للتمني, وما بعد الواو كما بعد الفاء. قال: وإن شئت رفعت وجعلته على غير التمني, كأنهم قالوا: ولا نكذّب والله بآيات ربنا, ونكون والله من المؤمنين هذا إذا كان على ذا الوجه كان منقطعا من الأوّل. قال: والرفع وجه الكلام, لأنه إذا نصب جعلها واو عطف, فإذا جعلها واو عطف, فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. قال: وهذا والله أعلم لا يكون, لأنهم لم يتمنوا هذا, إنما تمنوا الردّ, وأخبروا أنهم لا يكذّبون ويكونون من المؤمنين. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: لو نصب «نكذّب» و «نكون» على الجواب بالواو لكان صوابا قال: والعرب تجيب بالواو و«ثم», كما تجيب بالفاء, يقولون: ليت لي مالاً فأعطيك, وليت لي مالاً وأعطيك وثم أعطيك. قال: وقد تكون نصبا على الصرف, كقولك: لا يسعني شيء ويعجز عنك.

وقال آخر منهم: لا أحبّ النصب في هذا, لأنه ليس بتمنّ منهم, إنما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال: وَلَوْ رُدّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وإنما يكون التكذيب للخبر لا للتمني. وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو, وبحرف غير الفاء, وكان يقول: إنما الواو موضع حال, لا يسعني شيء ويضيق عنك: أي وهو يضيق عنك. قال: وكذلك الصرف في جميع العربية. قال: وأما الفاء فجواب جزاء, ما قمت فأتيك: أي لو قمت لأتيناك. قال: فهذا حكم الصرف والفاء. قال: وأما قوله: وَلا نُكَذّبَ ونكُونَ فإنما جاز, لأنهم قالوا: يا ليتنا نردّ في غير الحال التي وقُفِنْا فيها على النار, فكان وقفهم في تلك, فتمنوا أن لا يكونوا وقفوا في تلك الحالة. وكأن معنىّ صاحب هذه المقالة في قوله هذا: ولو ترى إذ وُقِفوا على النار, فقالوا: قد وقفنا عليها مكذّبين بآيات ربنا كفارا, فيا ليتنا نردّ إليها فنوقف عليها غير مكذّبين بآيات ربنا ولا كفارا. وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل, وذلك قول الله تعالى: وَلَوْ رُدّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وإنّهُم لكاذِبُونَ فأخبر الله تعالى أنهم في قيلهم ذلك كذبة, والتكذيب لا يقع في التمني, ولكن صاحب هذه المقالة أظنّ به أنه لم يتدبر التأويل ولزم سنن العربية. والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك: «يا لَيْتَنا نُرَدّ وَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ» بالرفع في كليهما, بمعنى: يا ليتنا نردّ, ولسنا نكذّب بآيات ربنا إن رددنا, ولكنا نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون إن هم ردّوا إلى الدنيا, لا على التمني منهم أن لا يكذّبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه, وأنهم كذبة في قيلهم ذلك. ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمني لاستحال تكذيبهم فيه, لأن التمني لا يكذّب, وإنما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار. وأما النصب في ذلك, فإني أظنّ بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التي ذكرناها عنه, وذلك قراءته ذلك: «يا لَيْتَنا نُرَدّ فَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ» على وجه جواب التمني بالفاء. وهو إذا قرىء بالفاء كذلك لا شكّ في صحة إعرابه, ومعناه في ذلك أن تأويله إذا قرىء كذلك: لو أنا رُددنا إلى الدنيا ما كذّبنا بآيات ربنا, ولكنا من المؤمنين. فإن يكن الذي حَكَي عن العرب من السماء منهم الجواب بالواو و«ثم» كهئية الجواب بالفاء صحيحا, فلا شكّ في صحة قراءة من قرأ ذلك: يا لَيْتَنا نُرَدّ وَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا وَنَكُونَ نصبا على جواب التمني بالواو, على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء, وإلا فإن القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل. ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا, بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ بَدَا لَهُمْ مّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ما قصد هؤلاء العادلين بربهم الجاحدين نبوّتك يا محمد في قيلهم إذْ وقفوا على النار: يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين, الأسي والندمَ على ترك الإيمان بالله والتصديق بك لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم, فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رءوس الأشهاد, ففضحهم بها ثم جازاهم بها جزاءهم. يقول: بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها,

مِنْ قَبْلُ ذلك في الدنيا, فظهرت. وَلَوْ رُدّوا يقول: ولو ردّوا إلى الدنيا فأمهلوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ يقول: لرجعوا إلى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله والكفر به والعمل بما يسخط عليهم ربهم. وإنّهُمْ لَكاذِبُونَ في قيلهم: لو رُددنا لم نكذّب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين, لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب لا إيمانا بالله.

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10344ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ يقول: بدت لهم أعمالهم في الآخرة التي أخفوها في الدنيا.

10345ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ قال: من أعمالهم.

10346ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْ رُدّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ يقول: ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم, لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوَاْ إِنْ هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ }..

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثان والأصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم, يقول تعالى ذكره: وَقالُوا إنْ هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنيْا يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحي خلقه بعد أن يميتهم, ويقولون: لا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور بعد الفناء. فهم بجحودهم ذلك وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة, لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية لأنهم لا يرجون ثوابا على إيمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت, ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله ورسوله وسيّىء من عمل يعملونه. وكان ابن زيد يقول: هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وُقفوا على النار, أنهم لو ردّوا إلى الدنيا لقالوا: إنْ هِيَ حيَاتُنا الدّنيَا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ.

10347ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْ رُدّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وقالوا حين يردّون: إنْ هِيَ إلاّ حياتُنا الدّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىَ رَبّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَـَذَا بِالْحَقّ قَالُواْ بَلَىَ وَرَبّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: لَوْ تَرَى يا محمد هؤلاء القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين, إذْ وُقِفُوا يوم القيامة: أي حبسوا, على رَبّهِمْ يعني: على حكم الله وقضائه فيهم. قالَ أَلَيْسَ هَذَا بالحَقّ يقول: فقيل لهم: أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونه في الدنيا حقا؟ فأجابوا فقالُوا بَلى والله إنه لحقّ. قالَ فَذُوقُوا العَذَابَ يقول: فقال الله تعالى ذكره لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذّبون, بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ يقول: بتكذيبكم به وجحودكموه الذي كان منكم في الدنيا.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذّبُواْ بِلِقَآءِ اللّهِ حَتّىَ إِذَا جَآءَتْهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَحَسْرَتَنَا عَلَىَ مَا فَرّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىَ ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله:قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذّبُوا بِلِقاءِ اللّهِ قد هلك ووكس في بيعهم الإيمان بالكفر الذين كذّبوا بلقاء الله, يعني: الذين أنكروا البعث بعد الممات والثواب والعقاب والجنة والنار, من مشركي قريش ومن سلك سبيلهم في ذلك. حتى إذَا جاءَتْهُمُ السّاعَةُ يقول: حتى إذا جاءتهم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى م ن قبورهم. وإنم ا أدخلت الألف واللام في «الساعة», لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها, وأنها مقصود بها قصد الساعة التي وصفت. ويعني بقوله: بَغْتَةً: فجأة من غير علم مَن تفجؤه بوقت مفاجأتها إياه, يقال منه: بغتّه أبغته بَغْتَة: إذا أخذتَه, كذلك قالُوا يا حَسْرَتَنا على ما فَرّطْنا فِيها يقول تعالى ذكره: وكس الذين كذّبوا بلقاء الله, ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار, فإذا جاءتهم الساعة بغتة, قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا وتبيّنوا خسارة صفقة بيعهم التي سلفت منهم في الدنيا تندما وتلهفا على عظيم الغبن الذي غَبنوه أنفسهم وجليل الخسران الذي لا خسران أجلّ منه: يا حَسْرَتَنا على ما فَرّطْنا فِيها يقول: يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها يعني في صفقتهم تلك. والهاء والألف في قوله: فِيها من ذكر الصفقة, ولكن اكتفى بدلالة قوله: قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذّبُوا بِلِقاءِ اللّهِ عليها من ذكرها, إذ كان معلوما أن الخسران لا يكون إلا في صفقة بيع قد خسرت. وإنما معنى الكلام: قد وكس الذين كذّبوا بلقاء الله, ببيعهم الإيمان الذي يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفر الذي يستوجبون به منه سخطه وعقوبته, ولا يشعرون ما عليهم من الخسران في ذلك حتى تقوم الساعة, فإذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ تندما. يا حَسْرَتَنا على ما فَرّطْنا فِيها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10348ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: يا حَسْرَتَنا على ما فَرّطْنا فِيها أما «يا حسرتنا»: فندامتنا على ما فرّطنا فيها فضيعنا من عمل الجنة.

10349ـ حدثنا محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا يزيد بن مهران, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي سعيد, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, في قوله: يا حَسْرَتَنا قال: «يَرَى أهْلُ النّارِ مَنازِلَهُمْ مِنَ الجَنّةِ فَيَقُولُونَ يا حَسْرَتَنا».

القول في تأويل قوله تعالى: وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ.

يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين كذّبوا بلقاء الله يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ. وقوله وَهُمْ من ذكرهم. يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ يقول: آثامهم وذنوبهم, واحدها وِزْر, يقال منه: وَزَرَ الرجل يَزِرُ: إذا أثم, فإن أريد أنهم أثموا قيل: قد وُزِرَ القوم فهم يُوزَرُونَ وهم موزورون. وقد زعم بعضهم: أن الوزر: الثقل والحمل. ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ولا من رواية ثقة عن العرب. وقال تعالى ذكره: على ظُهُورِهِمْ لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكب

وغير ذلك, فبّين موضع حملهم ما يحملون من ذلك, وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم نحو الذي:

10350ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير بن سلمان, قال: حدثنا عمرو بن قيس الملائي, قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيبه ريحا, فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا, إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك. فيقول: كذلك كنت في الدنيا, أنا عملك الصالح, طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وتلا: يَوْمَ نَحْشُرُ المُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا. وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا, فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد قبّح صورتك وأنتن ريحك. فيقول: كذلك كنت في الدنيا, أنا عملك السيىء طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك وتلا: وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ.

10351ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ قال: ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلا جاء رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دنسة, حتى يدخل معه قبره, فإذا رآه قال له: ما أقبح وجهك قال: كذلك كان عملك قبيحا. قال: ما أنتن ريحك قال: كذلك كان عملك منتنا. قال: ما أدنس ثيابك قال: فيقول: إن عملك كان دنسا. قال: من أنت؟ قال: أنا عملك. قال: فيكون معه في قبره فإذا بعث يوم القيامة, قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات, فأنت اليوم تحملني. قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله: يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ.

وأما قوله تعالى: ألا ساءَ ما يَزِرُونَ فإنه يعني: ألا ساء الوزر الذي يزرون: أي الإثم الذي يأثمونه بكفرهم بربهم. كما:

10352ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: ألا ساءَ ما يَزِرُونَ قال: ساء ما يعملون.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَآ إِلاّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لّلّذِينَ يَتّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }..

وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات في قولهم إنْ هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ, يقول تعالى ذكره مكذبا لهم في قيلهم ذلك: ما الحَياةُ الدّنْيا أيها الناس, إلاّ لَعِبٌ وَلهْوٌ يقول: ما باغي لذّات الحياة التي أدنيت لكم وقرّبت منكم في داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها والمتلذّذ بها والمنافس عليها, إلا في لعب ولهو لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذّذ فيها بملاذها, أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها فتُمِرّ عليه وتكدرُ كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه, ثم يعقبه منه ندما ويورثه منه ترحا. يقول: لا تغترّوا أيها الناس بها, فإن المغترّ بها عما قليل يندم. وللدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لّلّذِينَ يَتّقُونَ يقول: وللعمل بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقي منافعها لأهلها ويدوم سرور أهلها فيها, خير من الدار التي تفني فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم. لّلّذِينَ يَتّقُونَ يقول: للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه والمسارعة إلى رضاه. أفَلا

تَعْقِلُونَ يقول: أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو, وهم يرون من يُخْترم منهم ومن ينهلك فيموت ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع؟ ففي ذلك لمن عقل مدّكر ومزدجر عن الركون إليها واستعباد النفس لها, ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له بغير إشراك شيء سواه معه.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنّهُ لَيَحْزُنُكَ الّذِي يَقُولُونَ فَإِنّهُمْ لاَ يُكَذّبُونَكَ وَلَـكِنّ الظّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون, وذلك قولهم له: إنه كذّاب, فإنهم لا يكذّبونك.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك بمعنى: أنهم لا يكذّبونك فيما أتيتهم به من وحي الله, ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا بل يعلمون صحته, ولكنهم يجحدون حقيقته قولاً فلا يؤمنون به. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكي عن العرب أنهم يقولون: أكذبت الرجل: إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه. قال: ويقولون: كذبته: إذا أخبرت أنه كاذب. وقرأته جماعة من قرّاء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة: فإنّهُمْ لا يُكَذّبونَكَ بمعنى: أنهم لا يكذّبونك علما, بل يعلمون أنك صادق, ولكنهم يكذّبونك قولاً, عنادا وحسدا.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القرّاء, ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم. وذلك أن المشركين لا شكّ أنه كان منهم قوم يكذّبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوّة فكان بعضهم يقول: هو شاعر, وبعضهم يقول: هو كاهن, وبعضهم يقول: هو مجنون وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تنزيل ربّ العالمين قولاً. وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوّته, وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوّته حسدا له وبغيا. فالقارىء: «فإنهم لا يُكْذِبُونك» يعني به: أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوّتك وصدق قولك فيما تقول, يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله قولاً, وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا مصيبٌ. لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته. وفي قول الله تعالى في هذه السورة: الّذِينَ آتَيْناهُمْ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كمَا يَعْرِفونَ أبْناءَهُمْ أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد في جحود نبوّته صلى الله عليه وسلم, مع علم منهم به وصحة نبوّته. وكذلك القارىء: «فإنهم لا يُكَذّبُونَكَ»: يعني: أنهم لا يكذّبون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عنادا لا جهلاً بنبوّته وصدق لهجته مصيبٌ. لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم مَن هذه صفته. وقد ذهب إلى كلّ واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال: معنى ذلك: فإنهم لا يكذّبونك, ولكنهم يجحدون الحقّ على علم منهم بأنك نبيّ لله صادق.

10353ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: قَدْ نَعْلَمُ إنّهُ لَيَحْزُنُكَ الّذِي يَقُولُونَ فإنّهُمْ لا يُكَذّبُونَكَ قال: جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس

حزين, فقال له: ما يحزنك؟ فقال: «كذّبني هؤلاء». قال: فقال له جبريل: إنهم لا يكذّبونك هم يعلمون أنك صادق, وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قال: جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين, فقال له: ما يحزنك؟ فقال: «كذّبني هَؤلاءِ». فقال له جبريل: إنهم لا يكذّبونك, إنهم ليعلمون أنك صادق, وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ.

10354ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ قال: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون.

10355ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط: عن السديّ, في قوله: قَدْ نَعْلَمُ إنّهُ لَيَحْزُنُكَ الّذِي يَقُولُونَ فإنّهُمْ لا يُكَذّبونَكَ وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ لما كان يوم بدر, قال الأخنس بن شريق لبني زهرة: يا بني زهرة, إن محمدا ابن أختكم, فأنتم أحقّ من كفّ عنه فإنه إن كان نبيا لم تقاتلونه اليوم؟ وإن كان كاذبا كنتم أحقّ من كفّ عن ابن أخته, قفوا ههنا حتى ألقي أبا الحكم, فإن غلب محمد صلى الله عليه وسلم رجعتم سالمين, وإن غُلب محمد فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئا فيؤمئذ سمي الأخنس, وكان اسمه أبيّ. فالتقى الأخنس وأبو جهل, فخلا الأخنس بأبي جهل, فقال: يا أبا الحكم, أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك, والله إن محمدا لصادق, وما كذب محمد قطّ, ولكن إذا ذهب بنوقصيّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوّة, فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله: فإنّهُمْ لا يُكَذّبُونَكَ وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم.

10356ـ حدثني الحرث بن محمد, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قيس, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير: فإنّهُمْ لا يُكَذّبُونَكَ قال: ليس يكذّبون محمدا, وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ.

ذكر من قال ذلك بمعنى: فإنهم لا يكذّبونك ولكنهم يكذّبون ما جئت به:

10357ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن ناجية, قال: قال أبو جهل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: ما نتهمك, ولكن نتهم الذي جئت به. فأنزل الله تعالى: فإنّهُمْ لا يُكَذّبُونَكَ وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن ناجية بن كعب: أن أبا جهل قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذّبك, ولكن نكذّب الذي جئت به. فأنزل الله تعالى: فإنّهُمْ لا يُكَذّبُونَكَ وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ.

وقال آخرون: معنى ذلك: فإنهم لا يبطلون ما جئتهم به. ذكر من قال ذلك:

10358ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب: فإنّهُمْ لا يُكَذّبُونَكَ قال: لا يبطلون ما في يديك.

وأما قوله: وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ فإنه يقول: ولكن المشركين بالله بحجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون, فينكرون صحة ذلك كله. وكان السديّ يقول: الآيات في هذا الموضع معنيّ بها محمد صلى الله عليه وسلم, وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىَ مَا كُذّبُواْ وَأُوذُواْ حَتّىَ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نّبَإِ الْمُرْسَلِينَ }..

وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحقّ من عند الله. يقول تعالى ذكره: إن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك, فيجحدوا نبوّتك, وينكروا آيات الله أنها من عنده, فلا يحزنك ذلك, واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله, حتى يأتي نصر الله, فقد كُذّبت رسل من قبلك أرسلتهم إلى أممهم فنالوهم بمكروه, فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ولم يثنهم ذلك من المضيّ لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه, حتى حكم الله بينهم وبينهم ولا مُبَدّلَ لكَلِمَاتِ الله ولا مغير لكلمات الله. وكلماته تعالى: ما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده إياه النصر على من خالفه وضادّه, والظفر على من تولى عنه وأدبر. ولَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ المُرْسَلِينَ يقول: ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم, وما صنعتْ بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء. وترك ذكر «أنباء» لدلالة «من» عليها, يقول تعالى ذكره: فانتظر أنت أيضا من النصرة والظفر مثل الذي كان مني كان قبلك من الرسل, إذ كذّبهم قومك, واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم.

وبنحو ذلك تأوّل من تأوّل هذه الآية من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10359ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على ما كُذّبُوا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون, ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله فصبروا على ما كذّبوا حتى حكم الله وهو خير الحاكمين.

10360ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو زهير, عن جويبر, عن الضحاك: وَلَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ قال: يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم.

10361ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جرير: وَلَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ... الآية, قال: يعزّي نبيه صلى الله عليه وسلم.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلّماً فِي السّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىَ فَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْجَاهِلِينَ }..

يقول تعالى ذكره: إن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحقّ الذي بعثتك به, فشقّ ذلك عليك ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقا فِي الأرْضِ يقول: فإن استطعت أن تتخذ سَرَبا في الأرض, مثل نافقاء اليربوع, وهي أحد جِحَرَتِه, فتذهب فيه أوْ سُلّما فِي السّماءِ يقول: أو مصعدا تصعد فيه كالدرج وما أشبهها, كما قال الشاعر:

لا يُحْرِزُ المَرْءَ أحْجاءُ البلادِ وَلايُبْنَي لَهُ في السّمَوَاتِ السّلاليمُ

فَتَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي أتيتك, فافعل.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10362ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَإنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقا فِي الأرْضِ أوْ سُلّما فِي السّماءِ والنفق: السرب, فتذهب فيه فتأتيهم بآية, أو تجعل لك سلما في السماء, فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل.
10363ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة في قوله: فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقا فِي الأرْضِ قال: سربا, أوْ سُلّما فِي السّماءِ قال: يعني الدرج.
10364ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقا فِي الأرْضِ أوْ سُلّما فِي السّماءِ أما النفق: فالسرب, وأما السلم: فالمصعد.
10365ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: نَفَقا فِي الأرْضِ قال: سربا.
وترك جواب الجزاء, فلم يذكر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامعين بمعناه, وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به, فيقول الرجل منهم للرجل: إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا إن قدرت على معونتنا, ويحذف الجواب, وهو يريد: إن قدرت على معونتنا فافعل, فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب لم يحذفوه, لا يقال: إن تقم, فتسكت وتحذف الجواب لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره, حتى يقال: إن تقم تصب خيرا, أو: إن تقم فحسن, وما أشبه ذلك. ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر:
فَبحَظَ مِمّا نَعِيشُ ولا تَذْهَبْ بكِ التّرّهاتُ في الأهْوَالِ
والمعنى: فبحظّ مما نعيش فعيشي.
القول في تأويل قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ على الهُدَى فَلا تَكُونَنّ مِنَ الجاهِلِينَ.
يقول تعالى ذكره: إن الذين يكذّبونك من هؤلاء الكفار يا محمد فيحزنك تكذيبهم إياك, لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدين وصواب من محجة الإسلام حتى تكون كلمة جميعكم واحدة وملتكم وملتهم واحدة, لجمعْتهم على ذلك, ولم يكن بعيدا عليّ لأني القادر على ذلك بلطفي, ولكني لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم من قبل أن أخلقهم وأصوّر أجسامهم. فَلا تَكُونَنّ يا محمد مِنَ الجاهِلِينَ يقول: فلا تكوننّ ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى من الكافرين به اختيارا لا اضطرارا, فإنك إذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك إعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحقّ وتكذيب من كذّبك منهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10366ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: يقول الله سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

وفي هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطإ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه, يُلطف بها له حتى يهتدي للحقّ, فينقاد له وينيب إلى الرشاد, فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل, ولا شكّ أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالاً, وهم لو كانوا مهتدين كان لا شكّ أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم. وفي تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم في دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله بهم وقد ترك فعله بهم, وفي تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يعطهم كلّ الأسباب التي بها يصلون إلى الهداية ويتسببون بها إلى الإيمان.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا يَسْتَجِيبُ الّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يكبرنّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم والإقرار بنبوّتك, فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحقّ وسهّل لهم اتباع الرشد, دون من ختم الله على سمعه فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحقّ إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها, فهم كما وصفهم به الله تعالى: صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ. والمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى, فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولاً, إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ولا يعتبرون آياته ولا يتذكرون فينزجرون عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10367ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنّما يَسْتَجِيبُ الّذِينَ يَسْمَعُونَ المؤمنون للذكر. والمَوْتَى الكفار, حين يَبْعَثُهُمُ اللّهُ مع الموتى.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10368ـ حدثني بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّما يَسْتَجِيبُ الّذِينَ يَسْمَعُونَ قال: هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله, والذين كذّبوا بآياتنا صمّ وبكم, وهذا مثل الكافر أصمّ أبكم, لا يبصر هدى ولا ينتفع به.

10369ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن سفيان الثوريّ, عن محمد بن جحادة, عن الحسن: إنّما يَسْتَجِيبُ الّذِينَ يَسْمَعُونَ المؤمنون. والمَوْتَى قال: الكفار.

حدثني ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن محمد بن جحادة, قال: سمعت الحسن يقول في قوله: إنّما يَسْتَجِيبُ الّذِينَ يَسْمَعُونَ والمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللّهُ قال: الكفار.

وأما قوله: ثُمّ إلَيْـهِ يُرْجَعُـونَ فـإنه يقـول تعـالى: ثـم إلـى اللـه يرجعـون, المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول, والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئا, فيثيب هذا الؤمن على ما سلف مـن صـالح عملـه فـي الدنيا بما وعد أهل الإيمان به من الثواب, ويعاقب هذا الكافر بما أوعـد أهـل الكفر به من العقاب, لا يظلم أحدا منهم مثقال ذرّة.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مّـن رّبّـهِ قُـلْ إِنّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَىَ أن يُنَزّلٍ آيَةً وَلَـكِنّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء العادلون بربهم المعرضون عن آياته: لَوْلا نُزّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبّهِ يقول: قالوا: هلا نزل على محمد آية من ربـه كمـا قـال الشاعر:

تَعُدّونَ عَقْرَ النّيبِ أفْضَلَ مَجْدِكُمْبني ضَوْطَرَي لَوْلا الكَمِيّ المُقَنّعا

بمعنى: هّلا الكمّي. والآية العلامة, وذلك أنهم قالُوا: ما لِهَذَا الرّسُولِ يأْكُلُ الطّعَامَ وَيْمشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فيكونَ مَعَـهُ نَـذِيرا أَوْ يُلْقَـي إلَيهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنّةٌ يأْكُلُ مِنْها. قال اللـه تعـالى لنـبيه محمـد صـلى اللـه عليه وسلم: قل يا محمد لقائلي هذه المقالة لك: إن الله قادر على أن ينزل آية, يعني: حُجة على ما يريدون ويسـألون وَلَكِـنّ أَكْثَرَهُـمْ لا يَعْلَمُـونَ يقـول: ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية, لا يعلمون ما عليهم في الآية إنّ نزْلها من البلاء, ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك, ولو علمـوا السـبب الذي من أجله لم أنزّلها عليك لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه, ولكـن أكـثرهم لا يعلمون ذلك.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبّـةٍ فِـي الأرْضِ وَلاَ طَـائِرٍ يَطِيـرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاّ أُمَـمٌ أَمْثَـالُكُمْ مّـا فَرّطْنَـا فِـي الكِتَـابِ مِـن شَـيْءٍ ثُـمّ إِلَـىَ رَبّهِـمْ يُحْشَرُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذّبين بآيات الله: أيها القوم, لا تحسبنّ الله غـافلاً عمـا تعملـون, أو أنه غيـر مجـازيكم علـى مـا تكسـبون, وكيـف يغفـل عـن أعمـالكم أو يـترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض صغير أو كبير ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء؟ بل جعـل ذلـك كلـه أجناسـا مجنسـة وأصنافا مصنفة, تعرف كمـا تعرفـون وتتصـرّف فيمـا سـخُرتْ لـه كمـا كمـا تتصرّفون, ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليهـا, ومثبـت كـلّ ذلـك من أعمالها في أمّ الكتاب, ثم أنه تعالى ذكره مميتها ثـم منشـرها ومجازيهـا يوم القيامة جزاء أعمالها. يقول: فالربّ الذي لم يضيع حفظ أعمـال البهـائم والدوابّ في الأرض والطير في الهواء حـتى حفـظ عليهـا حركاتهـا وأفعالهـا وأثبت ذلك منها في أمّ الكتاب وحشرها ثم جازاها على مـا سـلف منهـا فـي دار البلاء, أحـرى أن لا يضـيع أعمـالكم ولا يفـرط فـي حفـظ أفعـالكم الـتي تجترحونها أيها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها, إن خيـرا فخيـرا وإن شرّا فشرّا, إذ كان قد خصكم من نعمه وبسط عليكم من فضـله مـا لـم يعمّ به غيركم في الدنيا, وكنتم بشكره أحقّ وبمعرفة واجبه عليكم أولى لمـا أعطاكم من العقل الـذي بـه بيـن الأشـياء تميـزون والفهـم الـذي لـم يعطـه البهائم والطير الذي به بين مصالحكم ومضارّكم تفرّقون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10370ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ أصناف مصنفة تعرف بأسمائها.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
10371ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَمَا مِنْ دَابّةٍ فِي الأرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ يقول: الطير أمة, والإنس أمة, والجنّ أمة.
10372ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: إلاّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ يقول: إلاّ خلقٌ أمثالُكم.
10373ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: وَمَا مِنْ دَابّةٍ فِي الأرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ قال: الذرّة فوقها من ألوان ما خلق الله من الدوابّ.
وأما قوله: ما فَرّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ فإن معناه: ما ضيعنا إثبات شيء منه. كالذي:
10374ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: ما فَرّطْنا فِي الكِتابٍ مِنْ شَيْءٍ ما تركنا شيئا إلاّ قد كتبناه في أمّ الكتاب.
10375ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ما فَرّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ قال: لم نغفل الكتاب, ما من شيء إلاّ وهو في الكتاب.
وحدثني به يونس مرّة أخرى, قال في قوله: ما فَرّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ قال: كلهم مكتوب في أمّ الكتاب.
وأما قوله: ثُمّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ فإن أهل التأويل اختلفوا في معنى حشرهم الذي عناه الله تعالى في هذا الموضع. فقال بعضهم: حَشْرُها مَوْتها. ذكر من قال ذلك:
10376ـ حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, عن إسرائيل, عن سعيد, عن مسروق, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَمَا مِنْ دَابّةٍ فِي الأرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ قال ابن عباس: موت البهائم حَشْرُها.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ثُمّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ قال: يعني بالحشر: الموت.
10377ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد, قال: حدثنا عبيد بن سليم, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ثُمّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ يعني بالحشر: الموت.
وقال آخرون: الحشر في هذا الموضع يعني به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة. ذكر من قال ذلك:
10378ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن جعفر بن برقان, عن يزيد بن الأصمّ, عن أبي هريرة, في قوله: إلاّ أُمَمٌ أمْثالُكُمْ ما فَرّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ قال: يحشر

الله الخلق كلهم يوم القيامة, البهائم, والدوابّ, والطير, وكلّ شيء, فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أن يأخذ للجماء من القرناء, ثم يقول: كوني ترابا, فذلك يقول الكافر: يا لَيْتَني كُنْتُ تُرابا.

10379ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن الأعمش, ذكره عن أبي ذرّ, قال: بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ انتطحت عنزان, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتَدْرُونَ فِيما انْتَطَحتَا»؟ قالوا: لا ندري, قال: «لَكِنِ اللَّهُ يَدْرِي, وَسَيَقْضِي بَيْنَهُما».

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق بن سليم, قال: حدثنا مطر بن خليفة, عن منذر الثوري, عن أبي ذرّ قال: انتطحت شاتان عند النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال لي: «يا أبا ذَرّ أتَدْرِي فِيمَ انْتَطَحتَا»؟ قلت: لا, قال: «لَكِنِ اللّهُ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُما». قال أبو ذرّ: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلاّ ذكرنا منه علما.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن كلّ دابة وطائر محشور إليه, وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة, وجائز أن يكون معنيا به حشر الموت, وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا. ولا دلالة في ظاهر التنزيل ولا في خبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أيّ ذلك المراد بقوله: ثُمّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ إذ كان الحشر في كلام العرب: الجمع, ومن ذلك قول الله تعالى: والطّيْرَ مَحْشُورَةً كُلّ لَهُ أوّابٌ يعني مجموعة: فإذ كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعا خلقه إليه يوم القيامة وجامعهم بالموت, كان أصوب القول في ذلك أن يُعمّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها, وأن يقال: كلّ دابة وكلّ طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة, إذ كان الله تعالى قد عمّ بقوله: ثُمّ إلى رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ ولم يخصص به حشرا دون حشر.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ وهل يطير الطائر إلاّ بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجنَاحين من الفائدة؟ قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم, فإذ كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: كلمت فلانا بفمي, ومشيت إليه برجلي, وضربته بيدي خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم ويستعملونه في خطابهم, ومن ذلك قوله تعالى: إنّ هَذَا أخي لَهُ تسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمّ وَبُكْمٌ فِي الظّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأ يَجْعَلْهُ عَلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }..

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته, صمّ عن سماع الحق بكمٌ عن القيل به في الظّلُمَاتِ يعني: في ظلمة الكفر حائر فيها, يقول: هو مرتطم في ظلمات الكفر, لا يبصر آيات الله فيعتبر بها, ويعلم أن الذي خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره وقدّره أحسن تقدير وأعطاه القوّة وصحح له آلة جسمه, لم يخلقه عبثا ولم يركه سدى, ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلاّ لاستعمالها في طاعته وما يرضيه دون معصيته وما يسخطه,

فهو لحيرته في ظلمات الكفر وتردّده في غمراتها, غافل عما اللـه قـد أثبـت له في أمّ الكتاب وما هو به فاعل يوم يحشر إليه مـع سـائر الأمـم. ثـم أخـبر تعالى أنه المضلّ من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفـر والهـادي إلى الصراط المستقيم منهم من أحبّ هدايته فموفقه بفضله وطوله للإيمان به وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه, وأنه لا يهتدي من خلقـه أحـد إلاّ من سبق له في أمّ الكتاب السعادة, ولا يضلّ منهم أحد إلاّ من سـبق لـه فيها الشقاء, وأن بيده الخير كله, وإليه الفضل كله, له الخلق والأمر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة.

10380ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: صُـمّ وبُكْم هذا مثل الكافر أصمّ أبكم, لا يبصر هدى ولا ينتفع بـه, صـمّ عـن الحـقّ في الظلمات لا يستطيع منها خروجا له متسكع فيها.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّـهِ أَوْ أَتَتْكُـمْ السّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }..

اختلف أهل العربية في معنى قوله: أرأيْتَكُمْ فقال بعض نحويّي البصـرة: الكاف التي بعد التاء من قوله: أرأيْتَكُمْ إنما جاءت للمخاطبـة, وتركـت التـاء مفتوحة كما كانت للواحد, قال: وهي مثل كاف رُوَيدك زيـدا, إذا قلـت: أرود زيدا, هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف لا رفع نصب, وإنما هي فـي المخاطبة مثل كاف ذاك, ومثل ذلـك قـول العـرب: أبصـرك زيـدا, يـدخلون الكاف للمخاطبة.

وقال آخرون منهم: معنى: أرأيْتَكُمْ إنْ أتـاكُمْ أرأيتـم, قـال: وهـذه الكـاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد, والتاء وحـدها هـي الاسـم, كمـا أدخلـت الكـاف التي تفرّق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبـة كقـولهم: هـذا, وذاك, وتلك, وأولئك, فتدخل الكـاف للمخاطبـة وليسـت باسـم, والتـاء هـو الاسـم للواحد والجميع, تُرِكَتْ على حال واحدة, ومثـل ذلـك قـولهم: ليسـك ثـم إلاّ زيد, يراد: ليس ولاَ سِيّك زيد, فيراد: ولا سيما زيـد, وبلاك, فيـراد بلـى, فـي معنى: ولبئسك رجلاً ولنعمك رجلاً وقالوا: انظرك زيدا ما أصنع به, وأبصرك ما أصنع به, بمعنـى أبصـرُه. وحكـى بعضـهم: أبصـركم مـا أصـنع بـه, يـراد: أبصروا, وانظركم زيدا: أي انظروا. وحكي عن بعض بني كلاب: أتعلمك كان أحد أشعر من ذي الرمة؟ فأدخل الكاف. وقال بعض نحوّيي الكوفة: أرأيتـك عمرا أكثرُ الكلام, فيـه تـرك الهمـز. قـال: والكـاف مـن أرأيتـك فـي موضـع نصب, كأن الأصل: أرأيت نفسك علـى غيـر هـذه الحـال؟ قـال: فهـذا يثنـى ويجمع ويؤنث, فيقال: أرأيتمـا كمـا وأرأيتمـوكم وأرَيْتُنّكُـنّ أوقـع فعلـه علـى نفسـه, وسـأله عنهـا, ثـم كـثر بـه الكلام حـتى تركـوا التـاء موحـدة للتـذكير والتأنيث والتثنية والجمع, فقالوا: أرأيتكم زيـدا مـا صـنع, وأرأيتكـن زيـدا مـا صنع, فوحدوا التاء وثنّوا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلاً من التـاء, كمـا قـال: هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ وهاءَ يا رجل, وهاؤُمـا, ثـم قـالوا: هـاكم, اكتفـى بالكـاف والميم مما كان يثنى ويجمع, فكأن الكاف في موضع رفع إذ كانت بـدلاً مـن التاء, وربما وحدت للتثنية والجمـع والتـذكير والتـأنيث, وهـي كقـول القائـل: عليك زيدا, الكاف في موضع خفض, والتأويل رفع. فأما ما يجلـب فـأكثر مـا يقع على الأسماء, ثم تأتي بالاستفهام, فيقـال: أرأيتـك زيـدا هـل قـام, لأنهـا صارت بمعنى: أخبرني عن زيد, ثم بين عما يستخبر, فهذا أكـثر الكلام, ولـم

يأت الاستفهام ثنيها, لم يقل: أرأيتك هل قمت, لأنهم أرادوا أن يبينوا عمن يسأل, ثم تبين الحالة التي يسأل عنها, وربما جاء بالخير ولم يأت بالاسم, فقالوا: أرأيت زيدا هل يأتينا, وأرأيتك أيضا, وأرأيت زيدا إن أتيته هل يأتينا إذا كانت بمعنى أخبرني, فيقال باللغات الثلاث.

وتأويل الكلام: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام, أخبروني إن جاءكم أيها القوم عذاب الله, كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة, وبعضهم بالصاعقة, أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم وتبعثون لموفق القيامة, أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول: إن كنتم محقّين في دعواكم وزعمكم أن آلهتكم تدعونها من دون الله تنفع أو تضرّ.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ }..

يقول تعالى ذكره مكذّبا لهؤلاء العادلين به الأوثان: ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والأنداد إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بمستجيرين بشيء غير الله في حال شدّة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم, بل تدعون هناك ربكم الذي خلقكم وبه تستغيثون وإليه تفزعون دون كل شيء غيره. فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ يقول: فيفرّج عنكم عند استغاثتكم به وتضرّعكم إليه عظيم البلاء النازل بكم إن شاء أن يفرّج ذلك عنكم, لأنه القادر على كلّ شيء ومالك كلّ شيء دون ما تدعونه إلها من الأوثان والأصنام. وتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ يقول: وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ما تشركونه مع الله في عبادتكم إياه, فتجعلونه له ندّا من وثَن وَصَنم, وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلها.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَىَ أُمَمٍ مّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَآءِ وَالضّرّآءِ لَعَلّهُمْ يَتَضَرّعُونَ }..

يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام, ومحذّرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا, ومخبرا نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم في تكذيب الرسل: وَلَقَدْ أرْسَلْنا يا محمد إلى أُمَمٍ يعني: إلى جماعات وقرون, مِنْ قَبْلِكَ فأخَذْناهُمْ بالبَأساءِ يقول: فأمرناهم ونهيناهم, فكذّبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا, فامتحناهم بالابتلاء بالبأساء, وهي شدّة الفقر والضيق في المعيشة والضّرّاء وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام. وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه إعرابه في سورة البقرة بما أغني عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: لَعَلّهُمْ يَتَضَرّعُونَ يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرّعوا إليّ, ويخلصوا لي العبادة, ويفردوا رغبتهم إليّ دون غيري بالتذلل منهم لي بالطاعة والاستكانة منهم إليّ بالإنابة. وفي الكلام محذوف قد استغني بما دلّ عليه الظاهر عن إظهاره من قوله: وَلَقَدْ أرْسَلْنا إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأخَذْناهُمْ. وإنما كان سبب أخذه إياهم تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره, لا إرسال الرسل إليهم. وإذ كان ذلك كذلك, فمعلوم

أن معنى الكلام: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فكـذّبوهم, فأخـذناهم بالبأساء. والتضرّع: هو التفعل من الضراعة, وهي الذلة والاستكانة.

الآية : 43

القول في تأويل قـوله تعـالى: {فَلَـوْلآ إِذْ جَـآءَهُمْ بَأْسُـنَا تَضَـرّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }..

وهذا أيضا من الكلام الذي فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك, وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الأمـم الـتي كـذّبت رسـلها أنـه أخـذهم بالبأساء والضرّاء ليتضرعوا, ثم قال: فلـولا إذ جـاءهم بأسـنا تضـرّعوا, ولـم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضرّاء.

ومعنى الكلام: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرّعون فلـم يتضـرّعوا, فلـولا إذا جـاءهم بأسـنا تضـرّعوا. ومعنـى: فَلَوْلاَ في هذا الموضع: فهلاّ, والعرب إذ أوْلت «لولا» اسـما مرفوعـا جعلـت مـا بعـدها خـبرا وتلقتهـا بـالأمر, فقـالت, فلـولا أخـوك لزرتـك, ولـولا أبـوك لضربتك, وإذا أوْلتها فعلاً, أو لم تولها اسما, جعلوها اسـتفهاما, فقـالوا: لـولا جئنا فنكرمك, ولولا زرت أخاك فنزورك, بمعنـى هلاّ. كمـا قـال تعـالى: لَـوْلا أَخّرْتَنِي إلى أجَـلٍ قَرِيـبٍ فأصّـدّق وكـذلك تفعـل ب «لومـا» مثـل فعلهـا ب «لولا».

فتأويل الكلام إذن: فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذّبة رسلها الذين لـم يتضرّعوا عند أخذناهم بالبأساء والضرّاء, تضرّعوا فاستكانوا لربهم وخضـعوا لطاعته, فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه وقد بينا معنى البأس فـي غيـر هذا الموضوع بما أغنى عن إعادته فـي هـذا الموضـع. وَلَكِـنْ قَسَـتْ قُلُـوبُهُمْ يقول: ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم, وأصروا على ذلك واستكبروا عـن أمر ربهم, استهانة بعقاب الله واستخفافا بعذابه وقساوة قلب منهـم. وَزَيّـنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملـون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ حَتّىَ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوَاْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مّبْلِسُونَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِـهِ فلمـا تركـوا العمـل بمـا أمرناهم به على ألسن رسلنا. كالذي:

10381ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ يعني: تركوا ما ذَكّروا به.

10382ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا قال: الحسين, قال: ثني حجـاج, عـن ابن جريج, قوله: نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ قال: ما دعـاهم اللـه إليـه ورسـلِهِ, أبـوه وردّوه عليهم.

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيُءٍ يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام اسـتدراجا منّـا لهم. كالذي:

10383ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى, وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيـح,

عن مجاهد في قوله الله: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْـوَابَ كُـلّ شَـيُءٍ قـال: رخـاء الـدنيا ويسرها على القرون الأولى.
10384ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, في قوله: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيُءٍ قال: يعني الرخـاء وسعة الرزق.
10385ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط. عن السدّي, قوله: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُـلّ شَـيُءٍ يقـول: مـن الرزق.
فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيُءٍ وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهـم, وأبـواب أخـر غيـره كـثيرة؟ قيـل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه, وإنمـا معنـى ذلـك: فتحنـا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كلّ ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخـذنا إيـاهم بالبأساء والضرّاء, ليتضرّعوا, إذ لم يتضرّعوا وتركوا أمر اللـه. لأن آخـر هـذا الكلام مردود على أوله, وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتـابه: ومَـا أرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيّ إلاّ أخَذْنا أهْلَها بالبأساءِ والضـرّاءِ لَعَلّهُـمْ يَتَضـرّعُونَ ثُمّ بَدّلْنَا مَكَـانَ السّـيّئَةِ الحَسَـنَةَ حـتى عَفَـوْا وقـالُوا قَـدْ مَـسّ آباءَنَـا الضّـرّاءُ والسّرّاءُ فَأخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية (أنهم نسوا ما) ذكرهم بقوله: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ فَتَحْنَـا عَلَيْهِـمْ أبْوَابَ كُلّ شَيُءٍ هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحـانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسـعة, ومـن الضـرّ فـي الأجسـام إلـى الصحة والعافية, وهو فتح أبواب كلّ شيء كان أغلق بـابه عليهـم ممـا جـرى ذكره قبل قوله: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيُءٍ فرد قوله: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أبْـوَابَ كُلّ شَيُءٍ عليه. ويعني تعالى بقوله: حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُتُوا يقـول: حـتى إذا فـرح هـؤلاء المكـذّبون رسـلهم بفتحنـا عليهـم أبـواب السعة فـي المعيشـة والصحة في الأجسام. كالذي:
10386ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السدي: حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا من الرزق.
10387ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قـال: سـمعت عبـد الرحمن بن مهدي, يحدث عن حماد بن زيد, قال: كان رجل يقول: رحم الله رجلاً تلا هذه الآيـة ثـم فكـر فيهـا مـاذا أريـد بهـا: حـتى إذَا فَرِحُـوا بِمَـا أُوتُـوا أخَذْناهُمْ بَغْتَةً.
10388ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا ابن أبي رجاء من أهل الثغر, عن عبد الله بن المبـارك, عـن محمـد بـن النضـر الحـارثي, فـي قوله: أخَذْناهُمْ بَغْتَةً قال: أمهلوا عشرين سنة.
ويعني تعالى ذكره بقوله أخَذْناهُمْ بَغْتَةً أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارّون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال. كما:
10389ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج: حتى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخَذْناهُمْ بَغْتَـةً قـال: أعجـب مـا كـانت إليهـم وأغرّها لهم.
10390ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ أخَذْناهُمْ بَغْتَةً يقول: أخذهم العذاب بغتة.

10391ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وقال: فجأة آمنين.

وأما قوله: فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فإنهم هالكون, منقطعة حججهم, نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم. كالذي:

10392ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ قال: فإذا هم مهلكون متغير حالهم.

10393ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا شيخ, عن مجاهد: فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ قال: فإذا هم مهلكون.

10394ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ قال: المبلسّ: الذي قد نزل به الشرّ الذي لا يدفعه, والمبلس أشدّ من المستكين, وقرأ: فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبّهِمْ وَما يَتَضَرّعُونَ وكان أوّل مرّة فيه معاتبة وتقيّة, وقرأ قول الله: أخَذْناهُمْ بالبأساء والضّرّاءِ لَعَلّهُمْ يَتَضَرّعُونَ فَلَوْلا إذْ جاءَهُمْ بأسُنا تَضَرّعُوا حتى بلغ: وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ثم جاء أمر ليس فيه تقية, وقرأ: حتى إذَا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أخَذْناهُمْ بَغْتَةً فإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فجاء أمر ليس فيه تقية, وكان الأوّل لو أنهم تضرّعوا كشف عنهم.

10395ـ حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية بن الوليد, عن أبي شريح ضبارة بن مالك, عن أبي الصلت, عن حرملة أبي عبد الرحمن, عن عقبة بن مسلم, عن عقبة بن عامر, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا رأيْتَ اللّهَ يُعْطِي عَبْدَهُ فِي دُنْياه, إنّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثم تلا هذه الآية: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ إلى قوله: والحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ.

وحّدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب, عن ابن لهيعة, عن عقبة بن مسلم, عن عقبة بن عامر, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «إذَا رَأيْتَ اللّهَ تَعالى يُعْطِي العِبادَ ما يَسْأَلُونَ على معَاصِيهم إيّاهُ, فإنّمَا ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ لَهُمْ» ثم تلا: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ... الآية.

وأصل الإبلاس في كلام العرب عند بعضهم: الحزن على الشيء والندم عليه. وعند بعضهم: انقطاع الحُجة والسكوت عند انقطاع الحجة. وعند بعضهم: الخشوع, وقالوا: هو المخذول المتروك, ومنه قول العجاج:

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْما مُكْرَسَاقالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسَا

فتأويل قوله: «وأبلسا» عند الذين زعموا أن الإبلاس: انقطاع الحجة والسكوت عنده, بمعنى: أنه لم يحر جوابا. وتأوّله الآخرون بمعنى الخشوع, وترك أهله إياه مقيما بمكانه. والآخرون: بمعنى الحزن والندم, يقال منه: أبلس الرجل إبلاسا, ومنه قيل لإبليس: إبليس.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: فَقُطِعَ دَابِرَ القَوْمِ الّذِينَ ظَلَمُوا فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذّبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم, فلم يترك منهم أحد إلاّ أهلك بغتة, إذ جاءهم عذاب الله وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10396ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الّذِينَ ظَلَمُوا يقول: فقطع أصل الذين ظلموا.

10397ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الّذِينَ ظَلَمُوا. قال: استُؤْصلوا.

ودابر القوم: الذي يدبرهم, وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم, يقال في الكلام: قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا إذا كان آخرهم, ومنه قول أمية:

فأُهْلِكُوا بعَذَابٍ حَصّ دابِرَهُمْفما اسْتطاعُوا له صَرْفا ولا انْتَصَرُوا

والحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ يقول: والثناء الكامل, والشكر التامّ لله ربّ العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته, بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر, وتحقيق عداتهم ما وعدوهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله, من نقم الله وعاجل عذابه.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىَ قُلُوبِكُمْ مّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ الآيَاتِ ثُمّ هُمْ يَصْدِفُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأصنام المكذّبين بك: أرأيتم أيها المشركون بالله غيره إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم وأعمالكم فذهب بأبصاركم, وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولاً ولا تبصروا حجة ولا تفهموا مفهوما, أيّ إله غير الله الذي له عبادة كل عابد يأتيكم به يقول: يردّ عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام فتعبدوه أو تشركوه في عبادة ربكم الذي يقدر على ذهابه بذلك منكم وعلى ردّه عليكم إذا شاء.

وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به, يقول له: قل لهم: إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرّا ولا نفعا, وإنما يستحقّ العبادة عليكم من كان بيده الضرّ والنفع والقبض والبسط, القادر على كل ما أراد لا العاجز الذي لا يقدر على شيء. ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّف الآيَاتِ يقول: انظر كيف نتابع عليهم الحجج ونضرب لهم الأمثال والعبر ليعتبروا ويذكروا فينيبوا. ثمّ هُمْ يَصْدِفُونَ يقول: ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج وتنبيهنا إياهم بالعبر عن الادّكار والاعتبار يعرضون, يقال منه: صدف فلان عني بوجهه فهو يَصْدِفُ صُدوفا وصَدفا: أي عدل وأعرض, ومنه قول ابن الرقاع:

إذا ذَكَرْنَ حدِيثا قُلْنَ أحْسَنَهوهُنّ عنْ كُلّ سُوءٍ يُتّقَى صُدُفُ

وقال لبيد:

يُزْوِي قَوامِحَ قبلَ اللّيْلِ صَادِفَةًأشباهَ جِنَ عَلَيْها الرّيْط والأُزُرُ

فإن قال قائل: وكيف قيل: مَنْ إلَهٌ غيرُ اللّهِ يَأتِيكُمْ بِهِ فوحد الهاء, وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال: أرأيْتُمْ إنْ أخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وأبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ على قُلُوبِكُمْ؟ قيل: جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع, فتكون موحدة لتوحيد السمع, وجائز أن تكون معنيا بها: من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة, فتكون موحدة لتوحيد «ما», والعرب تفعل ذلك إذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية وإن كثر ما يكنى بها عنه من

الأفاعيل, كقوله: إقبالك وإدبارك يعجبني. وقد قيـل: إن الهـاء الـتي فـي بـه كناية عن الهدى.
وينحو ما قلنا في تأويل قوله يَصْدِفُونَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10398ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يَصْدِفُونَ قال: يعرضون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
10399ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عـن ابـن عبـاس, قـوله: يَصْـدِفُونَ قـال: يعدلون.
10400ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قـال: قأخبرنـا معمر, عن قتادة, في قوله: نُصَرّف الآيَاتِ ثمّ هُمْ يَصْـدِفُونَ قـال: يعرضـون عنها.
10401ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, السديّ: ثُمّ هُمْ يَصْدِفُونَ قال: يصدّون.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَـذَابُ اللّـهِ بَغْتَـةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاّ الْقَوْمُ الظّالِمُونَ }..
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهـؤلاء العادلين بربهم الأوثان المكذّبين بأنك لي رسولي إليهـم, أخـبروني إن أتـاكم عذاب الله وعقابه على ما تشركون به من الأوثان والأنـداد, وتكـذيبكم إيـاي بعد الذي قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولي. بَغْتَـةً يقـول: فجـأة علـى غرّة لا تشعرون. أوْ جَهْرَةً يقول: أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه. هَلْ يُهْلَكُ إلاّ القَوْمُ الظّالِمُونَ يقول: هل يهلك اللـه منـا ومنكـم إلاّ مـن كان يعبد غير من يستحقّ علينا العبادة وترك عبادة من يستحق علينا العبادة. وقد بينا معنى الجَهْرة في غير هذا الموضع بما أغنـى عـن إعـادته وأنهـا مـن الإجهار, وهو إظهار الشيء للعين. كما:
10402ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: جَهْرَةً قال: وهم ينظرون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قُلْ أرَأيْتَكُمْ إنْ أتاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً فجأة آمنين, أوْ جَهْرَةً وهـم ينظرون.

الآية : 48

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَمَـا نُرْسِـلُ الْمُرْسَـلِينَ إِلاّ مُبَشّـرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }..
يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلاّ ببشارة أهل الطاعـة لنـا بالجنـة والفوز المبين يوم القيامة, جزاء منا لهم علـى طاعتنـا, وبانـذار مـن عصـانا وخـالف أمرنـا, عقوبتنـا إيـاه علـى معصـيتنا يـوم القيامـة, جـزاء منـا علـى معصيتنا, لنعذر إليه, فيهلك إن هلك عن بينة. فَمَنْ آمَنَ وأصْلَحَ يقـول: فمـن صدّق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه, وقبل منهم مـا جـاءوه بـه مـن عند الله وعمل صالحا في الدنيا, فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ عنـد قـدومهم علـى ربهـم

من عقابه وعذابه الذي أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه: وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وأما الذين كذّبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا ودافعوا حجتنا, فإنهم يباشرهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذّبوا به من حججنا بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ يقول: بما كانوا يكذبون. وكان ابن زيد يقول: كل فسق في القرآن, فمعناه الكذب.

10403ـ حدثني بذلك يونس, قال: أخبرنا ابن وهب عنه.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لاّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلآ أَقُولُ لَكُمْ إِنّي مَلَكٌ إِنْ أَتّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَىَ إِلَيّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَىَ وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكّرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك: لست أقول لكن إني الربّ الذي له خزائن السموات والأرض وأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلاّ الربّ الذي لا يخفى عليه شيء, فتكذّبوني فيم أقول من ذلك لأنه لا ينبغي أن يكون ربّا إلاّ من له ملك كلّ شيء وبيده كلّ شيء ومن لا يخفى عليه خافية, وذلك هو الله الذي لا إله غيره. وَلا أقُولُ لَكُمْ إنّي مَلَكٌ لأنّه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهرا بصورته لأبصار البشر في الدنيا, فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك. إنْ أتّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إليّ يقول: قل لهم: ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه إلاّ وحي الله الذي يوحيه إليّ وتنزيله الذي ينزله عليّ, فأمضي لوحيه وأئتمر لأمره, وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولي في ذلك, وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم ولا مستحيل كونه بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة, فما وجه إنكاركم لذلك؟ وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على موضع حجته على منكري نبوّته من مشركي قومه. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هل يستوي الأعمى عن الحقّ والبصير به؟ والأعمى هو الكافر الذي قد عمى عن حجج الله فلا يتبينها فيتبعها. والبصير: المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستضاء بضيائها. أفَلا تَتَفَكّرُونَ يقول لهؤلاء الذي كذّبوا بآيات الله: أفلا تتفكرون فيما أحتجّ عليكم به أيها القوم من هذه الحجج, فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم إليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم وتكذيبكم إياي, مع ظهور حجج صدقي لأعينكم, فتَدَعُوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذي به تفوزون؟

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10404ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ قال: الضالّ والمهتدى.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10405ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ... الآية قال: الأعمى: الكافر الذي قد عمي عن حقّ الله وأمره ونعمه عليه والبصير: العبد المؤمن الذي أبصر بصرا نافعا, فوحد الله وحده, وعمل بطاعة ربه, وانتفع بما آتاه الله.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ الّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوَاْ إِلَىَ رَبّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مّن دُونِهِ وَلِيّ وَلاَ شَفِيعٌ لّعَلّهُمْ يَتّقُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنْذِرْ يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه إليك القوم الّذِينَ يَخافُون أنْ يحْشَروا إلى رَبّهِمْ علما منهم بأن ذلك كائن فهم مصدّقون بوعد الله ووعيده, عاملون بما يرضي الله, دائمون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله. لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونهِ وَلِيّ أي ليس لهم من عذاب الله إن عذّبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه. وَلا شَفِيعٌ يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه. لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم, فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم, ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه. وقيل: وأنْذِرْ بِهِ الّذِينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَروا ومعناه: يعلمون أنهم يُحْشَرونَ, فوضعت «المخافة» موضع «العلم» لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شكّ منهم في ذلك. وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه وتذكيرهم والإقبال عليهم بالإنذار وصدّه عن المشركين به بعد الإعذار إليهم وبعد إقامة الحجة عليهم, حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ }..

ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك. ذكر من قال ذلك:

10406ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو زيد, عن أشعث, عن كُردوس الثعلبي, عن ابن مسعود, قال: مرّ الملأ من قريش بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين, فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك, هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا, أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك, فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدونَ وَجْهَه وكَذَلِكَ فَتنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ... إلى آخر الآية.

حدثنا جرير, عن أشعث, عن كردوس الثعلبي, عن عبد الله, قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم ذكر نحوه.

10407ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن أشعث, عن كردوس, عن ابن عباس, قال: مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش, ثم ذكر نحوه.

10408ـ حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن أبي سعيد الأزديّ وكان قارىء الأزد عن أبي الكنود, عن خباب, في قول الله تعالى: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... إلى قوله: فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمينَ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري, فوجدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب, في أناس من ضعفاء المؤمنين, فلما رأوهم حوله حقروهم, فأتوه فقالوا: إنا نحبّ أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا, فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد, فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا, فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال: «نَعَمْ» قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال: فدعا بالصحيفة, ودعا عليّا ليكتب, قال: ونحن قعود في ناحية, إذ نزل جبريل بهذه الآية: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ, ثم قال: وكذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أهُؤَلاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَلَيْسَ اللّهُ بأعْلَمَ بالشّاكِرِينَ, ثم قال: وَإذا جاءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ. فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده, ثم دعانا, فأتيناه وهو يقول: سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ. فكنا نقعد معه, فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا, فأنزل الله تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحيَاةِ الدّنْيا قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد, فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم.

حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن أبي سعيد الأزديّ, عن أبي الكنود, عن خباب بن الأرق, بنحو حديث الحسين بن عمرو إلاّ أنه قال في حديثه: فلما رأوهم حوله نَفّروهم, فأتوه فخَلَوا به. وقال أيضا: فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ, ثم ذكر الأقرع وصاحبه, فقال: وكَذَلكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ... الآية. وقال أيضا: فدعانا فأتيناه وهو يقول: «سَلامٌ عَلَيْكُمْ» فدنونا منه يومئذٍ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه, وسائر الحديث نحوه.

10409ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, وحدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة والكلبي: أن ناسا من كفار قريش قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إن سَرّكَ أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ناسا من ضعفاء المسلمين. فقال الله تعالى: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدونَ وَجْهَه.

10410ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ... إلى قوله: وكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ... الآية, قال: وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا لأناس كانوا دونهم في الدنيا ازدراهم المشركون. فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها.

10411ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ بلال وابن أمّ عبد كانا يجالسان محمدا صلى الله عليه وسلم, فقالت قريش محقرتهما: لولاهما وأمثالهما لجالسناه فنهي عن طردهم, حتى قوله: أَلَيْسَ اللّهُ بأعْلَمَ بالشّاكِرِينَ قال: قل سلام عليكم فيما بين ذلك في هذا.

10412ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا سفيان, عن المقدام بن شريح, عن أبيه, قال: قال سعيد: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, منهم ابن مسعود, قال: كنا نسبق إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, وندنو منه ونسمع منه, فقالت قريش: يُدْني هؤلاء دوننا؟ فنزلت: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ.

10413ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة, في قوله: وأنْذِرْ بِهِ الّذِينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبّهِمْ... الآية. قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عديّ والحرث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب, فقالوا: يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا, فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا, كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال: فأتى أبو طالب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فحدثه بالذي كلموه به, فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلام يصيرون من قولهم فأنزل الله تعالى هذه الآية: وأنْذِرْ بِهِ الّذِينَ يَخافُون أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبّهِمْ لَيْس لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... إلى قوله: أَلَيْسَ اللّهُ بأعْلَمَ بالشّاكِرِينَ. قال: وكانوا: بلالاً وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء: ابن مسعود, والمقداد بن عمرو, ومسعود, ابن القاري, وواقد بن عبد الله الحنظلي, وعمرو بن عبد عمر ذو الشمالين, ومرثد بن أبي مرثد, وأبو مرثد من غنيّ حليف حمزة بن عبد المطلب, وأشباههم من الحفاء. ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: وكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أهَؤُلاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا... الآية فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته, فأنزل الله تعالى: وَإذَا جاءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ... الآية.

10414ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قال رجل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إني أستحيي من الله أن يراني مع سلمان وبلال وذويهم, فاطردهم عنك وجالس فلانا وفلانا قال: فنزل القرآن: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ فقرأ حتى بلغ: فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلاّ أن تطردهم. ثم قال: وكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أهَؤُلاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَلَيْسَ اللّهُ بأعْلَمَ بالشّاكِرِينَ. ثم قال: وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم فأبلغهم مني السلام وبشّرهم, وأخبرهم أني قد غفرت لهم وقرأ: وَإذَا جاءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ فقرأ حتى بلغ: وكَذَلِكَ نُفصّلُ الآياتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ قال: لتعرفها.

واختلف أهل التأويل في الدعاء الذي كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم يدعون ربهم به, فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس. ذكر من قال ذلك:

10415ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يعني: يعبدون ربهم بالغداة والعشيّ, يعني الصلوات المكتوبة.

10416ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن أبي حمزة, عن إبراهيم, في قوله: يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ قال: هي الصلوات الخمس الفرائض, ولو كان يقول القصّاص هلك من لم يجلس إليهم.

10417ـ حدثنا هناد بن السريّ وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن فضيل, عن الأعمش, عن إبراهيم: وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ قال: هي الصلاة.

10418ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ الصلاة المفروضة: الصبح والعصر.

10419ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي, قال: حدثنا حسن الجعفي, قال: أخبرني حمزة بن المغيرة, عن حمزة بن عيسى, قال: دخلت على الحسن فسألته, فقلت: يا أبا سعيد, أرأيت قول الله: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ أهم هؤلاء القصّاص؟ قال: لا, ولكنهم المحافظون على الصلوات في الجماعة.

10420ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسين قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ قال: الصلاة المكتوبة.

10421ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ قال: يعبدون ربهم بالغداة والعشيّ يعني الصلاة المفروضة.

10422ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ هما الصلاتان: صلاة الصبح وصلاة العصر.

10423ـ حدثني ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا يحيى بن أيوب, قال: حدثنا محمد بن عجلان, عن نافع, عن عبد الله بن عمر في هذه الآية: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ... الآية, أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة.

10424ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد وإبراهيم: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ قالا: الصلوات الخمس.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.

10425ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ قال: المصلين المؤمنين بلال وابن أمّ عبد. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: صليت الصبح مع سعيد بن المسيب, فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاصّ, فقال سعيد: ما أسرعهم إلى هذا المجلس قال مجاهد: فقلت: يتأوّلون ما قال الله تعالى. قال: وما قال؟ قلت: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ قال: وفي هذا ذا؟ إنما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن, إنما ذاك في الصلاة.

10426ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا وكيع, عن أبيه, عن منصور, عن عبد الرحمن بن أبي عمرة, قال: الصلاة المكتوبة.

10427ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر, قال: هي الصلاة.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا وكيع, عن أبيه, عن إسرائيل, عن عامر, قال: هي الصلاة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ يقول: صلاة الصبح وصلاة العصر.

10428ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قال: صلى عبد الرحمن في مسجد الرسول, فلما صلى قام فاستند إلى حجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم, فانثال الناس عليه, فقال: يا أيها الناس إليكم فقيل: يرحمك الله, إنما جاءوا يريدون هذه الآية: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ فقال: وهذا عُني بهذا إنما هو في الصلاة.

وقال آخرون: هي الصلاة ولكن القوم لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ولا تأخيرهم عن مجلسه, وإيما سألوه تأخيرهم عن الصفّ الأوّل حتى يكونوا وراءهم في الصفّ. ذكر من قال ذلك:

10429ـ حدثني محمد بن سعد, ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وكَذِلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ... الآية, فهم أناس كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الفقراء, فقال أناس من أشراف الناس: نؤمن لك, وإذا صلينا فأخرّ هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا

وقال آخرون: بل معنى دعائهم كان ذكرهم الله تعالى. ذكر من قال ذلك:

10430ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, وحدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, قوله: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ قال: أهل الذكر.

10431ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ قال: هم أهل الذكر.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ قال: لا تطردهم عن الذكر.

وقال آخرون: بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته. ذكر من قال ذلك:

10432ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, قوله: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ قال: كان يقرئهم القرآن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل عَنَى بدعائهم ربهم عبادَتهم إياه. ذكر من قال ذلك:
10433ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشيّ قال: يعني: يعبدون, ألا تر أنه قال: لا جَرَمَ أنّما تَدْعُونَنِي إلَيْهِ يعني: تعبدونه.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى نهى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشيّ والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وكلاما, وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمال التي كان عليهم فرضها وغيرها من النوافل التي ترضي والعامل له عابده بما هو عامل له وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها, فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشيّ, لأن الله قد سمى العبادة دعاء, فقال تعالى: وَقالَ رَبّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ. وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء, ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشيّ فيعمّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشيء دون شيء.
فتأويل الكلام إذن: يا محمد أنذر القرآن الذي أنزلته إليك, الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون, فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير, في العمل له دائبون إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذّبون بالله واليوم اخر من قومك استكبارا على الله. ولا تطردهم ولا تُقْصِهم, فتكون ممن وضعَ الإقصاء في غير موضعه فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه, وقرّب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناءَه فإن الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوّعهم وذكرهم إيان بألسنتهم بالغداة والعشيّ, يلتمسون بذلك القربة إلى الله والدنوّ من رضاه. ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيءٍ, يقول: ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء, وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء, فتطردهم حذار محاسبتي إياك بما خوّلتهم في الدنيا من الرزق. وقوله: فَتَطْرُدَهُمْ: جواب لقوله: ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَيءٍ. وقوله: فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ جواب لقوله: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لّيَقُولوَاْ أَهَـَؤُلآءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِم مّن بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ }..
يعني تعالى ذكره بقوله: وكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ وكذلك اختبرنا وابتلينا. كالذي:
10434ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, وحدثنا الحسين بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يقول: ابتلينا بعضهم ببعض.
وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى الفتنة, وأنها الاختبار والابتلاء, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإنما فتنة الله تعالى بعض خلقه ببعض, مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق, فجعل بعضا غنيا

وبعضا فقيرا وبعضا قويا وبعضا ضعيفا, فأحوج بعضهم إلى بعض, اختبارا منه لهم بذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10435ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يعني أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء, فقال الأغنياء للفقراء: أهؤلاءِ منّ الله عليهم من بيننا يعني: هداهم الله. وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية.

وأما قوله: لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا يقول تعالى: أختبرنا الناس بالغنى والفقر والعزّ والذلّ والقوّة والضعف والهدى والضلال, كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحقّ للذين هداهم الله ووفقهم: أهؤلاء منّ الله عليهم بالهدى والرشد وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ونحن أغنياء أقوياء استهزاء بهم, ومعاداة للإسلام وأهله. يقول تعالى: أَلَيْسَ اللّهُ بأعْلَمَ بالشّاكِرِينَ وهذا منه تعالى إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحقّ, وخذلهم عنه وهم أغنياء, وتقرير لهم أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكرا نعمتي ممن هو لها كافر, فمنّي على من مننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره إياي على نعمتي, وتخذلي من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبة كفرانه إياي نعمتي لا لغنى الغنيّ منهم ولا لفقر الفقير لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلاّ جزاء على عمله الذي اكتسبه لا على غناه وفقره, لأن الغنى والفقر والعجز والقوّة ليس من أفعال خلقي.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا جَآءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَىَ نَفْسِهِ الرّحْمَةَ أَنّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوَءًا بِجَهَالَةٍ ثُمّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }..

اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله تعالى بهذه الآية: فقال بعضهم: عَنَى بها الذين نهيّ الله نبيه عن طردهم, وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه.

وقال آخرون: عنى بها قوما استفتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذنوب أصابوها عظام, فلم يؤيسهم الله من التوبة. ذكر من قال ذلك:

10436ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, عن مجمع, قال: سمعت ماهان, قال: جاء قوم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أصابوا ذنوبا عظاما. قال ماهان: فما إخاله ردّ عليهم شيئا. قال: فأنزل الله هذه الآية: وَإِذَا جاءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ... الآية.

حدثنا هناد, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن مجمع, عن ماهان: أن قوما جاءوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالوا: يا محمد إنا أصبنا ذنوبا عظاما فما إخاله ردّ عليهم شيئا, فانصرفوا, فأنزل الله تعالى: وَإِذَا جاءَكَ الّذِينَ يؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ قال: فدعاهم, فقرأها عليهم.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن مجمع التميمي, قال: سمعت ماهان يقول, فذكر نحوه.

وقال آخرون: بل عُني بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبيّ صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم, فكان ذلك منهم خطيئة, فغفرها الله لهم وعفا عنهم, وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أتوه أن يبشرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم بمشورتهم على النبيّ صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم. وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد, وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية, قول من قال: المعنيون بقوله: وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ غير الذين نُهي الله النبيّ صلى الله عليه وسلم عن طردهم, لأن قوله: وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا خبر مستأنف بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم, ولو كانوا هم لقيل: «وإذا جاءوك فقل سلام عليكم», وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأوّلين ما ينبيء عن أنهم غيرهم.

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدّقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا فيقرّون بذلك قولاً وعملاً, مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم, هل لهم منها توبة؟ فلا تؤيسهم منها, وقل لهم: سلام عليكم: أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها, كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَة يقول: قضى ربكم الرحمة بخلقه, أنّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ ثمّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فإنّه غَفُورٌ رَحيمٌ.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء المدنيين: أنّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا فيجعلون «أنّ» منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة, «ثمّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فإنّه غَفُورٌ رَحِيمٌ» على ائتناف «إنه» بعد الفاء فيكسرونها ويجعلونها أداة لا موضع لها, بمعنى: فهو له غفور رحيم, أو فله المغفرة والرحمة. وقرأهما بعض الكوفيين بفتح الألف منهما جميعا, بمعنى: كتب ربكم على نفسه الرحمة, ثم ترجم بقوله: أنّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ عن الرحمة فإنّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ, فيعطف «فأنه» الثانية على «أنه» الأولى, ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت. وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء أهل العراق من الكوفة والبصرة بكسر الألف من «إنه» و «فإنه» على الابتداء, وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب, قراءة من قرأهما بالكسر: «كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ إنّهُ» على ابتداء الكلام, وأن الخبر قد انتهى عند قوله: كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِهِ الرّحْمَةَ ثم استؤنف الخبر عما هو فاعل تعالى ذكره بمن عمل سوءا بجهال ثم تاب وأصلح منه. ومعنى قوله: أنّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ: أنه من اقترف منكم ذنبا, فجهل باقترافه إياه. ثُمّ تابَ وأصْلَحَ فأنه غَفُورٌ لذنبه إذا تاب وأناب وراجع بطاعة الله وترك العود إلى مثله مع الندم على ما فرط منه. رَحِيمٌ بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه. ذكر من قال ذلك:

10437ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن عثمان, عن مجاهد: مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ قال: من جهل أنه لا يعلم حلالاً من حرام, ومن جهالته ركب الأمر.

10438ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد, عن جويبر, عـن الضـحاك, مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد: يَعْمَلُونَ السّـوءَ بِجَهالَةٍ قال: من عمل بمعصية الله, فذاك منه جهل حتى يرجع.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا بكر بن خنيـس, عـن ليث, عن مجاهد, في قوله: مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ قال: كلّ من عمـل بخطيئة فهو بها جاهل.
10439ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا خالد بن دينار أبو خلدة, قال: كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال: وَإِذَا جاءَكَ الّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ على نَفْسِه الرّحْمَةَ.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَـذَلِكَ نفَصّـلُ الآيَـاتِ وَلِتَسْـتَبِينَ سَـبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }..
يعني تعالى ذكره بقوله: وكَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ وكما فصلنا لـك فـي هـذه السورة من ابتدائها وفاتحها يا محمد إلى هذا الموضع حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا, وميزناها لك وبيّناها, كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كلّ حقّ ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم, فنبينها لك حـتى تبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ولِتَسْتَبِينَ سَـبِيلُ المُجْرِمِيـنَ فقـرأ ذلـك عامة قرّاء أهل المدينة: ولِتَسْتَبِينَ بالتاء «سَبِيل المُجْرِمِينَ» بنصب السبيل, على أن «تستبين» خطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم كـأن معنـاه عنـدهم: ولتسـتبين أنـت يـا محمـد سـبيل المجرميـن. وكـان ابـن زيـد يتـأوّل ذلـك: ولتستبين أنت يا محمد سـبيل المجرميـن الـذين سـألوك طـرد النفـر الـذين سألوه طردهم عنه من أصحابه.
10440ـ حـدثني يـونس, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد: «وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيل المُجْرِمِينَ» قال: الذين يأمرونك بطرد هؤلاء.
وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين: ولِتَسْتَبِينَ بالتاء سَبِيلُ المُجْرِمِينَ برفـع السـبيل علـى أن القصـد للسـبيل, ولكنـه يؤنثهـا. وكـأن معنـى الكلام عندهم: وكذلك نفصّل الآيات ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين. وقرأ ذلك عامة قـراء أهـل الكوفـة: «ولِتَسْـتَبِينَ» باليـاء سَـبِيلُ المُجْرِمِيـنَ برفـع السبيل علـى أن الفعـل للسـبيل ولكنهـم يـذكرونه. ومعنـى هـؤلاء فـي هـذا الكلام, ومعنى من قرأ ذلك بالتاء في: ولِتَسْتَبِينَ ورفع السـبيل واحـدٌ, وإنمـا الاختلاف بينهم في تذكير السبيل وتأنيثها.
وأولى القراءتين بالصواب عندي فـي «السـبيل» الرفـع, لأن اللـه تعـالى ذكره فصّل آياته في كتابه وتنزيله, ليتبَيّن الحـقّ بهـا مـن الباطـل جميـع مـن خوطب بها, لا بعض دون بعض. ومن قـرأ «السـبيل» بالنصـب, فإنمـا جعـل تبيين ذلك محصورا على النبيّ صلى الله عليه وسلم. وأما القراءة في قوله: وَلِتَسْتَبِينَ فسواء قُرِئت بالتاء أو بالياء, لأن من العرب من يذكر السبيل وهم تميم وأهل نجد, ومنهم من يؤنث السبيل وهم أهـل الحجـاز, وهمـا قراءتـان مستفيضتان في قرّاء الأمصار ولغتان مشهورتان من لغـات العـرب, وليـس في قراءة ذلك بإحـداهما خلاف لقراءتـه بـالأخرى ولا وجـه لاختيـار إحـداهما على الأخرى بعد أن يرفع السبيل للعلة التي ذكرنا.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: نُفصّلُ الآيَاتِ قال أهل التأويل.
10441ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وكذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ نبين الآيات.
10442ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في: نُفَصّلُ الآيَاتِ: نبين.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُلْ لاّ أَتّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }..
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك, العادلين به الأوثان والأنداد, الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان: إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه, فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك ولا أوافقكم عليه, ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه, وإن فعلت ذلك فقد تركت محجة الحقّ وسلكت على غير الهدى, فصرت ضالاّ مثلكم على غير استقامة. وللعرب في «ضللت» لغتان: فتح اللام وكسرها, واللغة الفصيحة المشهورة هي فتحها, وبها قرأ عامة قراء الأمصار, وبها نقرأ لشهرتها في العرب وأما الكسر فليس بالغالب في كلامها والقراء بها قليلون, فمن قال ضَلَلْتُ قال أضِلّ, ومن قال ضَلِلْتُ قال في المستقبل أضَلّ, وكذلك القراءة عندنا في سائر القرآن: وقالوا أئِذا ضَلَلْنا بفتح اللام.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّي عَلَىَ بَيّنَةٍ مّن رّبّي وَكَذّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للّهِ يَقُصّ الْحَقّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ }..
يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم, الداعين لك إلى الإشراك بربك: إنّي على بَيّنَةٍ مِنْ ربي أي إني على بيان قد تبينته وبرهان قد وضح لي من ربي, يقول: من توحيده, وما أنا عليه من إخلاص عبوديته من غير إشراك شيء به وكذلك تقول العرب: فلان على بينة من هذا الأمر: إذا كان على بيان منه, ومن ذلك قول الشاعر:
أبَيّنَةً تَبْغُونَ بَعدَ اعْتِرَافِهِوقَوْلِ سُوَيْدٍ قدْ كَفَيْتُكُمْ بِشْرَا
وكَذّبْتُمْ بِهِ يقول: وكذبتم أنتم بربكم. والهاء في قوله «به» من ذكر الربّ جل وعزّ. ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ يقول: ما الذي تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدي, ولا أنا على ذلك بقادر. وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده, فدعاهم إلى الله وأخبرهم أنه رسوله إليهم: هَلْ هَذَا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أفَتأْتونَ السّحْرَ وأنْتُمْ تُبْصِرُونَ وقالوا للقرآن: هو أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو اختلاق اختلقه. وقال آخرون: بل محمد شاعر, فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك, وإنما أنت رسول, وليس عليك إلاّ البلاغ لما أرسلت به, وإن الله يقضي الحقّ فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين المحقّ منكم والمبطل. وهُوَ خَيْرُ الفاصِلِينَ: أي وهو خير من بين وميز بين المحقّ والمبطل وأعدلهم, لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لوسيلة له إليه ولا لقرابة ولا مناسبة, ولا في قضائه جور لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجوز, فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين. وقد ذكر لنا في قراءة عبد الله: «وهُوَ أسْرَعُ الفَاصِلين».

10443ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير أنه قال: في قراءة عبد الله: «يقضي الحقّ وهو أسرع الفاصلين».

واختلفت القراء في قراءة قوله: «يَقْضِي الحَقّ» فقرأه عامة قرّاء الحجاز والمدينة وبعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة: إن الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ يَقُصّ الحَقّ بالصاد بمعنى القصص, وتأوّلوا في ذلك قول الله تعالى: نَحْنُ نَقُصّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَصِ. وذكر ذلك عن ابن عباس.

10444ـ حدّثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: يَقُصّ الحَقّ, وقال: نَحْنُ نَقُصّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَصِ.

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة والبصرة: «إن الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ يَقْضِي الحَقّ» بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء. واعتبروا صحة ذلك بقوله: وَهُوَ خَيْرُ الفاصِلِينَ وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص.

وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لأهلها من العلة. فمعنى الكلام إذن: ما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بيني وبينكم, إلاّ الله الذي لا يجور في حكمه, وبيده الخلق والأمر, يقضي الحقّ بيني وبينكم, وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّوْ أَنّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظّالِمِينَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان المكذّبيك فيما جئتهم به, السائليك أن تأتيهم بآية استعجالاً منهم بالعذاب: لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه, ولكن ذلك بيد الله الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التي لا تنبغي أن تكون إلاّ لله في غير موضعها فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام, وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وحال القضاء بيني وبينهم. وقد قيل: معنى قوله: لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الذبح للموت.

10445ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن ابن جريج, قال: بلغني في قوله: لَقُضِيَ الأمْرُ قال: ذبح الموت.

وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله: وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ فإنه رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك قصة تدلّ على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر, وليس قوله: لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ من ذلك في شيء, وإنما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها: لو أن العذاب والآيات بيدي وعندي لعاجلتكم بالذي تسألوني من ذلك, ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ مّبِينٍ }..

يقول: وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ والمفاتح: جمع مِفْتَح, يقال فيه: مِفْتَح ومِفْتَاح, فمن قال مِفْتَح جمعه مَفَاتح, ومن قال مِفْتاح جمعه مَفَاتِيح.

ويعني بقوله: وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ خزائن الغيب, كالذي:

10446ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ قال: يقول: خزائن الغيب.

10447ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مسعر, عن عمرو بن مرّة, عن عبد الله بن سلمة, عن ابن مسعود, قال: أعطي نبيكم كلّ شيء إلاّ مفاتح الغيب.

10448ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس: وَعِنْدَهُ مفاتِحُ الغَيْبِ قال: هنّ خمس: إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ ويُنَزّلُ الغَيْثَ... إلى: إنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

فتأويل الكلام إذن: والله أعلم بالظّالمين من خلقه وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع, فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه, فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه. ويَعْلَمُ ما في البَرّ والبَحْرِ يقول: وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم, لأن ما في البرّ والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد. فكان معنى الكلام: وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه, ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم, لا يخفى عليه شيء, لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم. فأخبر الله تعالى أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد, وذلك هو الغيب.

القول في تأويل قوله تعالى: وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاّ يَعْلمُها وَلا حَبّةٍ فِي ظُلُماتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ.

يقول تعالى ذكره: ولا تسقط ورقة في الصحاري والبراري ولا في الأمصار والقرى إلا الله يعلمها. وَلا حَبّةٍ فِي ظُلُماتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ يقول: ولا شيء أيضا مما هو موجود أو مما سيوجد ولم يوجد بعد, إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ, مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذي يوجد فيه والحال التي يفني فيها. ويعني بقولين مُبِين: أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم.

فإن قال قائل: وما وجه إثباته في اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يخفى عليه, وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه؟ قيل له: لله تعالى فعل ما شاء, وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانا منه لحفظته واختبارا للمتوكلين بكتابة أعمالهم, فإنهم فيما ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك في اللوح المحفوظ, حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم وقيل: إن ذلك معنى قوله: إنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك مما هو أعلم به, إما بحجة يحتجّ بها على بعض ملائكته وأما على بني آدم وغير ذلك. وقد:

10449ـ حدثني زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب, قال: حدثنا مالك بن سعير, قال: حدثنا الأعمش, عن يزيد بن أبي زياد, عن عبد الله بن الحرث,

قال: ما في الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة, إلا عليها ملك موكل بها يـأتي الله, يعلمه يبسها إذا يبست ورطوبتها إذا رطبت.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي يَتَوَفّاكُم بِاللّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنّهَارِ ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىَ أَجَلٌ مّسَمّى ثُـمّ إِلَيْـهِ مَرْجِعُكُـمْ ثُـمّ يُنَبّئُكُـم بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وقل لهم يا محمـد, واللـه أعلـم بالظـالمين: واللـه هـو الـذي يتـوفى أرواحكـم بالليـل فيقبضـها مـن أجسادكم, وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنّهـارِ يقـول: ويعلـم مـا كسـبتم مـن الأعمـال بالنهار. ومعنى التوفّي في كلام العرب: استيفاء العدد, كما قال الشاعر:

إنّ بني الأدرِدِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْوَلا تَوَفّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ

بمعنى: لم تدخلهم قريش في العدد. وأما الاجتراح عند العرب: فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه, وهي الجوارح عنـدهم جـوارح البـدن فيمـا ذكـر عنهم, ثم يقال لكل مكتسب عملاً: جارح, لاستعمال العـرب ذلـك فـي هـذه الجوارح, ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكـلّ مكتسـب كسـبا بـأيّ أعضـاء جسمه اكتسب: مجترح.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10450ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَهُوَ الّذِي يَتَوَفّاكُمْ باللّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنّهـارِ أما «يتوفاكم بالليل»: ففي النوم, وأما «يعلم ما جرحتم بالنهار» فيقول: ما اكتسبتم من الإثم.

10451ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَهُوَ الّذِي يَتَوَفّاكُمْ باللّيْـلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنّهارِ يعني: ما اكتسبتم من الإثم.

10452ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: ما جَرَحْتُمْ بالنّهارِ قال: ما عملتم بالنهار.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

10453ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهُوَ الّـذِي يَتَوَفّـاكُمْ باللّيْـلِ يعنـي بـذلك: نـومهم ويَعْلَـمُ مـا جَرَحْتُمْ بالنّهارِ: أي ما عملتم من ذنب فهو يعلمه, لا يخفـى عليـه شـيء مـن ذلك.

10454ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبي نجيح, عن مجاهد: وَهُوَ الّذِي يَتَوَفّـاكُمْ باللّيْـلِ وَيَعْلَـمُ مـا جَرَحْتُـمْ بالنّهـارِ قال: أما وفاته إياهم بالليل فمنامهم, وأما «ما جرحتم بالنهـار» فيقـول: مـا اكتسبتم بالنهار.

وهذا الكلام وإن كان خبرا من اللـه تعـالى عـن قـدرته وعلمـه, فـإن فيـه احتجاجا على المشركين به الـذين كـانوا ينكـرون قـدرته علـى إحيـائهم بعـد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم, فقال تعالى محتجّـا عليهـم: وَهُـوَ الّـذِي يَتَوَفّـاكُمْ باللّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنّهارِ ثُمّ يَبْعَثُكُـمْ فِيـهِ لِيُقْضَـى أَجَـلٌ مُسَـمّى يقـول: فالذي يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم في النهار, لتبلغـوا أجلاً مسـمّى وأنتـم تَـرَوْن ذلـك وتعلمـون صـحته, غيـر منكـر لـه القـدرة علـى قبـض أرواحكـم

وإفنائكم ثم ردّها إلى أجسادكم وإنشائكم بعد مماتكم, فإن ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون, وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك القدرة على ما لم تعاينوه, وإن الذي لم تروه ولم تعاينوه من ذلك شبيه م ا رأيتم وعاينتم.

القول في تأويل قوله تعالى: ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فيهِ لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمّى ثُمّ إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمّ يُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

يعني تعالى ذكره: ثم يبعثكم, يثيركم ويوقظكم من منامكم فيه, يعني في النهار. والهاء التي في: «فيه» راجعة على النهار. لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمّى يقول: ليقضي الله الأجل الذي سماه لحياتكم, وذلك الموت, فيبلغ مدته ونهايته. ثُمّ إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ يقول: ثم إلى الله معادكم ومصيركم. ثُمّ يُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا, ثم يجازيكم بذلك, إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10455ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ قال: في النهار.

10456ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ في النهار, والبعث: اليقظة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

10457ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ قال: في النهار.

10458ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عبد الله بن كثير: ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ قال: يبعثكم في المنام. لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمّى وذلك الموت. ذكر من قال ذلك:

10459ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمّى وهو الموت.

10460ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمّى قال: هو أجل الحياة إلى الموت.

10461ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عبد الله بن كثير: لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمّى قال: مدتهم.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتّىَ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرّطُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وَهُوَ القاهِرُ: والله الغالب خلقه العالي عليهم بقدرته, لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم المذلل المغلوب عليه لذلته. وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهارا, يحفظون أعمالكم ويحصونها, ولا يفرّطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10462ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ويُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً قال: هي المعقبات من الملائكة, يحفظونه ويحفظون عمله.

10463ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَيُرسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حتى إذَا جاءَ أحَدَكُمْ المَوْتُ تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ يقول: حفظة يا ابن آدم يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك إذا توفيت ذلك قبضت إلى ربك. حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطونَ. يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها يرسلهم إليكم بحفظكم, وبحفظ أعمالكم إلى أن يحضركم الموت وينزل بكم أمر الله, فإذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرّطون في ذلك فيضيعونه.

فإن قال قائل: أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت, فكيف قيل: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا والرسل جملة وهو واحد؟ أو ليس قد قال: قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الّذِي وُكّلَ بِكُمْ؟ قيل: جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده, فيتولون ذلك بأمر ملك الموت, فيكون «التوفّي» مضافا, وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت إلى ملك الموت, إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره كما يضاف قَتْل من قَتَل أعوانُ السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان إلى السلطان, وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وَلِيَه بيده. وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10464ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم, في قوله: حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: كان ابن عباس يقول: لملك الموت أعوان من الملائكة.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن الحسن بن عبيد الله, في قوله: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: سئل ابن عباس عنها, فقال: إن لملك الموت أعوانا من الملائكة.

10465ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: سفيان, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم في قوله: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: أعوان ملك الموت.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: الرسل توفي الأنفس, ويذهب بها ملك الموت.

10466ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا حفص, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم, عن ابن عباس: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: الرسل توفي الأنفس, ويذهب بها ملك الموت.

حدثنا هناد, قال: حدثنا حفص, عن الحسن بن عبيد الله, عن ابن عباس: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: أعوان ملك الموت من الملائكة.

حدثنا هناد, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا قال: هم الملائكة أعوان ملك الموت.

10467ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا قال: إن ملك الموت له رسل فيرسل ويرفع ذلك إليه. وقال الكلبي: إن ملك الموت هو يلي ذلك, فيدفعه إن كان مؤمنا إلى ملائكة الرحمة, وإن كان كافرا إلى ملائكة العذاب.

10468ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا قال: يلي قبضها الرسل, ثم يدفعونها إلى ملك الموت.

10469ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن منصور, عن إبراهيم في قوله: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا قال: يتوفاه الرسل, ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس. قال الثوري: وأخبرني الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم, قال: هم أعوان لملك الموت. قال الثوري: وأخبرني رجل عن مجاهد, قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء, وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم, عن ابن عباس, في قوله: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا قال: أعوان ملك الموت من الملائكة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم, قال: الملائكة أعوان ملك الموت.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا قال: يتوفونه, ثم يدفعونه إلى ملك الموت.

10470ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, قال: سألت الربيع بن أنس, عن ملك الموت, أهو وحده الذي يقبض الأرواح؟ قال: هو الذي يلي أمر الأرواح, وله أعوان على ذلك, ألا تسمع إلى قول الله تعالى: حتى إذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفّوْنَهُمْ وقال: تَوَفّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ غير أن ملك الموت هو الذي يسير كلّ خطو منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة في الجنة.

10471ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا محمد بن مسلم, عن إبراهيم بن ميسرة, عن مجاهد, قال: ما من أهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطيف بهم كلّ يوم مرّتين.

وقد بينا أن معنى التفريط: التضييع, فيما مضى قبل. وكذلك تأوّله المتأوّلون في هذا الموضع.

10472ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ يقول: لا يضيعون.

10473ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَهُمْ لا يُفَرّطُونَ قال: لا يضيعون.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ رُدّوَاْ إِلَىَ اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ثم ردّت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحقّ. ألا لَهُ الحُكْمُ يقول: ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه. وَهُوَ أسْرَعُ الحاسِبِينَ يقول: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس, وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها, لأنه لا يحسب بعقد يَدٍ, ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية, و لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرّةٍ في السّمَوَاتِ ولا في الأَرْضِ ولا أصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ولا أكْبَرُ إلاّ في كِتَابٍ مُبِينٍ.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ مّـن ظُلُمَـاتِ الْبَـرّ وَالْبَحْـرِ تَدْعُونَهُ تَضَرّعاً وَخُفْيَةً لّئِنْ أنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك إلى عبادة أوثانهم: من الذين ينجيكم من ظلمـات الـبرّ إذا ضللتم فيه فتحيريتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة؟ ومـن ظلمـات البحـر إذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له, غيـر الله الذي مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرّعا منكم إليه واسـتكانة جهـرا وخفيـة؟ يقول: وإخفاء للدعاء أحيانا, وإعلانا وإظهارا, تقولون: لَئِن أنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ يـا ربّ: أي من هذه الظلمات التي نحـن فيهـا, لَنَكُـونَنّ مِـنَ الشّـاكِرِينَ يقـول: لنكونن ممن يوحدك بالشكر ويخلص لك العبادة دون مـن كنـا نُشـركه معـك في عبادتك. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10474ـ حدثني محمد بن سعيد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُلْ مَنْ يُنَجّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرّعا وَخُفْيَةً يقوله: إذا أضلّ الرجل الطريق دعا الله لئن أنجينا مـن هذه لنكونن من الشاكرين.

10475ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: قُلْ مَنْ يُنَجّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ يقـول: مـن كـرب الـبرّ والبحر.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُلِ اللّهُ يُنَجّيكُمْ مّنْهَا وَمِن كُلّ كَرْبٍ ثُمّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء العـادلين بربهم سواه من الآلهة إذا أنـت اسـتفهمتهم عمـن بـه يسـتعينون عنـد نـزول الكرب بهم في البرّ والبحر: الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكـم, ينجيكم من عظيم النازل بكم في البرّ والبحر من هَمَ الضـلال وخـوف الهلاك ومن كرب كلّ سوى ذلك وهم, لا آلهتكم التي تشركون بهـا فـي عبـادته, ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه, التي لا تقدر لكم على نفع لا ضرّ, ثم أنتم بعد تفضيله عليكم بكشف النازل بكم من الكـرب ودفـع الحـال بكـم مـن جسـم الهمّ تعدلون به آلهتكم وأصنامكم فتشركونها في عبادتكم إياه, وذلـك منكـم جهل بواجب حقه عليكم وكفر لأياديه عندكم وتعـرّض منكـم لإنـزال عقـوبته عاجلا بكم.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىَ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَـكُمْ بَـأْسَ بَعْـضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ الآيَاتِ لَعَلّهُمْ يَفْقَهُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء العادلين بربهـم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ومن كلّ كرب ثم تعودون للإشراك به, وهـو القـادر علـى أن يرسـل عليكـم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم, لشرككم به وادّعـائكم معـه إلهـا آخـر غيره وكفرانكم نعمه مع إسباغه عليكم آلاءه ومننه.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعد الله به هـؤلاء القـوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم, فقـال بعضـهم: أمـا العـذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليه من فوقهم: فـالرجم وأمـا الـذي توعـدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم: فالخسف. ذكر من قال ذلك:

10476ـ حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قـال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عـن أبـي مالـك: قُـلْ هُـوَ القَـادِرُ علـى أنْ يَبْعَـثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ قال: الخسف.

10477ـ حدثنا سفيان, قال: حـدثنا يحيـى بـن آدم, عـن الأشـجعي, عـن سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك وسعيد بن جبير, مثله.

10478ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا قال: أبو سلمة, عن شبل, عـن ابـن نجيح, عن مجاهد: قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُـمْ عَـذَابا مِـنْ فَـوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ قال الخسف.

10479ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قُلْ هُوَ القَـادِرُ علـى أنْ يَبْعَـثَ عَلَيْكُـمْ عَـذَابا مِـنْ فَوْقِكُمْ فعذاب السماء, أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ فيخسف بكم الأرض.

10480ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: قُلْ هُوَ القَادِرُ علـى أنْ يَبْعَـثَ عَلَيْكُـمْ عَـذَابا مِـنْ فَـوْقِكُمْ أوْ مِـنْ تَحْـتِ أرْجُلِكُمْ قال: كان ابن مسعود يصيح وهو في المجلس أو على المنبر: ألا أيها الناس إنه نزل بكم, إن الله يقول: قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَـذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ لو جاءكم عذاب من السـماء لـم يبـق منكـم أحـدا, أوْ مِـنْ تَحْـتِ أرْجُلِكُمْ لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يبق منكم أحدا, أوْ يَلْبِسَـكُمْ شِـيَعا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأسَ بَعْضٍ ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث.

وقال آخرون: عَنَى بالعذاب من فوقكم: أئمة السوء, أو من تحت أرجلكم: الخَدَمَ وسفلةَ الناس. ذكر من قال ذلك:

10481ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت خلادا يقول: سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول: إن ابن عباس كان يقول في هـذه: قُـلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِـنْ تَحْـتِ أرْجُلِكُـمْ فأمـا العذاب من فوقكم: فأئمة السوء. وأما العـذاب مـن تحـت أرجلكـم: فخـدم السوء.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُـمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ يعني: من أمرائكم, أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ يعني: سفلتكم.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى بالعذاب مـن فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رءوسهم, ومن تحت أرجلهم: الخسف وما أشبهه. وذلك أن المعروف في كلام العـرب من معنى «فوق» و «تحت» الأرجل, هو ذلك دون غيره, وإن كـان لمـا رُوي عن ابن عباس فـي ذلـك وجـه صـحيح, غيـر أن الكلام إذا تنـوزع فـي تـأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحقّ وأولى من غيره ما لم يـأت حجـة مانعة من ذلك يجب التسليم لها.

القول في تأويل قوله تعالى: أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بَعْضٍ.

يقول تعالى ذكره: أو يخلطكم شيعا: فرقـا, واحـدتها شـيعة, وأمـا قـوله: يَلْبِسَكُمْ فهو من قولك: لَبَسْتُ عليـه الأمـر, إذا خلطـت, فأنـا ألبِسُـه. وإنمـا

قلت إن ذلك كذلك, لأنه لا خلاف بين القرّاء في ذلك بكسر الباء, ففي ذلك دليل بَيّنٌ على أنه من لَبَسَ يَلْبِسُ, وذلك هو معنى الخلط. وإنما عنى بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابا مفترقة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10482ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا الأهواء المفترقة.

10483ـ حدثنا حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: يفرّق بينكم.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: ما كان منكم من التفرّق والاختلاف.

10484ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك دماء بعضهم بعضا.

10485ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: الأهواء والاختلاف.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا يعني بالشيع: الأهواء المختلفة.

وأما قوله: وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بَعْضٍ فإنه يعني: بقتل بعضكم بيد بعض, والعرب تقول للرجل ينال بسلاح فيقتله به: قد أذاق فلان فلانا الموت وأذاقه بأسه. وأصل ذلك من ذوق الطعام وهو يطعمه, ثم استعمل ذلك في كلّ ما وصل إلى الرجل من لذّة وحلاوة أو مرارة ومكروه وألم. وقد بينت معنى البأس في كرم العرب فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أإهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10486ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ بالسيوف.

10487ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان عارم, قال: حدثنا حماد, عن أبي هارون العبدي, عن عوف البكالي, أنه في قوله: وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ قال: هي والله الرجال في أيديهم الحراب يطعنون في خواصركم.

10488ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ قال: يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب.

10489ـ حدثنا سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: عذاب هذه الأمة أهل الإقرار بالسيف, أَوْ يَلْبِسُكُمْ شِيَعا وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأْسَ بَعْضٍ وعذاب أهل التكذيب: الصيحة والزلزلة.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذ الآية, فقال بعضهم: عُني بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم, وفيهم نزلت. ذكر من قال ذلك:

10490ـ حدثني محمد بن عيسى الدامغاني, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, في قوله: قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ... الآية, قال: فهنّ أربع وكلهنّ عذاب, فجاء منهنّ اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة, فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض, وبقيت اثنتان, فهما لا بدّ واقعتان, يعني: الخسف والمسخ.

10491ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم, وأعفاكم منه, وأعفاكم منه. أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: ما كان فيكم من الفتن والاختلاف.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10492ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا... الآية, ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات يوم الصبح فأطالها, فقال له بعض أهله: يا نبيّ الله لقد صليت صلاة ما كنت تصليها قال: «إنّها صَلاة رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ, وإنّي سألْتُ ربّي فِيها ثَلاثا: سألْتُه أنْ لا يُسَلّط على أمّتي عَدوّا مِنْ غيرِهِمْ فَيُهْلِكَهُمْ فَأعْطانِيها وسألْتُهُ أنْ لا يُسَلّطَ على أمّتِي السّنَةَ فأعْطانِيها وسألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعا وَلاَ يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأسَ بَعْضٍ, فَمَنَعنِيها», ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا تَزَال طائفَةٌ مِنْ أمّتِي يُقاتِلُونَ على الحَقّ ظاهرَينَ لا يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حتى يَأتِيَ أمْرَ اللّهِ».

10493ـ حدثنا أحمد بن الوليد القرشيّ وسعيد بن الربيع الرازي, قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو, سمع جابرا يقول: لما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم: قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ قال: «أعُوذ بِوَجْهِكَ», أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا وَيُذِيقَ بَعْضَكمْ بَأسَ بَعْضٍ قال: «هَاتانِ أيْسَرُ», أو «أهْوَنُ».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن جابر, قال: لما نزلت: قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْقال: «نَعُوذ بِكَ, نَعُوذ بِكَ» أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعا قال: «هُوَ أهْوَنُ».

10494ـ حدثني زياد بن عبيد الله المزني, قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزاريّ, قال: حدثنا أبو مالك, قال ثني نافع بن خالد الخزاعي, عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم خفيفة تامة الركوع والسجود فقال: «قَدْ كَانَتْ صَلاةَ رَغْبَةٍ وَرهْبَةٍ, فَسألْتُ اللّهَ فِيها ثَلاثا فأعْطانِي اثْنَتَيْنِ, وبَقِيَ وَاحِدَةٌ. سألْتُ اللّهَ أنْ لا يُصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ أصَابَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ فأعْطانِيها, وسألْتُ اللّهَ أنْ لا يُسَلّطَ عَلَيْكُمْ عَدوّا يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَكُمْ فأعْطانِيها, وسألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسُكُمْ شِيَعا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بأسَ بَعْضٍ, فَمَنَعنِيها». قال أبو مالك: فقلت له: أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

10495ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر, عن أيوب, عن أبي قلابة, عن أبي الأشعث, عن أبي أسماء الرّحبيّ, عن شدّاد بن أوس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم, أنه قال: «إنّ اللّهَ زَوَى ليَ الأرْضَ حتى رأيْتُ مَشارِقَها ومَغَارِبَها, وَإنّ مُلْكَ أمّتي سَيَبْلُغَ ما زُوِيَ

لي مِنْها, وإنّي أُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأحْمَرَ والأبْيَضَ, وإنّي سألْتُ رَبي أنْ لا يُهْلَكَ قَوْمي بِسَنَةٍ عامّةٍ وأنْ لا يَلْبَسَهُمْ شِيَعا وَلا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بأسَ بَعْضٍ, فقال: يا محمد, إنّي إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنّهُ لا يُرَدّ, وإنّي أعْطَيْتُكَ لأمّتِكَ أنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامّةٍ وَلا أُسَلّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّا مِمّنْ سِوَاهُمْ فَيُهْلِكَهُمْ بِعامّةِ حتى يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضا وبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضا وبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضا», فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّي أخافُ على أُمّتِي الإئمّةَ المُضلّينَ, فإذا وُضِعَ السّيْفُ فِي أمّتِي لَمْ يَرْفَعْ عَنْهُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, قال: أخبرني أيوب, عن أبي قلابة, عن أبي الأشعث, عن أبي أسماء الرحبي, عن شدّاد بن أوس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه, إلا أنه قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّي لا أخافُ على أُمّتِي إلاّ الأئمّةَ المُضِلّينَ».

10496ـ حدثنا محمد بن عبد اوعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن الزهري, قال: راقب خباب بن الأرَتّ, وكان بدريا, النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي, حتى إذا فرغ وكان في الصبح قال له: يا رسول الله, لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها قال: «أجَلْ, إنّها صَلاةُ رَغَبَ وَرَهَبٍ, سألْتُ رَبي ثَلاثَ خِصَالٍ فأعْطَانِي إثْنَتَيْنِ ومَنَعَنِي وَاحِدَةً سألْتُهُ أنْ لا يُهْلِكَنَا بِمَا أهْلَكَ بِهِ الأمَمَ فأعْطَانِي, وسألْتُهُ أنْ لا يُسَلّطَ عَلَيْنَا عَدُوّا فأعْطَانِي, وسَألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسْنَا شِيَعا, فَمَنَعَنِي».

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, في قوله: أوْ يُلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: راقب خباب بن الأرث, وكان بدريا, رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه, إلا أنه قال: ثَلاثَ خصلاتٍ».

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن عمرو بن دينار, قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعُوذُ بِوَجْهِكَ» أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعُوذُ بِوَجْهِكَ» أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: «هَذِهِ أهْوَنْ».

10497ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن يونس, عن الحسن: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سألْتُ رَبي فأعْطِيتُ ثَلاثا وَمُنِعْتُ وَاحِدَاةً سألْتُهُ أنْ لا يُسَلّطَ على أُمّتِي عَدُوّا مِنْ غَيرِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ, وَلاَ يُسَلّطْ عَلَيْهِمْ جُوعا, وَلاَ يَجْمَعُهُمْ على ضَلالَةٍ فأعْطِيتُهُنّ. وسألْتُهُ أنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأسَ بَعْضٍ, فَمُنِعْتُ».

10498ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي سألْتُ رَبي خِصَالاً, فأعْطَانِي ثَلاثا وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً, سألْتُهُ أنْ لا تَكْفُرَ أُمّتِي صَفْقَةً وَاحِدَةً فأعْطانِيها, وسألْتُهُ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوّا مِنْ غيرِهِمْ فأعْطانيها, وسألْتُهُ أنْ لا يُعَذّبَهُمْ بِمَا عَذّبَ بِهِ الأمَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ فأعْطانِيها, وسألْتُهُ أنْ لا يَجْعَلَ بَأسَهُمْ بَيْنَهُمْ, فَمَنَعَنِيها».

10499ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن الحسن, قال: لما نزلت هذه الآية, قوله: وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ

قال الحسن: ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يشهده عليهم: انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ الآيَاتِ لَعَلّهُمْ يَفْقَهُونَ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتوضأ, فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولا يلبس أمته شيعا ويذيق بعضم بأس بعض كما أذاق بني إسرائيل, فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنك سألت ربك أربعا, فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين: لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم فإنهما عذابان لكلّ أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردّ كتاب ربها ولكنهم يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض, وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب والتصديق بالأنبياء, ولكن يعذّبون بذنوبهم وأوحي إليه: فإمّا نَذْهَبَنّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ يقول: من أمتك, أوْ نُرِيَنّكَ الّذِي وَعَدْنَاهُمْ من العذاب العذاب وأنت حيّ, فإنّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ. فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم, فراجع ربه, فقال: «أيّ مُصِيبَةٍ أشَدّ مِنْ أنْ أرَى أمّتِي يُعَذِبُ بَعْضُها بَعْضا؟» وأوحي إليه: الم أحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتِنُونَ وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنّ اللّهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنّ الكاذِبينَ فأعلمه أن أمته لم تخصَّ دون الأمم بالفتن, وأنها ستُبلى كما ابتليت الأمم. ثم أنزل عليه: قُلْ رَبّ إما تُرِيَنّي ما يُوعَدُونَ رَبّ فَلاَ تَجْعَلَنِي فِي القَوْمِ الظّالِمِينَ فتعوّذ نبيّ الله, فأعاذه الله, لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة. ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة, فأخبره أنه إنما يخصّ بها ناس منهم دون ناس, فقال: واتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيْبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ فخصّ بها أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده وعصم بها أقواما.

10500ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية قال: لما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف, فشقّ ذلك عليه, ثم دعا فقال: «اللهمّ أظْهِرْ عَلَيْهِمْ أفْضَلَهُمْ تَقِيّةً».

10501ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو الأسود, قال: أخبرنا ابن لهيعة, عن خالد بن يزيد, عن أبي الزبير, قال: لما نزلت هذه الآية: قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعُوذُ باللّهِ مِنْ ذَلِكَ» قال: أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْقال «أعوذُ باللّهِ مِنْ ذَلِكَ» قال أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا قال: «هَذِهِ أيْسَرُ» ولو استعاذه لأعاذه.

10502ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا المؤمل البصريّ, قال: أخبرنا يعقوب بن إسماعيل بن يسار المديني, قال: حدثنا زيد بن أسلم, قال: حدثنا زيد بن أسلم, قال: لما نزلت: قُل هُوَ القَادِرُ على أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِن فَوقِكُم أو مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُم شِيَعا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَرجِعُوا بَعْدي كُفّارا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ بالسّيوفِ» فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟ قال: «نعم» فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدا فأنزل الله: انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّف الآيَاتِ لَعَلّهُم يَفْقَهُونَ وكَذّبَ بِهِ قَومُكَ وَهُوَ الحَقّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلّ نَبَإٍ مُسْتَقَرّ وَسَوفَ تَعْلَمُونَ.

وقال آخرون: عُنى ببعضها أهل الشرك وببعضها أهل الإسلام. ذكر من قال ذلك:

10503ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن هارون بن موسى, عن حفص بن سليمان, عن الحسن, في قوله: قُل هُوَ القَادِرُ على أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِن فَوقِكُم أو مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ قال: هذا للمشركين, أو يَلْبِسَكُم شِيَعا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ قال هذا للمسلمين.

والصواب من القول عندي أن يقال: إن الله تعالى توعده بهذه الآية أهل الشرك به منعبدة الأوثان وإياهم خاطب بها, لأنها بين إخبارهم عنهم وخطاب لهم, وذلك أنها تتلو قوله: قُلْ يُنَجّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرّعا وَخُفْيَةً لَئِنْ أنجانا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ قُلِ اللّهُ يُنْجّيكُمْ مِنُها وَمِنْ كُلّ كَرْبٍ ثُمّ أنْتُمْ تُشْرِكُونَ ويتلوها قوله: وكَذّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقّ وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذّبين. فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك, وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين, كان بينا أن ذلك وعيد لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك وتأخر الخبر عنه بالتكذيب, لا لمن لم يجر له ذكر غير أن ذلك وإن كان كذلك فإنه قد عمّ وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها. وأما الأخبار التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سألْتُ رَبي ثَلاثا, فأعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدا لمن ذكرت من المشركين ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم, فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم إياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إياه من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها, ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها. وأما الذين تأوّلوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة, فإني أراهم تأوّلون أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يسخط الله نحو الذي ركب من قبلهم من الأمم السالفة من خلافه والكفر به, فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من الثلاث والنّقِمات وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله: جاء منهنّ اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سَيَكُونُ فِ ي هَذِهِ الأمّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ» وأنّ قَوْما مِنْ أمّتِهِ سَيَبِيتُونَ على لَهْوٍ وَلَعِبٍ ثُمّ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنازِيرَ وذلك إذا كان, فلا شكّ أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته. وقد رُوِي نحو الذي روي عن أبي العالية, عن أبيّ.

10504ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا سفيان, قال: أخبرنا أبي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبيّ بن كعب: قُل هُوَ القَادِرُ على أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِن فَوقِكُم أو مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُم شِيَعا قال: أربع خلال, وكلهنّ عذاب, وكلهنّ واقع قبل يوم القيامة, فمضت اثنتان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة: ألبسوا شيعا, وأذيق بعضهم بأس بعض, وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف, والرجم.

القول في تأويل قوله تعالى: انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّف الآيَاتِ لَعَلّهُم يَفْقَهُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذّبين بربهم الجاحدين نعمه وتصريفناها فيهم. لَعَلّهُمْ يَفْقَهُونَ يقول: ليفقهوا ذلك ويعتبروه, فيذكروا

ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه اللـه منهـم مـن عبـادة الأوثـان والأصنام, والتكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسـلم.) ذكـر من قال ذلك

الآية : 66-67

تأويل قوله تعالى: {وَكَذّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقّ قُل لّسْتُ عَلَيْكُـمْ بِوَكِيـلٍ * لّكُلّ نَبَإٍ مّسْتَقَرّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وَكَذّبَ يا محمد قَوْمُـكَ بمـا تقـول وتخـبر وتوعـد مـن الوعيد. وَهُوَ الحَقّ يقول: والوعيد الذي أوعَدْناهم على مُقامهم على شركهم من بعث العذاب من فوقهم أو مـن تحـت أرجلهـم أو لَبْسـهم شـيعا, وإذاقـة بعضهم بأس بعض, الحقّ الذي لا شكّ فيه أنه واقع, إن هم لم يتوبـوا وينيبـوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به إلـى طاعـة اللـه والإيمـان به. قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكيلٍ يقول: قل لهم يا محمد: لست عليكم بحفيـظ ولا رقيب, وإنما رسول أبلغكم مما أرسلت بـه إليكـم. لِكُـلّ نَبَـإٍ مُسْـتَقَرٌ يقـول: لكل خبر مُسْتقَرّ, يعني قَرار يستقرّ عنـده ونهايـة ينتهـي إليهـا, فيتـبين حقـه وصـدقه مـن كـذبه وبـاطله. وَسَـوْفَ تَعْلَمُـونَ يقـول: وسـوف تعلمـون أيهـا المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إيـاكم أيهـا المشـركون وحقيتـه عنـد حلـول عـذابه بكـم. فـرأوا ذلـك وعـاينوه فقتلهـم يومئـذ بأوليـائه مـن المؤمنين.

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10505ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السّديّ: وَكَذّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقّ يقول: كـذبت قريـش بالقرآن, وهو الحقّ. وأما الوكيل: فالحفيظ: وأما لِكُلّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌ: فكـان نبـأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يعدهم من العذاب.

10506ـ حدثني المثني قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبـي نجيح عن مجاهد لكل نبأ مستقر بكل نبأ حقيقة أما في الدنيا وأما في الآخـرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فسوف ترونه, وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

10507ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, عن معاويـة, عـن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: لِكُلّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌ يقول: حقيقة.

10508ـ حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا عمي, قـال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لِكُلّ نَبَـإٍ مُسْـتَقَرٌ وَسَـوْفَ تَعْلَمُـونَ يقول: فعل وحقيقة, ما كان منه في الدنيا وما كان منه في الآخرة.

وكان الحسن يتأوّل في ذلك أن الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول اللـه صلى الله عليه وسلم.

10509ـ حدثني المثنى, قال: حـدثنا سـويد بـن نصـر, قـال: أخبرنـا ابـن المبارك, عن جعفر بن حيان, عن الحسن أنـه قـرأ: لِكُـلّ نَبَـإٍ مُسْـتَقَرٌ قـال: حُبِسَت عقوبها حتى إذا عمل ذنبها أرسلت عقوبتها.

الآية : 68

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَإِذَا رَأَيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـيَ آيَاتِنَـا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّىَ يَخُوضُواْ فِـي حَـدِيثٍ غَيْـرِهِ وَإِمّـا يُنسِـيَنّكَ الشّـيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذّكْرَىَ مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذَا رأيْتَ يا محمـد المشركين الّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا التي أنزلناها إليك, ووحيْنا الذي أوحينـاه إليك, و «خوضهم فيها» كان استهزاءهم بهـا وسَـبّهم مـن أنزلهـا وتكلـم بهـا وتكذيبهم بها. فأعْرِضْ عَنْهُمْ يقول: فصُدّ عنهم بوجهك, وقم عنهم ولا تجلس معهم, حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيـرِهِ يقـول: حـتى يأخـذوا فـي حـديث غيـر الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم. وإمّا يُنْسِـيَنّكَ الشّـيْطَانُ يقـوله: وإن أنساك الشيطان نَهيْنا إياك عن الجلـوس معهـم والإعـراض عنهـم فـي حـال خوصهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك, فقهم عنهم ولا تقعـد بعـد ذكـرك ذلـك مـع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيـه لمـا خاضـوا بـه فيه وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10510ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبـد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, في قوله: وإذَا رأيْتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـي آياتِنَـا فـأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَـدِيثٍ غيـرِهِ قـال: نهـاه اللـه أن يجلـس مـع الـذين يخوضون في آيات الله يكذّبون بها, فإن نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك وسعيد بن جبير, في قوله: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـي آياتِنَـا قال: الذين يكذبون بآياتنا.

10511ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السـديّ: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـي آياتِنَـا فـأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيـرِهِ وإمّـا يُنْسِـيَنّكَ الشّـيْطَانُ فَلا تَقْعُـدْ بَعْـدَ الذّكْرَى مَعَ القَـوْمِ الظّـالِمينَ قـال: كـان المشـركون إذا جالسـوا المـؤمنين وقعوا في النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم والقـرآن فسـبّوه واسـتهزءوا بـه, فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره.

: وإمّا يُنْسِيَنّكَ الشّيْطَانُ يقول: نَسِيتَ فتقعد معهم, فإذا ذكرت فقم.

10512ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يخُوضُونَ فِي آياتِنَا قال: يكذّبون بآياتنا.

10513ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فُضيل بن عيـاض, عن ليث, عن أبي جعفـر, قـال لا تجالسـوا أهـل الخصـومات, فـإنهم الـذين يخوضون في آيات الله.

10514ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبـو صـالح, قـال: حـدثنا معاويـة بـن صالح, عن عليّ بن أبـي طلحـة, عـن ابـن عبـاس, قـوله: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا, وقـوله: الّـذِينَ فَرّقُـوا دِينَهُـمْ وكَـانُوا شِـيَعا, وقـوله: وَلاَ تَكُونُوا كالّذِينَ تَفَرّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيّناتُ, وقـوله: أنْ أقِيمُـوا الـدّينَ وَلا تَتَفَرّقُـوا فِيـه, ونحـو هـذا فـي القـرآن قـال: أمـر اللـه المـؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفُرْقـة, وأخـبرهم أنـه إنمـا هلـك مـن كـان قبلهم بالمِراء والخصومات في دين الله.

10515ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين قـال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريـج, عـن مجاهـد, قـوله: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـي آياتِنَـا قـال: يستهزءون بها. قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يقعـد معهـم إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقم. فـذلك قـوله: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـي

آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ وإمّا يُنْسِيَنّكَ الشّـيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذّكْرَى مَـعَ القَـوْمِ الظّـالِمينَ. قـال ابـن جريـج: كـان المشـركون يجلسون إلى النـبي صـلى الله عليـه وسـلم يُحبّـون أن يسـمعوا منـه, فـإذا سمعوا استهزءوا فنـوزلت: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُـونَ فِـي آياتِنَـا فـأعْرِضْ عَنْهُمْ... الآية.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا سـفيان, عـن منصـور, عـن مجاهد: وإذَا رأيْتَ الّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا قال: يكذّبون.

10516ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله, عن إسرائيل, عن السدي, عن أبي مالك, قوله: وإذَا رأيْتَ الّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ يعني: المشركين. وإمّا يُنْسِيَنّكَ الشّيْطَانُ فَلا تَقْعُـدْ بَعْدَ الذّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظّالِمينَ إن نسيت فَذَكَرت فلا تجلس معهم.

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا عَلَى الّذِينَ يَتّقُـونَ مِـنْ حِسَـابِهِم مّـن شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَىَ لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ومن اتقى الله فخافه فأطاعه فيما أمره به واجتنب ما نهاه عنه, فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين في آيات اللـه فـي حال خوضهم في آيات الله شيء من تبعه فيما بينـه وبيـن اللـه, إذا لـم يكـن تركه الإعراض عنهم رضا بما هم فيه وكان الله بحقوقه متقيـا, ولا عليـه مـن إثمهم بذلك حرج, ولكن لِيُعْرِضوا عنهم حينئذ. ذِكْرَى لأمر الله. لَعَلّهُمْ يَتّقُـونَ يقول: ليتقوا. ومعنى الذكرى: الذكرُ, والذكر والذكرى بمعنى وقـد يجـوز أن يكون ذكرى في موضع ورفع فأما النصب فعلى ما وصفت من تأويل: ولكـن ليعرضوا عنهم ذكري وأما الرفع فعلـى تأويـل: ومـا علـى الـذين يتقـون مـن حسابهم شـيء بـترك الإعـراض, ولكـن إعراضـهم ذكـرى لأمـر اللـه لعلهـم يتقـون. وقـد ذكـر أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إنمـا أمـر بالقيـام عـن المشركين إذا خاضوا في آيات اللـه, لأنـه قيـامه عنهـم كـان ممـا يكرهـونه, فقال الله له: إذا خاضوا في آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ويـتركوا ذلك. ذكر من قال ذلك:

10517ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قـال: ثنـي حجـاج, عنـا بـن جريج, قال: كان المشـركون يجلسـون إلـى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يحبون أن يسمعوا منه, فـإذا سـمعوا اسـتهزءوا, فنزلـت: وإذَا رأيْـتَ الّـذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنَا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حـتى يَخُوضُـوا فِـي حَـدِيثٍ غيـرِهِ... الآيـة, قال: فجعل إذا استتهزءوا قـام فحـذروا وقـالوا: لا تسـتهزءوا فيقـوم فـذلك قوله: لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ أن يخوضوا فيقوم. ونـزل: وَمَـا عَلَـى الّـذِينَ يَتّقُـونَ مِـنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إن قعـدوا معهـم, ولمـن لا تقعـدوا. ثـم نسـخ ذلـك قـوله بالمدينة: وَقَدْ نَزّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أنْ إذَا سَمِعْتُمْ آيـاتِ اللّـهِ يُكْفَـرُ بِهـا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غيرِهِ إنّكُمْ إذًا مِثْلُهُمْ, فنسخ قوله: وَمَا عَلَى الّذِينَ يَتّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ... الآية.

10518ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وَمَا عَلَى الّـذِينَ يَتّقُـونَ مِـنْ حِسَـابِهِمْ مِـنْ شَيْءٍ يقوله: من حساب الكفار من شـيء. وَلَكِـنْ ذِكْـرَى يقـول: إذا ذكـرتُ فقم. لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ مساءتكم إذا رأوكم لا تجالسونهم, استحيوا منكـم فكفـوا

عنكم. ثم نسخها الله بعد, فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا, قال: وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أنْ إذَا سَمِعْتُمْ آياتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِها... الآية.

10519ـ حدثني محمد بن عروة, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَمَا عَلَى الّذِينَ يَتّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إن قعدوا, ولكن لا تقعد.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10520ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن السدي, عن أبي مالك: وَمَا عَلَى الّذِينَ يَتّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى قال: وما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {وَذَرِ الّذِينَ اتّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدّنْيَا وَذَكّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلّ عَدْلٍ لاّ يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَـَئِكَ الّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبا ولهوا, فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته واللهو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم, فأعرض عنهم, فإني لهم بالمرصاد, وإني لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ونسيانهم المدار إلى الله تعالى والمصير إليه بعد الممات. كالذي:

10521ـ حدثني محمد بن عروة, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله الله: وَذَرِ الّذِينَ اتّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبا ولَهْوا قال: كقوله: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وكذلك قال عدد من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10522ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا حجاج بن المنهال, قال: حدثنا همام بن يحيى, عن قتادة: وَذَرِ الّذِينَ اتّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبا ولَهْوا ثم أنزل في سورة براءة, فأمر بقتالهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, قال: قرأت علي بن أبي عروبة, فقال: هكذا سمعته من قتادة: وَذَرِ الّذِينَ اتّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبا ولَهْوا ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة, وأمر بقتالهم, فقال: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

وأما قوله: وَذَكّر بِهِ أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ فإنه يعني به: وذكر يا محمد بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه أن تُبْسَل نَفْسٌ بمعنى: أن لا تبسل, كما قال: يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلّوا بمعنى: أن لا تضلوا. وإنما معنى الكلام: وذكر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحقّ, فلا تُبْسَل أنفسهم بما كسبت من الأوزار ولكن حذفت «لا» لدلالة الكلام علها.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ فقال بعضهم: معنى ذلك: أن تُسْلَم. ذكر من قال ذلك:

10523ـ حدثنا حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد النحويّ, عن عكرمة, قوله: أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ قال: تسلم.
10524ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: أنْ لا تُبْسَلَ نَفْسٌ قال: أن تِسْلَم.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, مثله.
10525ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله الله تعالى ذكره: أنْ تُبْسَلَ قال: تسلم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ قال: تسلم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكلم, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد: أولَئِكَ الّذِينَ أُبْسِلُوا أسلموا.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: تحبس. ذكر من قال ذلك:
10526ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ قال: تؤخذ فتحبس.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.
10527ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد, في قوله: أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ: أن تؤخذ نفس بما كسبت.
وقال آخرون: معناه: تفضح. ذكر من قال ذلك:
10528ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَذَكّرْ بِهِ أنْ تُبْسَلَ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ يقول: تفضح.
وقال آخرون: معناه: أن تجزى. ذكر من قال ذلك:
10529ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, قال: قال الكلبي: أنْ تُبْسَلَ: أن تجزى.
وأصل الإبسال: التحريم, يقال منه: أبسلت المكان: إذا حرمته فلم تقر به ومنه قوله الشاعر:
بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النّدَبَسْلٌ عَلَيْكَ مَلاَمَتِي وَعِتابي
أي حرام ومنه قولهم: وعتابي أسد آسد, ويراد به: لا يقربه شيء, فكأنه قد حرم نفسه. ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يُتحامى لشدّته, ويقال: أعط الراقي بُسْلَتَهُ, يراد بذلك: أجرته, شراب بسيل: بمعنى متروك, وكذلك المبسل بالجريرة, وهو المرتهن بها, قيل له مبسل لأنه محرّم من كلّ شيء إلا مما رهن فيه وأسلم به ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي:
وإبْسالي بَنِيّ بغَيْرِ جُرْمٍبَعَوْناهُ وَلا بدَمٍ مُرَاقِ
وقال الشّنْفَرَي:
هُنالِكَ لا أرْجُو حيَاةً تَسُرّنِيسَمِيرَ اللّيالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ
فتأويل الكلام إذن: وذكّر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا وغيرَهم ممن سلك سبيلهم من المشركين, كيلا تبسل نفي بذنوبها وكفرها بربها, وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله. لَيْسَ لهَا مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: ليس لها حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آيامها أحد ينصرها

فينقذها من الله الذي جازاها بذنوبها جزاءها, ولا شفيع يشفع لها, لوسيلة له عنده.

القول في تأويل قوله تعالى: وَإِنْ تَعْدِلْ كُلّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها.

يقول تعالى ذكره: وَإِنْ تَعْدِلْ النفس التي أبسلت بما كسبت, يعني وإن تعدل كُلّ عَدْلٍيعني: كلّ فداء, يقال منه: عَدَلَ يعدِلُ: إذا فدى, عَدْلاً. ومنه قول الله تعالى ذكره: أوْ عَدْلُ ذلكَ صِياما وهو ما عادله من غير نوعه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10530ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَإِنْ تَعْدِلْ كُلّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها قال: لو جاءت بملء الأرض ذهبا لم يُقبل منها.

10531ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في قوله: وَإِنْ تَعْدِلْ كُلّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها فما يَعْدِلها, لو جاءت بملء الأرض ذهبا لتفتدى به ما قُبِل منها.

10532ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ تَعْدِلْ كُلّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها قال: وأن تعدل: وإن تفتد يكون له الدنيا وما فيها يفتدي بها لا يؤخذْ منه عَدَلاً عن نفسه, لا يقبل منه.

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى: وإن تَقْسِط كلّ قِسْط لا يُقبل منها وقال إنها التوبة في الحياة. وليس لما قال من ذلك معنى, وذلك أن كلّ تائب في الدنيا فإن الله تعالى يقبل توبته.

القول في تأويل قوله تعالى: أُولَئِكَ الّذِينَ أُبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.

يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين إن فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كلّ فداء لم يؤخذ منهم, هم الّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا يقول: أسلموا لعذاب الله, فرُهنوا به جزاء بما كسبوا في الدنيا من الآثام والأوزار. لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ والحميم: هو الحارّ في كلام العرب, وإنما هو محموم صُرف إلى فعيل, ومنه قيل للحمّام: حمام, لإسخانه الجسم ومنه قول مرقش:

في كُلّ مُمْسَى لَهَا مِقْطِرَةٌفِيها كِباءٌ مُعَدّ وحَمِيمْ

يعني بذلك ماءً حارّا ومنه قول أبي ذويب الهُذلي في صفة فرس:

تَأْبَى بِدِرْتِها إذَا ما اسْتُغْضِبَتْإلاّ الحَمِيمَ فإنّهُ يَتَبَصّعُ

يعني بالحميم: عرق الفرس. وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية شرابا من حميم, لأن الحارّ من الماء لا يُروِي من عطش, فأخبر أنهم إذا عطشوا في جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم, ولكن بما يزيدون به عطشا على ما بهم من العطش, وعَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم أيضا مع الشراب الحميم من الله العذاب الأليم والهوان المقيم. بِمَا كانُوا يَكْفُرُونَ يقول: بما كان من كفرهم في الدنيا بالله وإنكارهم توحيده وعبادتهم معه آلهة دونه.

10533ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحميد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أُولَئِكَ الّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا قال: يقال: أسلِموا.

10534ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: أُولَئِكَ الّذِينَ أُبْسِلُوا قال: فضحوا.

10535ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا قال: أخذوا بما كسبوا.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللّـهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرّنَا وَنُرَدّ عَلَىَ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّـهُ كَالّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشّيَاطِينُ فِي الأرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبّ الْعَالَمِينَ }..

وهذا تَنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان, يقول له تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد والأَمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم, أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا أو ضرّنا, فنخصه بالعبادة دون الله, وندع عبادة الذي بيده الضرّ والنفع والحياة والموت, إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشرّ, فلا شكّ أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضرّه أحقّ وأولى وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضرّه. ونُرَدّ على أَعْقَابِنَا يقول: ونردّ إلى أدبارنا فنرجع القهقري خلفنا لم نظفر بحاجتنا. وقد بينا معنى الردّ على العقب, وأن العرب تقول لكلّ طالب حاجة لم يظفر بها ردّ على عقبيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإنما يراد به في هذا الموضع: ونرد من الإسلام إلى الكفر بعد إذ هدانا الله فوفقنا له, فيكون مثَلنا في ذلك مثَل الرجل الذي اسْتتبعه الشيطان يهوى في الأرض حيران. وقوله: اسْتَهْوَتْهُ: استفعلته, من قول القائل: هوى فلان إلى كذا يهوي إليه, ومن قول الله تعالى ذكره: فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ بمعنى: تنزع إليهم وتريدهم. وأما حيران: فإنه فعلان من قول القائل: قد حار فلان في الطريق فهو يحار فيه حَيْرةً وحَيَرانا وحَيْرُورَةً, وذلك إذا ضلّ فلم يهتد للمحجة له أصحاب يدعونه إلى الهدى, يقول: لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل, يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه, يقولون له: ائتنا وترك إجراء حيران, لأن «فعلان», وكل اسم كان على «فعلان» مما أنثاه «فعلى» فإنه لا يُجرى في كلام العرب في معرفة ولا نكرة. وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه المقيمون على الدين الحقّ يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون والصواب الذي هم به متمسكون, وهو له مفارق وعنه زائل, يقولون له: ائْتنا, فكن معنا على استقامة وهدى وهو يأبى ذلك, ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل, وخالف في ذلك جماعة. ذكر من قال ذلك: مثل ما قلنا

10536ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرّنا وَنُرَدّ على أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدَانا اللّهُ كالّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشّياطِينُ فِي الأَرْضِ

حَيْرَانَ لَهُ أصحَابٌ يَدْعُونَهُ إلى الهُدَى ائْتِنا قال: قـال المشـركون للمـؤمنين: اتبعوا سبيلنا ولا يضرّنا هذه الآلهة ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله, فيكـون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الأرض, يقول: مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان كمثل رجـل كـان مـع قـوم علـى الطريـق, فضـلّ الطريـق, فحيرتـه الشياطين واستهوته في الأرض, وأصـحابه علـى الطريـق, فجعلـوا يـدعونه إليهم, يقولون ائتنا فإنا على الطريق, فأبى أن يأتيهم. فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد, ومحمد الذي يدعو إلى الطريق, والطريق هو الإسلام.

10537ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عبـاس, قـوله: أنَـدْعُو مِـنْ دُونِ اللّـهِ مـا لا يَنْفَعُنـا وَلا يَضُرّنا وَنُرَدّ على أعْقابِنا قال: هذا مثـل ضـربه اللـه للآلهـة ومـن يـدعو إليهـا وللدعاة الذين يدعون إلى الله, كمثل رجل ضلّ عن الطريق, إذ نـاداه منـاد: يا فلان ابن فلان هلمّ إلى الطريـق ولـه أصـحاب يـدعونه: يـا فلان هلـمّ إلـى الطريق فإن اتبع الداعي الأوّل انطلق به حتى يلقيه فـي الهلكـة, وإن أجـاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلـى الطريـق, وهـذه الداعيـة الـتي تـدعو فـي البرية من الغيلان, يقول: مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله, فـإنه يـرى أنه في شيء حتى يأتيه المـوت فيسـتقبل الهلكـة والندامـة. وقـوله: كالّـذِي اسْتَهْوَتْهُ الشّياطِينُ فِي الأرْضِ: وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جدّه, فيتبعها فيرى أنه في شيء فيصبح وقد ألقته في الهلكة وربما أكلته, أو تلقيه في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشـا, فهـذا مثـل مـن أجـاب الآلهـة التي تعبد من دون الله عزّ وجلّ.

10538ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: اسْـتَهْوَتْهُ الشّـياطِينُ فِـي الأرْضِ قـال: أضـلته فـي الأرض حيران.

10539ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرّنا قال: الأوثان.

10540ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة قـال: حـدثنا شـبل, عـن ابـن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله تعـالى: اسْـتَهْوَتْهُ الشّـياطِينُ فِـي الأرْضِ حَيْرَانَ قال: رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق, كذلك مثـل مـن يضـلّ بعد إذ هدى.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمـر, قـال: حدثنا رجل, عن مجاهد, قال: حيـران هـذا مثـل ضـربه اللـه للكـافر, يقـول: الكافر حيران يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب.

10541ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ أنَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرّنا حتى بلغ: لِنُسْلِمَ لِرَبّ العـالَمِينَ علّمها الله محمداً وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة.

وقال آخرون في تأويل ذلك, بما:

10542ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قـال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عبـاس, قـوله: كالّـذِي اسْـتَهْوَتْهُ الشّـياطِينُ فِـي الأرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أصحَابٌ يَدْعُونَهُ إلى الهُـدَى فهـو الرجـل الـذي لا يسـتجيب لهدى الله, وهو رجل أطاع الشيطان وعمل في الأرض بالمعصية وحـار عـن الحقّ وضلّ عنه, وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ويزعمون أن الذي يـأمرونه

هدى, يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس: إن الهدى هدى الله, والضلالة ما تدعو إليه الجنّ.

فكأن ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه إنما يدعونه إلى الضلال ويزعمون أن ذلك هدى, وأن الله أكذبهم بقوله: قُلْ إنّ هُدَى اللّهِ هُوَ الهُدَى لا ما يدعوه إليه أصحابه.

وهذا تأويل له وجه لو لم يكن الله سمى الذي دعا الحيران إليه أصحاب هدى, وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له إلى ما دعوه إليه, أنهم هم الذين سموه, ولكن الله سماه هدى, وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه إليه. وغير جائز أن يسمي الله الضلال هدى لأن ذلك كذب, وغير جائز وصف الله بالكذب لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته. وإنما كان يجوز توجيه ذلك إلى الصواب لو كان ذلك خبرا من الله عن الداعي الحيران أنهم قالوا له: تعال إلى الهدى فأما وهو قائل: يدعونه إلى الهدى, فغير جائز أن يكون ذلك وهم كانوا يدعونه إلى الضلال.

وأما قوله: ائْتِنا فإن معناه: يقولون: ائتنا هلمّ إلينا فحذف القول لدلالة الكلام عليه. وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك: «يدعونه إلى الهدى بينا».

10543ـ حدثنا بذلك ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن شعبة, عن أبي إسحاق, قال: قراءة عبد الله: «يدعونه إلى الهدى بينا».

10544ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: في قراءة ابن مسعود: «لهُ أصحابٌ يدعونهُ إلى الهدَى بينا». قال: الهدى: الطريق, أنه بين.

وإذا قرىء ذلك كذلك, كان البين من صفة الهدى, ويكون نصب البين على القطع من الهدى, كأنه قيل: يدعونه إلى الهدى البين, ثم نصب «البين» لما حذفت الألف واللام, وصار نكرة من صفة المعرفة. وهذه القراءة التي ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال: الهدى في هذا الموضع: هو الهدى, على الحقيقة.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ إنّ هُدَى اللّهِ هُوَ الهُدَى وأُمِرْنا لَنُسْلِمَ لِرَبّ العالَمِينَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين لأصحابك: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فإنا على هدى: ليس الأمر كما زعمتم إنّ هُدَى اللّهِ هُو الهدَى يقول: إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه وسبيلنا الذي أمرَنا بلزومه ودينه الذي شرعه لنا فبينه, هو الهدى والاستقامة التي لا شكّ فيها, لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضرّ ولا تنفع, فلا نترك الحقّ ونتبع الباطل. وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبّ العالَمِينَ يقول: وأمرنا ربنا وربّ كلّ شيء, تعالى وجهه, لنسلم له: لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية, فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة. وقد بينا معنى الإسلام بشواهده فيما مضى من كتابنا بما أغنى عن إعادته, وقيل: وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ بمعنى: وأمرنا كي نسلم, وأن نسلم لربّ العالمين, لأن العرب تضع «كي» واللام التي بمعنى «كي» مكان «أن» و «أن» مكانها.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنْ أَقِيمُواْ الصّلاَةَ وَاتّقُوهُ وَهُوَ الّـذِيَ إِلَيْـهِ تُحْشَرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وأمرنا أن أقيموا الصلاة. وإنما قيل: وأنْ أقِيمُوا الصّلاةَ فعطف ب «أن» على اللام من «لِنُسْلِمَ» لأن قـوله: «لنسـلم», معنـاه: أن نسلم, فردّ قوله: وأنْ أقِيمُوا على معنى: «لنسلم», إذ كانت اللام التي فـي قوله: «لنسلم», لاما لا تصحب إلاّ المستقبل من الأفعال, وكانت «أن» من الحروف التي تدلّ على الاستقبال دلالة اللام التي في «لنسلم», فعطف بها عليها لاتفاق معنييهما فيمـا ذكـرت ف «أن» فـي موضـع نصـب بـالردّ علـى اللام. وكان بعض نحويي البصرة يقول: إما أن يكون ذلك: أمرنا لنسلم لربّ العالمين, وأن أقيموا الصلاة, يقول: أمرنا كي نسلم, كمـا قـال: وأُمِـرْتُ أنْ أكُـونَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ: أي إنمـا أمـرت بـذلك, ثـم قـال: وأنْ أقِيمُـوا الصّـلاةَ واتقوه: أي أُمِرْنا أن أقيموا الصلاة أو يكون أوصـل الفعـل بـاللام, والمعنـى: أمرت أن أكون, كمـا أوصـل الفعـل بـاللام فـي قـوله: هُـمْ لرَبّهِـمْ يَرْهَبُـونَ. فتأويل الكلام: وأمرنا بإقامـة الصـلاة, وذلـك أداؤهـا بحـدودها الـتي فرضـت علينا. وَاتّقُوهُ يقول: واتقوا ربّ العالمين الذي أمرنـا أن نسـلم لـه, فخـافوه واحـذروا سـخطه بـأداء الصـلاة المفروضـة عليكـم والإذعـان لـه بالطاعـة وإخلاص العبادة له. وَهُوَ الّذِي إلَيْهِ تُحْشَرُونَ يقول: وربكم ربّ العـالمين هـو الذي إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة, فيجازي كلّ عامـل منكـم بعملـه, وتوفّى كل نفس ما كسبت.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِـالْحَقّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَـقّ وَلَـهُ الْمُلْـكُ يَـوْمَ يُنفَـخُ فِـي الصّـوَرِ عَـالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهـؤلاء العـادلين بربهـم الأنـداد, الـداعيك إلـى عبـادة الأوثـان: أمرنـا لنسـلم لـربّ العالمين الذي خلق السموات بـالحقّ, لا مـن لا ينفـع ولا يضـرّ ولا يسـمع ولا يبصر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: بالحَقّ فقال بعضهم: معنى ذلك: وهو الذي خلق السموات والأرض حقّا وصوابا, لا بـاطلاً وخطـأ, كمـا قـال تعـالى ذكره: وَما خَلَقْنا السّماءَ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً قـالوا: وأدخلـت فيـه البـاء والألف واللام, كما تفعل العرب في نظائر ذلك, فتقول: فلان يقـول بـالحقّ, بمعنى أنه يقول الحقّ. قالوا: ولا شيء في قوله بالحقّ غير إصابته الصـواب فيه, لا أن الحقّ معنى غير القول, وإنما هو صفة للقـول إذا كـان بهـا القـول كـان القائـل موصـوفا بـالقول بـالحقّ وبقـول الحـقّ. قـالوا: فكـذلك خلـق السموات والأرض حكمة من حكـم اللـه, فـالله موصـوف بالحكمـة خلقهمـا وخلق ما سواهما من سائر خلقه, لا أن ذلك حقّ سوى خَلْقِهما خَلَقَهُما به.

وقال آخرون: معنى ذلك: خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما: ائْتِيا طَوْعا أوْ كَرْها. قالوا: فالحقّ في هذا الموضع معنىّ بـه كلامـه. واستشـهدوا لقيلهم ذلك بقوله: وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقّ الحقّ هو قوله وكلامـه. قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله كما خلق بـه الأشـياء غيـر المخلوقـة. قالوا: فإذ كان ذلك كذلك, وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غيـر مخلوق.

وأما قوله: وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ فإن أهل العربية اختلفوا في العامل في «يَوْمَ يَقُولُ» وفي معنى ذلك فقال بعض نحويي البصرة: «اليوم» مضاف إلى «يقول كن فيكون», قال: وهو نصب وليس له خبر ظاهر, والله أعلم, وهو على ما فسرت لك. كأنه يعني بذلك أن نصبه على: «واذكر يوم يقول كن فيكون» قال: وكذلك: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ, قال: وقال بعضهم: يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة. وقال بعضهم: يقول كن فيكون, للصّور خاصة.

فمعنى الكلام على تأويلهم: يوم يقول للصور كن فيكون قوله الحق, يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة فيكون «القول» حينئذٍ مرفوعا ب «الحقّ», والحقّ بالقول. وقوله: يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ صلة «الحقّ».

وقال آخرون: بل قوله: كُنْ فَيَكُونُ معنىّ به كلّ ما كان الله معيده في الآخرة بعد إفنائه ومنشئه بعد إعدامه. فالكلام على مذهب هؤلاء متناه عند قوله: كُنْ فَيَكُونُ وقوله: قَوْلُهُ الحَقّ خبر مبتدأ.

وتأويله: وهو الذي خلق السموات والأرض بالحقّ, ويوم يقول للأشياء: كن فيكون, خلقهما بالحقّ بعد فنائهما. ثم ابتدأ الخبر عن قوله ووعده خلقه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حقّ, فقال: قوله هذا الحقّ الذي لا شكّ فيه, وأخبر أن له الملك يوم ينفخ في الصور, ف يوم يُنفخ في الصور يكون على هذا التأويل من صلة «المُلك». وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ من صلة «الحقّ».

وقال آخرون: بل معنى الكلام: ويوم يقول لما فني: «كن» فيكون قوله الحقّ, فجعل القول مرفوعا بقوله: وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ وجعل قوله: «كن فيكون» للقول محلاّ, وقوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ من صلة «الحقّ». كأنه وجّه تأويل ذلك إلى: ويومئذ قوله الحقّ يوم يُنْفخ في الصور. وإن جعل على هذا التأويل: يوم ينفخ في الصور, بيانا عن اليوم الأوّل, كان وجها صحيحا, ولو جعل قوله: قَوْلُهُ الحَقّ مرفوعا بقوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ وقوله: يَوْمَ يُنْفَخُ في الصورِ محلاّ وقوله: وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ من صلته كان جائزا.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه المنفرد بخلق السموات والأرض دون كلّ ما سواه, معرّفا من أشرك به من خلقه جهله في عبادة الأوثان والأصنام وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه ولا دفع ضرّ عنها, ومحتجّا عليهم في إنكارهم البعث بعد الممات والثواب والعقاب بقدرته على ابتداع ذلك ابتداء, وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذّر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه, فقال: وهو الذي خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضرّ ولا يقدر على شيء, السمواتِ والأرضَ بالحقّ, حجة على خلقه, ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه, فيخلصوا له العبادة. وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ يقول: ويوم يقول حين تبدّل الأرض غير الأرض والسموات كذلك: «كن فيكون», كما شاء تعالى ذكره, فتكون الأرض غير الأرض عند قوله «كن», فيكون متناهيا. وإذا كان كذلك معناه وجب أن يكون في الكلام محذوف يدلّ عليه الظاهر, ويكون معنى الكلام: ويوم يقول لذلك كن فيكون تبدّل غير السموات والأرض, ويدلّ على ذلك قوله: وَهُوَ الّذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال: قَوْلُهُ

الحَقّ بمعنى: وعده هذا الذي وعد تعالى ذكره من تبديله السـموات والأرض غير الأرض والسموات, الحقّ الذي لا شـك فيـه, وَلَـهُ المُلْـكُ يَـوْمَ يُنْفَـخُ فِـي الصّورِ فيكون قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ من صلة «الملـك», ويكـون معنـى الكلام: ولله الملـك يومئـذ لأن النفخـة الثانيـة فـي الصـور حـال تبـديل اللـه السـموات والأرض وغيرهمـا. وجـائز أن يكـون القـول, أعنـى قـوله:الحَـقّ مرفوعا بقوله: وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ, ويكون قوله: كُنْ فَيَكُونُ محلاّ للقول مرافعا. فيكون تأويل الكلام: وهو الذي خلق السموات والأرض بالحقّ, ويوم يبدّلها غير السموات والأرض فيقول لذلك كن فيكون قوله الحقّ.

وأما قوله: وَلهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّـورِ فـإنه خَـصّ بـالخبر عـن ملكـه يومئذ, وإن كان المُلك له خالصا في كلّ وقت في الـدنيا والآخـرة لأنـه عنـى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدّعى له, وأنه المنفرد به دون كـلّ من كان ينازعه فيه في الـدنيا مـن الجبـابرة فـأذعن جميعهـم يومئـذ لـه بـه, وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل.

واختلف في معنى الصور في هذا الموضع, فقال بعضهم: هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيّـا علـى الأرض, والثانيـة لنشـر كـلّ ميـت. واعتلوا لقولهم ذلك بقوله: وَنُفِخَ فِي الصّورِ فصَعِقَ مَنْ فِي السّـمَوَاتِ وَمَـنْ فِي السّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمّ نُفِخَ فِيـهِ أُخْـرَى فـإذَا هُـمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ وبالخبر الذي روى عن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قال إذْ سئل عن الصور: «هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». وقال آخرون: الصور في هـذا الموضع: جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيـا, كقـولهم سُـور لسـور المدينـة, وهو جمع سورة, كما قال جرير:

(سُورُ المَدِينَةِ والجِبالُ الخُشّعُ)

والعرب تقول: نفخ في الصور, ونفخ الصورَ. ومن قولهم: نفخ الصور, قول الشاعر:

لَوْلا ابنُ جَعْدَة لم تُفْتَح قُهُنْدُرُكُمْوَلا خُرَاسانُ حتى يُنْفَخَ الصّورُ

والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم, أنه قال: «إنّ إسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصّورَ وَحَنَـى جَبْهَتَـهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيُنْفَخُ» وأنه قال: «الصّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». وذكـر عـن ابـن عباس أنه كان يقول في قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّـورِ عـالِمُ الغَيْـبِ وَالشّـهادَةِ يعني: أن عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور.

10545ـ حدثني به المثنى, قال: حدثنا عبد اللـه بـن صـالح, قـال: حـدثنا معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عـن ابـن عبـاس, فـي قـوله: عـالِمُ الغَيْـبِ والشّهادَةِ يعني: أن عالم الغيب والشهادة هو الذي ينفخ في الصور.

فكأن ابن عباس تـأوّل فـي ذلـك أن قـوله: عـالِمُ الغَيْـبِ وَالشّ هادَةِ اسـم الفاعل الذي لم يسمّ في قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ وأن معنـى الكلام: يـوم ينفخ الله في الصور عالم الغيب والشهادة, كما تقول العرب: أكـل طعامُـك عبد الله, فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسـمّ آكلـه. وذلـك وإن كان وجها غير مدفوع, فإن أحسن من ذلك أن يكون قوله: عـالِمُ الغَيْـبِ وَالشّـهادَةِ مرفوعـا علـى أنـه نعـت لـ الـذي» فـي قـوله: وَهُـوَ الّـذِي خَلَـقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ. ورُوِي عنه أيضا أنـه كـان يقـول: الصـور فـي هـذا الموضع: النفخة الأولى.

10546ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ عالِمُ الغَيْبِ والشّهادَةِ يعني بالصور: النفخة الأولى, ألم تسمع أنه يقول: وَنُفِخ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ الله ثمّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى يعني الثانية, فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ.

ويعني بقوله: عالِمُ الغَيْبِ والشّهادَةِ عالم ما تعاينون أيها الناس, فتشاهدونه, وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه, وهو الحكيم في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم, ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود, ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب, خبير بكلّ ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيء, حافظ ذلك عليهم, ليحازيهم على كل ذلك. يقول تعالى ذكره: فاحذروا أيها العادلون بربكم عقابه, فإنه عليم بكلّ ما تأتون وتذرون, وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعلمون.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ آزَرَ أَتَتّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد لحجاجك الذي تحاجّ به قومك وخصومتك إياهم في آلهتهم وما تراجعهم فيها, مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان, والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين وحقية ما نت عليهم محتج, حجاجَ إبراهيم خليلي قومه, ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان, وانقطاعه إلى الله والرضا به واليا وناصرا دون الأصنام فاتخِذْهُ إماما واقْتَدِ به, واجعل سيرته في قومك لنفسك مثالاً, إذ قال لأبيه مفارقا لدينه وعائبا عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر.

ثم اختلف أهل العلم في المعنيّ بآزر, وما هو؟ اسم أم صفة؟ وإن كان اسما, فمن المسمى به؟ فقال بعضهم: هو اسم أبيه. ذكر من قال ذلك:

10547ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإِذْ قالَ إبْراهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ قال: اسم أبيه آزر.

10548ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: ثني محمد بن إسحاق, قال: آزر: أبو إبراهيم. وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلاً من أهل كُوثَى, من قرية بالسواد, سواد الكوفة.

10549ـ حدثني ابن البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر, قال: هو آزر, وهو تارح, مثل إسرائيل ويعقوب.

وقال آخرون: إنه ليس أبا إبراهيم. ذكر من قال ذلك:

10550ـ حدثنا محمد بن حميد وسفيان بن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

حدثني الحرث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا الثوريّ, قال: أخبرني رجل, عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: وَإِذْ قالَ إبْراهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ قال: آزر لم يكن بأبيه إنما هو صنم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيبن يمان, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: آزر: اسم صنم.

10551ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: وَإِذْ قالَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ قال: اسم أبيه. ويقال: لا, بل اسمه تارح, واسم الصنم آزر يقول: أتتخذ آزر أصناما آلهة.

وقال آخرون: هو سبّ وعيب بكلامهم, ومعناه: معوجّ. كأنه تأوّل أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحقّ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: وَإِذْ قالَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ بفتح «آزر» على إتباعه الأب في الخفض, ولكنه لما كان اسما أعجميا فتحوه إذ لم يجرّوه وإن كان في موضع خفض. وذكر عن أبي زيد المديني والحسن البصري أنهما كانا يقرآن ذلك: «آزرُ», بالرفع على النداء, بمعنى: «يا آزرُ». فأما الذي ذكر عن السديّ من حكايته أن آزر اسم صنم, وإنما نصبه بمعنى: «أتتخذ آزر أصناما آلهة, فقول من الصواب من جهة العربية بعيد وذلك أن العرب لا تنصب اسما بفعل بعد حرف الاستفهام, لا تقول: أخاك أكلمت, وهي تريد: أكلمت أخاك.

والصواب من القراءة في ذلك عندي, قراءة من قرأ بفتح الراء من «آزر», على إتباعه إعراب «الأب», وأنه في موضع خفض, ففُتح إذ لم يكن جاريا لأنه اسم عجميّ. وإنما أجيزت قراءة ذلك كذلك لإجماع الحجة من القراء عليه.

وإذ كان ذلك هو الصواب من القراءة وكان غير جائز أن يكون منصوبا بالفعل الذي بعد حرف الاستفهام, صحّ لك فتحه من أحد وجهين: إما أن يكون اسما لأبي إبراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله, فيكون في موضع خفض ردّا على الأب, ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسما أعجميّا ترك إجراؤه, ففتح كما فتح العرب في أسماء العجم. أو يكون نعتا له, فيكون أيضا خفضا بمعنى تكرير اللام عليه, ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ترك إجراؤه وفعل له كما يفعل بأشكاله. فيكون تأويل الكلام حينئذ: وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر: أتتخذ أصناما آلهة؟ وإن لم يكون له وجهة في الصواب إلاّ أحد هذين الوجهين, فأولى القولين بالصواب منهما عندي, قول من قال: هو اسم أبيه لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه. وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر الذي زعم قائله أنه نعت.

فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارح, فكيف يكون آزر اسما له والمعروف به من الاسم تارح؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان, كما لكثير من الناس في دهرنا هذا, وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم. وجائز أن يكون لقبا, والله تعالى أعلم.

القول في تأويل قوله تعالى: أَتَتّخِذُ أصْناما آلِهَة إنّي أرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال: أتتخذ أصناما آلهة تعبدها وتتخذها ربّا دون الله الذي خلقك فسوّاك ورزقك والأصنام: جمع صنم, التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان, وهو الوثن. وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط غيره: صنم ووثن. إنّي أرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول: إني أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الأصنام ويتخذونها آلهة في ضَلالٍ يقول: في زوال عن محجة الحق, وعدول عن سبيل الصواب مُبِين يقول: يتبين لمن أبصره أنه جور عن قصد السبيل وزوال عن محجة الطريق القويم.

يعني بذلك: أنه قد ضلّ هـو وهـم عـن توحيـد اللـه وعبـادته الـذي اسـتوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم, دون غيره من الآلهة والأوثان.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُـرِيَ إِبْرَاهِيـمَ مَلَكُـوتَ السّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: وكَذَلِكَ: وكما أريناه البصيرة في دينه والحقّ في خلاف ما كانوا عليه من الضلال, نريه ملكوت السموات والأرض, يعني ملكه وزيدت فيه التاء كما زيدت في «الجبروت» من الجـبر, وكمـا قيـل: رهبـوت خير من رحموت, بمعنى: رهبة خير من رحمة. وحكي عن العرب سماعا: له ملكوت اليمن والعراق, بمعنى: له ملك ذلك.

واختلف أهل التأويل فـي تأويـل قـوله: نُـرِي إبْرَاهِيـمَ مَلَكُـوتَ السّـمَوَاتِ والأَرْضِ فقال بعضهم: معنى ذلك: نريه خلـق السـموات والأرض. ذكـر مـن قال ذلك:

10552ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: حدثنا معاوية بن صالح, عن عليّ بـن أبـي طلحـة, عـن ابـن عبـاس, قـوله: نُـرِي إبْرَاهِيـمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأَرْضِ: أي خلق السموات والأرض.

10553ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة: وكَـذَلِكَ نُـرِي إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأَرْضِ: أي خلق السموات والأرض, وليكون من الموقنين.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وكَذَلِكَ نُرِي إبْرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ السّـمَوَاتِ والأَرْضِ يعنـي بملكوت السموات والأرض: خلق السموات والأرض.

وقال آخرون: معنى الملكوت: الملك بنحو التأويل الذي أوّلنـاه. ذكـر مـن قال ذلك:

10554ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عمر بن أبي زائدة, قال: سمعت عكرمة, وسأله رجل عن قوله: وَكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأَرْضِ قال: هو الملك, غير أنه بكلام النبَط «ملكوتَا».

10555ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي زائدة, عن عكرمة, قال: هي بالنبطية: «ملكوتا».

وقال آخرون: معنى ذلك: آيات السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

10556ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّـمَوَاتِ والأَرْضِ قـال: آيـات السـموات والأرض.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسـى, عـن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى ذكـره: وكَـذَلِكَ نُـرِى إبْرَاهِيـمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأَرْضِ قال: آيات.

10557ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأَرْضِ قـال: تفرّجت لإبراهيم السموات السبع. حتى العرش, فنظر فيهـن. وتفرّجـت لـه الأرضون السبع, فنظر فيهنّ.

10558ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط عن السديّ: وكَذَلِكَ نُـرِى مَلَكُـوتَ السّـمَوَاتِ والأَرْضِ وَلِيَكُـونَ

مِنَ المُوقِنِينَ قال: أقيم على صخرة, وفتحت له السموات, فنظر إلى مُلك الله فيها حتى نظر إلى مكانه في الجنة وفتحت له الأرضون حتى نظر إلى أسفل الأرض, فذلك قوله: وآتَيْناه أجْرَهُ فِي الدّنْيا يقول: آتيناه مكانه في الجنة. ويقال: أجره: الثناء الحسن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, قوله: وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش وفرّجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهن.

10559ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن سالم, عن سعيد بن جبير: وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: كشف له عن أديم السموات والأرض حتى نظر إليهنّ على صخرة, والصخرة على حوت, والحوت على خاتم ربّ العزّة لا إله إلاّ الله.

10560ـ حدثنا هناد وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن عاصم, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض, رأى عبدا على فاحشة, فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة, فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة, فدعا عليه فهلك, فقال: أنزلوا عبدى لا يهلك عبادي

10561ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن طلحة بن عمرو, عن عطاء, قال: لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السموات, أشرف فرأى عبدا يزنى, فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزنى, فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزنى, فدعا عليه, فنودي: على رَسْلك يا إبراهيم فإنك عبد مستجاب لك وإني من عبدى على ثلاث: إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه, وإما أن أخرج منه ذرّية طيبة, وإما أن يتمادى فيما هو فيه, فأنا من ورائه

10562ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ وحمد بن جعفر, وعبد الوهاب, عن عوف, عن أسامة: أن إبراهيم خليل الرحمن حدّث نفسه أنه أرحم الخلق, وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض, فأبصر أعمالهم فلما رآهم يعملون بالمعاصي, قال: اللهمّ دمّر عليهم فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك, اهبط فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويرجعوا

وقال آخرون: بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس. ذكر من قال ذلك:

10563ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن جويبر, عن الضحاك: وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: الشمس والقمر والنجوم.

10564ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفان, عن منصور, عن مجاهد: وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: الشمس والقمر.

10565ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأرْضِ يعني به: نريه الشمس والقمر والنجوم.

10566ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: خُبِىء إبراهيمُ عليه السلام من جبار من الجبابرة, فجُعل له

رزقه في أصابعه, فإذا مصّ أصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا. فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والأرض فكان ملكـوت السـموات: الشـمس والقمـر والنجوم, وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ذكـر لنـا أن نـبيّ اللـه إبراهيم عليه السلام فُرّ به من جبار مترف, فجعل في سَـرَب, وجعـل رزقـه في أطرافه, فجعل لا يمُصّ أصبعا من أصابعه إلاّ وجد فيها رزقـا فلمـا خـرج من ذلك السّرَب أراه الله ملكوت السموات, فـأراه شمسـا وقمـرا ونجومـا وسـحابا وخلقـا عظيمـا وأراه ملكـوت الأرض, فـأراه جبـالاً وبحـورا وأنهـارا وشجرا ومن كلّ الدواب, وخلقا عظيما.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب, قول من قـال: عنـى اللـه تعـالى بقـوله: وكَـذَلِكَ نُـرِى إبْرَاهِيـمَ مَلَكُـوتَ السّـمَوَاتِ والأرْضِ أنـه أراه ملـك السـموات والأرض, وذلـك مـا خلـق فيهمـا مـن الشـمس والقمـر والنجـوم والشجر والدوابّ وغير ذلك مـن عظيـم سـلطانه فيهمـا, وجلّـى لـه بـواطن الأمور وظواهرها لما ذكرنا قبل من معنـى الملكـوت فـي كلام العـرب فيمـا مضى قبل.

وأما قوله: وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ فإنه يعنـي: أنـه أراه ملكـوت السـموات والأرض ليكون ممن يتوحد بتوحيد الله, ويعلم حقية ما هداه لـه وبصـره إيـاه من معرفة وحدانيته وما عليه قومه من الضلالة من عبادتهم واتخـاذهم آلهـة دون الله تعالى.

وكان ابن عباس يقول في تأويل ذلك, ما:

10567ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قـال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ أنـه جلـى لـه الأمر سرّه وعلانيته, فلم يَخف عليه شـيء مـن أعمـال الخلائـق فلمـا جعـل يلعن أصحاب الذنوب, قال الله: إنك لا تستطيع هذا, فردّه الله كما كان قبل ذلك.

فتأويل ذلك على هذا التأويل: أريناه ملكـوت السـموات والأرض, ليكـون ممن يوقن علم كلّ شيء حسّا لا خبرا.

10568ـ حدثني العباس بن الوليد, قال: أخبرني أبي, قال: حدثنا أبو جابر, قال: وحدثنا الأوزاعي أيضا قال: ثني خالـد بـن اللجلاج, قـال: سـمعت عبـد الرحمن بن عياش يقول: صلى بنا رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ذات غداة, فقال له قائل: ما رأيت أسعد منـك الغـداة,قـال: «وَمـالي وَقَـدْ أتـانِي رَبي فِي أحْسَنِ صُورَةٍ, فقال: ففِيمَ يَخْتَصِـمُ الملأُ الأعْلَـى يـا مُحَمّـدُ؟ قُلْـتُ: أنْتَ أعْلَمُ فَوضَعَ يَدَهُ بينَ كَتِفَيّ, فَعَلِمْتُ ما فِـي السّـمَوَاتِ والأرْضِ». ثـم تلا هـذه الآيـة: وكَـذَلِكَ نُـرِي إبْرَاهِيـمَ مَلَكُـوتَ السّـمَوَاتِ والأَرْضِ وَلِيَكُـونَ مِـنَ المُوقِنِينَ.

الآية : 76

القول في تأويل قولهِ تعالى: {فَلَمّا جَنّ عَلَيْهِ الّلَيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبّي فَلَمّآ أَفَلَ قَالَ لآ أُحِبّ الآفِلِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فلما واراه الليل وجَنّهُ, يقال منه: جنّ عليه الليل, وجنّه الليل, وأجنّه, وَأجَنّ عليه, وإذا ألقيت «على» كان الكلام بالألف أفصـح منـه بغير الألف, «أجنه الليل» أفصـح مـن «أجـن عليـه», و «جـنّ عليـه الليـل» أفصح من «جنّه», وكل ذلك مقبول مسـموع مـن العـرب. وجَنّـه الليـل فـي

أسد وأجنّه وجنّه في تميم, والمصدر من جنّ عليه جَنّـا وجُنُونـا وجَنَانـا, ومـن أجنّ إجْنانا, ويقال: أتى فلان في جِنّ الليل, والجنّ من ذلك, لأنهـم اسـتَجنّوا عن أعين بني آدم فلا يُرَوْن وكلّ ما توارى عن أبصار الناس فإن العرب تقول فيه: قد جَنّ ومنه قول الهُذليّ:

وَماءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الكَرَىوَقَدْ جَنّهُ السّدَفُ الأدْهَمُ

وقال عَبِيد:

وَخَرْقٍ تَصِيحُ البومُ فِيهِ معَ الصّدَىمَخُوفٍ إذا ما جَنّهُ اللّيْلُ مَرْهُوبِ

ومنه: أجننت الميت: إذا واريته في اللحد, وجننته. وهو نظير جنون الليـل في معنى: غطيته. ومنه قيل للترس: مِجَنّ, لأنه يَجُنّ من استجنّ به فيغطيه ويواريه.

وقوله: رَأى كَوْكَبا يقول: أبصر كوكبا حين طلع قالَ هَذَا رَبـي. فـرُوي عـن ابن عباس في ذلك, ما:

10569ـ حدثني به المثنى, قال: حدثنا أبو صـالح, قـال: ثنـي معاويـة بـن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وكَـذَلِكَ نُـرِي إبْرَاهِيـمَ مَلَكُوتَ السّمَوَاتِ والأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ يعني به: الشـمس والقمـر والنجوم. فَلَمّا جَنّ عَلَيْهِ اللّيْلُ رَأى كَوْكَبا قالَ هَذَا رَبي فعبده حتى غاب, فلما غاب قال: لا أحبّ الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال: هـذا ربـي فعبـده حـتى غاب فلما غاب قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالّين. فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي, هذا أكبر فعبدها حتى غابت فلما غابت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون.

10570ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلَمّا جَنّ عَلَيْهِ اللّيْلُ رأى كَوْكَبا قالَ هَذَا رَبي فَلَمّا أفَلَ قالَ لا أُحِبّ الآفِلِينَ علم أن ربه دائم لا يزول فقرأ حتى بلغ: هَذَا رَبـي هَـذَا أكْبَـرُ رأى خلقـا هـو أكـبر مـن الخلقين الأوّلين وأنور.

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك, ما:

10571ـ حدثني به محمد بن حميد, قال: حدثنا سلمة بـن الفضـل, قـال: ثني محمد بن إسحاق, فيما ذكر لنا والله أعلـم: أن آزر كـان رجلاً مـن أهـل كُوثَى من قرية بالسواد سوادِ الكوفة, وكان إذ ذاك مُلْك المشرق لنمرود بن كنعان فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حُجّة على قـومه ورسـولاً إلـى عبـاده, ولم يكن فيمـا بيـن نـوح وإبراهيـم نـبيّ إلاّ هـود وصـالح فلمـا تقـارب زمـان إبراهيم الذي أراد الله ما أراد, أتى أصحابُ النجوم نمرود, فقـالوا لـه: تعلّـمْ أنا نجد في عِلْمنا أن غلاما يولـد فـي قريتـك هـذه يقـال لـه إبراهيـم, يفـارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكـذا مـن سـنة كـذا وكـذا. فلمـا دخلـت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود, بعث نمرود إلى كلّ امـرأة حبلـى بقريته, فحبسها عنده, إلاّ ما كان من أمّ إبراهيـم امـرأة آزر, فـإنه لـم يعلـم بحبلها, وذلك أنها كانت امرأة حَدَثَة فيما يُذْكَر لـم يعـرف الحبـل فـي بطنهـا. ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كلّ غلام ولد في ذلـك الشـهر مـن تلك السنة حذَرا على ملكه, فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة إلاّ أمر به فذُبح فلما وَجَدت أمّ إبراهيم الطّلْق, خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبا منها, فولـدت فيهـا إبراهيـم, وأصـلحت مـن شـأنه مـا يُصْـنَع مـع المولود, ثم سدّت عليه المغارة, ثم رجعت إلى بيتها. ثم كـانت تطـالعه فـي المغارة, فتنظر ما فعل, فتجده حيّا يمـصّ إبهـامه, يزعمـون واللـه أعلـم أن

الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصه. وكان آزر فيما يزعمون, سأل أمّ إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: ولدت غلاما فمات. فصدّقها, فسكت عنها. وكان اليوم فيما يذكرون على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة, فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلاّ خمسة عشر شهرا, حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر فأخرجته عِشاء, فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض, وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي, ما لي إله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكبا, قال: هذا ربي ثم أتبعه ينظر إليه ببصره, حتى غاب, فلما أفل: لا أحبّ الآفلين ثم طلع القمر فرآه بازغا, قال: هذا ربي ثم أتبعه بصره حتى غاب, فلما أفَلَ قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس, أعْظَمَ الشمس, ورأى شيئا هو أعظم نورا من كلّ شيء رآه قبل ذلك, فقال: هذا ربي, هذا أكبر فلما أفلت قال: يا قوم إني برىء مما تشركون, إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرىء من دين قومه, إلاّ أنه لم يبادئهم بذلك. وأخبر أنه ابنه, وأخبرته أمّ إبراهيم أنه ابنه, وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه, فسُرّ بذلك آزر وفرح فرحا شديدا. وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها, ثم يعطيها إبراهيمَ يبيعها, فيذهب بها إبراهيم فيما يذكرون, فيقول: من يشتري ما يضرّه ولا ينفعه؟ فلا يشتريها منه أحد, وإذا بارت عليه, وذهب بها إلى نهر فضرب فيه رءوسها, وقال: اشربي استهزاءً بقومه وما هم عليه من الضلالة حتى فشا عيبه إياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته, من غير أن يكون ذلك بلغ نُمرود الملك.

وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي رُوي عن ابن عباس, وعمن رُوِي عنه من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر: هذا ربي وقالوا: غير جائز أن يكون لله نبيّ ابتعثه بالرسالة أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ إلاّ وهو لله موحد وبه عارف ومن كلّ ما يعبد من دونه بريء. قالوا: ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة, لأنه لا معنى فيه إلاّ وفي غيره من أهل الكفر به مثله, وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة فيحابيه باختصاصه بالكرامة. قالوا: وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله في نفسه, فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة. وزعموا أن خبر الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس: «هذا ربي», لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربه وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه, وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام, إذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحْسَنَ وأبهجَ من الأصنام, ولم تكن مع ذلك معبودة, وكانت آفلة زائلة غير دائمة, والأصنام التي دونها في الحسن وأصغر منها في الجسم, أحقّ أن لا تكون معبودة ولا آلهة. قالوا: وإنما قال ذلك لهم معارضة, كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضا له في قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدّعي فساد الآخر. وقال آخرون منهم: بل ذلك كان منه في حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه, وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان. وقال آخرون منهم: وإنما معنى الكلام: أهذا ربي على وجه الإنكار والتوبيخ أي ليس هذا ربي.

وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك, فتحذف الألف التي تدلّ على معنى الاستفهام. وزعموا أن من ذلك قول الشاعر:
رفُونِي وقالُوا يا خُوَيلِدُ لا تُرَعْفقلتُ وأنكرْتُ الوُجُوهَ هُمُ هُمُ
يعني: «أهم هم»؟ قالوا: ومن ذلك قول أوس:
لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنْ كُنْتَ دَارِياشُعَيْثُ بنُ سَهْمٍ أمْ شُعَيْثُ ابنُ مِنْقَرِ
بمعنى: أشعيث بن سهم؟ فحذف الأولف. ونظائر ذلك. وأما تذكير «هذا» في قوله: فَلَمّا رأى الشمْسَ بازِغَةً قالَ هَذَا رَبي فإنما هو على معنى: هذا الشيء الطالع ربي.
وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبي لأَكُونَنّ مِنَ القَوْمِ الضّالّينَ الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم. وأن الصواب من القول في ذلك: الإقرار بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه والإعراض عما عداه.
وأما قوله فَلَمّا أفَلَ فإن معناه: فلما غاب وذهب. كما:
10572ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: قال ابن إسحاق: الأفول: الذهاب, يقال منه: أفَلَ النجم يأفُلُ ويأفِلُ أُفُولاً وأفْلاً: إذا غاب ومنه قول ذي الرّمة.
مصابيحُ لَيْسَتْ باللّوَاتِي يَقُودُهانُجُومٌ وَلا بالآفلاتِ الدّوَالِكِ
ويقال: أين أفلت عنا؟ بمعنى: أين غبت عنا.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّآ رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـَذَا رَبّي فَلَمّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لّمْ يَهْدِنِي رَبّي لأكُونَنّ مِنَ الْقَوْمِ الضّآلّينَ }..
يقول تعالى ذكره: فلما طلع القمر فرآه إبراهيم طالعا وهو بزوغه, يقال منه: بزغت الشمس تبزُغ بُزوغا إذا طلعت, وكذلك القمر. قالَ هَذَا رَبي فَلَمّا أفَلَ يقول: فلما غاب, قالَ إبراهيم: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبي ويوفقني لإصابة الحقّ في توحيده لأَكُونَنّ مِنَ القَوْمِ الضّالّينَ: أي من القوم الذين أخطئوا الحقّ في ذلك, فلم يصيبوا الهدى, وعبدوا غير الله. وقد بينا معنى الضلال في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى:
{فَلَمآ رَأَى الشّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـَذَا رَبّي هَـَذَآ أَكْبَرُ فَلَمّآ أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنّي بَرِيَءٌ مّمّا تُشْرِكُونَ }..
يعني تعالى ذكره (بقوله): فَلَمّا رأى الشّمْسَ بازِغَةً فلما رأى إبراهيم الشمس طالعة, قالَ هَذا الطالع رَبي هَذَا أكْبَرُ يعني: هذا أكبر من الكوكب والقمر, فحذف «ذلك» لدلالة الكلام عليه. فَلَمّا أفَلَتْ يقول: فلما غابت, قالَ إبراهيم لقومه: يا قَوْمَ إنّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ: أي من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلها مع الله تعالى.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّي وَجّهْتُ وَجْهِيَ لِلّذِي فَطَرَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }..
وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام, أنه لما تبين له الحقّ وعرفه, شهد شهادة الحقّ, وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل

الشرك بالله, ولم يأخذه في الله لومة لائم, ولم يستوحش من قيل الحقّ والثبات عليه, مع خلاف جميع قومه لقوله وإنكارهم إياه عليه, وقال لهم: يا قوم إني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم, إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السموات والأرض, الدائم الذي يبقى ولا يفنى ويحيي ويميت, لا إلى الذي يفنَى ولا يبقَى ويزول ولا يدوم ولا يضرّ ولا ينفع. ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته بإخلاص العبادة له والاستقامة في ذلك لربه على ما يجب من التوحيد, لا على الوجه الذي يوجه له وجهه م ن ليس بحنيف, ولكنه به مشرك, إذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه بل ضارّه ومهلكه. وَما أنا مِنَ المُشْرِكِينَ يقول: ولست منكم أي لست ممن يدين دينكم ويتبع ملتكم أيها المشركون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول.

10573ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول قوم إبراهيم لإبراهيم: تركت عبادة هذه؟ فقال: إنّي وَجّهْتُ وَجْهِيَ للّذِي فَطَرَ السّمَوَاتِ والأرْضَ فقالوا: ما جئت بشيء ونحن نعبده ونتوجهه, فقال: لاحَنِيفا قال: مخلصا, لا أشركه كما تشركون.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَحَآجّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجّوَنّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّ أَن يَشَآءَ رَبّي شَيْئاً وَسِعَ رَبّي كُلّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكّرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام وكان جدالهم إياه قولهم: إن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه. قالَ إبراهيم: أتُحاجّونِي فِي اللّهِ يقول: أتجادلونني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة, وَقَدْ هَدَانِ يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته, وبصّرني طريق الحقّ حتى ألِفْتُ أن لا شيء يستحقّ أن يُعْبد سواه. ولا أخَافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ يقول: ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئا ينالني في نفسي من سوء ومكروه وذَلك أنهم قالوا له: إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من بَرَص أو خَبْل, لذكرك إياها بسوء فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضرّ ولا مكروه, لأنها لا تنفع ولا تَضرّ إلاّ أنْ يَشاءَ رَبي شَيْئا يقول: ولكن خوفي من الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض, فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالني به, لأنه القادر على ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن جريج يقول.

10574ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حج اج, ع ن ابن جُرَيج: وَحاجّهُ قَوْمُهُ قال أتُحاجّونِي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ قال: دعا قومه مع الله آلهة, وخوّفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل, فقال إبراهيم: أتُحاجّونِي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ قال: قد عرفت ربي, لا أخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ.

وَسِعَ رَبي كُلّ شَيْءٍ عِلْما يقول: وعلم ربي كلّ شيء فلا يخفى عليه شيء, لأنه خالق كلّ شيء, وليس كالآلهة التي لا تضرّ ولا تنفع ولا تفهم شيئا, وإنما هي خشبة منحوتة وصورة ممثّلة. أفَلا تَتَذَكّرُونَ يقول: أفلا تعتبرون أيها الجهلة فتعقلوا خطأ م ا أنتم عليه مقيمون م ن عبادتكم صورة مصوّرة

وخشبة منحوتة, لا تقدر على ضرّ ولا على نفع ولا تفقه شيئا ولا تعقله, وترككم عبادة من خلقكم وخلق كلّ شيء, وبيده الخير وله القدرة على كلّ شيء والعالم لكلّ شيء.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأيّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقّ بِالأمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }..

وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوّفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه, فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضرّ ولا ينفع ولو كانت تنفع أو تضرّ لدفعت عن أنفسها كسرى إياها وضربى لها بالفأس, وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضرّكم في إشراككم في عبادتكم إياه ما لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطانا يعني: ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة, ولم يضع لكم عليه برهانا, ولم يجعل لكم به عذرا. فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأَمْنِ يقول: أنا أحقّ بالأمن من عاقبة عبادتي ربي مخلصا له العبادة حنيفا له ديني بريئا من عبادة الأوثان والأصنام, أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانا ولا حجة؟ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتجّ به عليكم, فقولوا وأخبروني أيّ الفريقين أحقّ بالأمن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك, كان محمد بن إسحاق يقول فيما:

10575ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة, قال: قال محمد بن إسحاق, في قوله: وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أنّكُمْ أشْرَكْتُمْ باللّهِ يقول: كيف أخاف وثنا تعبدون من دون الله لا يضرّ ولا ينفع, ولا تخافون أنتم الذي يضرّ وينفع, وقد جعلتم معه شركاء لا تضرّ ولا تنفع. فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ: أي بالأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة الذي يعبد, الذي بيده الضرّ والنفع؟ أم الذي يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع؟ يضرب لهم الأمثال, ويصرّف لهم العبر, ليعلموا أن الله هو أحقّ أن يُخاف ويعبد مما يعبدون من دونه.

10576ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, قال: أفلج الله إبراهيم عليه السلام حين خاصمهم, فقال: وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافونَ أنّكمْ أشْرَكْتُمْ باللّهِ ما لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطانا فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. ثم قال: وَتِلْكَ حُجّتُنا آتَيْناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ.

10577ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة مالك قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قول إبراهيم حين سألهم: أيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأمْنِ هي حجة إبراهيم عليه السلام.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله تعالى عن إبراهيم حين سألهم: فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأمْنِ قال: وهي حجة إبراهيم عليه السلام.

10578ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أمن يعبد ربا واحدا, أم من يعبد أربابا كثيرة؟ يقول قومه: الذين آمنوا بربّ واحد.

10579ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أمن خاف غير الله ولم يخفه؟ أم من خاف الله ولم يخف غيره؟ فقال الله تعالى: الّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... الآية.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مّهْتَدُونَ }..

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول, أعني: الّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... الآية. فقال بعضهم: هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله, إذ قال لهم إبراهيم: وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أنّكُمْ أشْرَكْتُمْ باللّهِ ما لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطانا فَأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَق بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ فقال الله تعالى فاصلاً بينه وبينهم: الذين صدّقوا الله, وأخلصوا له العبادة, ولم يَخْلِطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم, يعني: بشرك, ولم يشركوا في عبادته شيئا, ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا أحقّ بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام, فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سُخْط الله بهم, وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله. ذكر من قال ذلك:

10580ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: يقول الله تعالى ذكره: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: أي الذين أخلصوا كإخلاص إبراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده. ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظُلْمٍ أي بشرك, أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ الأمن من العذاب والهدى في الحجة بالمعرفة والاستقامة يقول الله تعالى: وَتِلْكَ حُجّتُنا آتَيْناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إنّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

10581ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا بن وهب, قال: قال بن زيد, في قوله: فأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَق بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قال: فقال الله وقضى بينهم: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك, قال: أولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وهم مُهْتَدُونَ فأما الذنوب فليس يبرئ منها أحد.

وقال آخرون: هذا جواب من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم حين قال لهم: أيّ الفريقين أحقّ بالأمن؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحدوه أحقّ بالأمن إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم. ذكر من قال ذلك:

10582ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فأيّ الفَرِيقَيْنِ أحَقّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أمن يعبد ربا واحدا أم من يعبد أربابا كثيرة؟ يقول قومه: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بعبادة الأوثان, وهي حجة إبراهيم أولَئِكَ لَهُمُ الأمْنَ وَهُمْ مُهْتَدُونَ.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب, قول من قال: هذا خبر من الله تعالى عن أول الفريقين بالأمن, وفصل قضاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه, وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله, لكانوا قد أقرّوا بالتوحيد

واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد, ولكنه كما ذكرت من تأويله بدءا.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله تعالى بقوله: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ فقال بعضهم: بشرك. ذكر من قال ذلك:

10583ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تَرَوْنَ إلى قَوْلِ لُقْمَانَ: إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟». قال أبو كريب, قال ابن إدريس: حدثنيه أولاً أبي عن أبان بن تغلب عن الأعمش, ثم سمعته قيل له: من الأعمش؟ قال: نعم.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال: ثني عمي يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, عن عبد الله, قال: لما نزلت: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شقّ ذلك على المسلمين, فقالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَيْسَ بِذَلِكَ, ألا تَسْمَعُونَ إلى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ: إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟».

حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, عن عبد الله, قال: لما نزلت هذه الآية: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ كَمَا تَظُنّونَ, وإنّمَا هُوَ كَمَا قالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: لا تُشْرِكْ باللّهِ إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, عن عبد الله, قال: لما نزلت هذه الآية: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شقّ ذلك على الناس, فقالوا يا رسول الله, وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: «إنّهُ لَيْسَ كَمَا تَعْنُونَ, أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قالَ العَبْدُ الصّالِحُ: يا بُنَيّ لا تُشْرِكْ باللّهِ إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟ إنما هُوَ الشّرْك».

10584ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, في قوله: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

10585ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل, عن منصور, عن إبراهيم, في قوله: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, عن عبد الله, قال: لما نزلت هذه الآية: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ بِذَلِكَ, ألَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ: إنّ الشّرْكَ لِظُلْمٌ عَظِيمٌ؟».

10586ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وابن إدريس, عن الشيباني, عن أبي بكر بن أبي موسى, عن الأسود بن هلال, عن أبي بكر الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

حدثنا هناد, قال: حدثنا قبيصة, عن يونس بن أبي إسحاق, عن أبي بكـر: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.
10587ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن سعيد بن عبيد الطائي, عن أبي الأشعر العبدي, عن أبيه, أن زيد بن صُوْحان سأل سلمان, فقال: يا أبـا عبـد الله آية من كتاب الله قـد بلغـت منـي كـلّ مبلـغ: الّـذِينَ آمَنُـوا ولَـمْ يَلْبِسُـوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ؟ فقال سلمان: هو الشرك بالله تعالى. فقال زيد: مـا يسـرني بها أنى لم أسمعها منك وأن لي مثل كل شيء أمسيت أملكه.
10588ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سـعيد بـن عبيـد, عـن أبـي الأشعر, عن أبيه, عن سلمان, قال: بشرك.
10589ـ حدثنا ابن بشار وابن وكيع, قالا: حدثنا عبد الرحمـن بـن مهـدي, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا نُسير بن ذُعْلوق, عـن درسـب, عـن حذيفـة, في قوله: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن أبـي إسحاق الكوفيّ, عن رجل, عن عيسى, عن حذيفة, في قـوله: وَلَـمْ يَلْبِسُـوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.
10590ـ حدّثني المثنى, قال: حدثنا عارم أبو النعمان, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير وغيـره, أن ابـن عبـاس كـان يقول: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ يقول: بكفر.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال ثني أبي, عن أبيه, عن بن عباس: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ يقول: لم يلبسـوا إيمانهم, وقال إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.
10591ـ حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي, قال: ثني أبـي, بـن قـال: حـدثنا جرير بن حازم, عن عليّ بن زيد, عن المسيب: أن عمـر بـن الخطـاب قـرأ: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ فلما قرأها فزع, فأتى أبـيّ بـن كعـب, فقال: يا أبا المنذر قرأت من آية من كتاب الله من يَسـلم؟ فقـال: مـا هـي؟ فقرأ عليه فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: عفر الله لك, أما سـمعت اللـه تعـالى يقوله: إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟ إنما هو: ولم يلبسوا إيمانهم بشرك.
10592ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن حماد بن سلمة, عن عليّ بن زيد بن جدعان, يوسف بـن مهـران, عـن ابـن عبـاس: أن عمـر دخل منزله, فقرأ في المصحف فمـرّ بهـذه الآيـة: الّـذِينَ آمَنُـوا ولَـمْ يَلْبِسُـوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ فأتى أبيّا فأخبره, فقال: يا أمير المؤمنين إنما هو الشرك.
10593ـ حدّثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن عليّ بن زيد, عن يوسف بن مهران عـن مهـران: أن عمـر بـن الخطـاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه, فدخل ذات يـوم فقـرأ, فـأتى علـى هذه الآية: الّـذِينَ آمَنُـوا ولَـمْ يَلْبِسُـوا إيمَـانَهُمْ بِظُلْـمٍ أُلَئِـكَ لَهُـمُ الأمْـنُ وَهُـمْ مُهْتَدُونَ فاشتغل وأخذ رداءه, ثم أتى أبيّ بن كعب, فقال: يـا أبـا المنـذر فتلا هذه الآية: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ وقد تـرى أنـا نظلـم ونفعـل ونفعل؟ فقال: يا أمير المؤمنين, إن هذا ليس بـذاك, يقـول اللـه تعـالى: إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ إنما ذلك الشرك.

10594ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا بن فضيل, عن مطرف, عن أبـي عثمـان عمرو بن سالم, قال: قرأ عمـر بـن الخطـاب هـذه الآيـة: الّـذِينَ آمَنُـوا ولَـمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ فقال عمر: قد أفلح من لم يَلْبـس إيمـانه بظلـم فقـال أبيّ: يا أمير المؤمنين: ذاك الشرك.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أسباط, عن محمد بن مطرف, عن بن سالم, قال: عمر بن الخطاب فذكره نحوه.

10595ـ حدثنا محمد بن بشـار, قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن, قـال: حـدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عـن أبـي ميسـرة, فـي قـوله: آمَنُـوا ولَـمْ يَلْبِسُـوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عـن أبـي ميسرة, مثله.

10596ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسين, عن علـيّ, عـن زائـدة, عـن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

10597ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سـعيد, عن قتادة, قوله: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: أي بشرك.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد, عن أبيه, عن أبـي إسـحاق, عـن أبـي ميسرة, مثله.

10598ـ حدثني محمد بن عمـرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عـن مجاهـد: الّـذِينَ آمَنُـوا ولَـمْ يَلْبِسُـوا إيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بعبادة الأوثان.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10599ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

10600ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: قـال ابن زيد في قوله: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: بشرك.

حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عـن الأعمش, أن بن مسعود قال لما نزلت: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ كـبر ذلـك على المسلمين, فقالوا: يا رسول الله, ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه فقـال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمـا سَـمِعْتُمْ قَـوْلَ لُقْمَـان: إنّ الشّـرْكَ لَظُلْـمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا حكام, عـن عنبسـة, عن محمـد بـن عبـد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, في قوله: ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: عبادة الأوثان.

10601ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن مسعر, عن أبي حصين, عن أبي عبد الرحمن, قال: بشرك.

10602ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال بن إسـحاق: ولَـمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال بشرك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم. وذلك فِعْلُ ما نهى الله عن فعله أو ترك ما أمر الله بفعله وقالوا: الآيـة علـى العموم, لأن الله لم يخصّ به معنى من معاني الظلـم. قـالوا: فـإن قـال لنـا قائل: أفلا أمن في الآخرة إلا لمن لم يعص اللـه فـي صـغيرة ولا كـبيرة, وإلا

لمن لقى الله ولا ذنب له؟ قلنا: إن الله عنى بهذه الآية خاصا من خلقه دون الجميع منهم والذي عنى بها وأراده بها خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم, فأما غيره فإنه إذا لقي الله لا يشرك به شيئا فهو في مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التي لا تبلغ أن تكون كفرا, فإن شاء لم يؤمنه من عذابه, وإن شاء تفضل عليه فعفا عنه. قالوا: وذلك قول جماعة من السلف وإن كانوا مختلفين في المعنى بالآية, فقال بعضهم: عنى بها إبراهيم. وقال بعضهم: عنى بها المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال: عَنَى بهذه الآية: إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم:

10603ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن, عن قيس بن الربيع, عن زياد بن علاقة, عن زياد بن حرملة, عن عليّ, قال: هذه الآية لإبراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة, ليس لهذه الأمة منها شيء.

وذكر من قال: عُنِيَ بها المهاجرون خاصة:

10604ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن, عن قيس بن الربيع, عن سماك, عن عكرمة: الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قال: هي لمن هاجر إلى المدينة.

وأولى القولين بالصحة في ذلك, ما صح في ذلك, ما صحّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: «الظّلْمُ الّذِي ذَكَرَهُ اللّهُ تَعَالى فِي هَذَا المَوْضِعِ هُوَ الشّرْكُ».

وأما قوله: أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ فإنه يعني: هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك, لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله, وَهُمْ مُهْتَدُونَ يقول: وهم المصيبون سبيل الرشاد والسالكون طريق النجاة.

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجّتُنَآ آتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَىَ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مّن نّشَآءُ إِنّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: وَتِلْكَ حُجّتُنا قوله إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين: أيّ الفريقين أحقّ بالأمن, أمن يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: بل من يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: بل من يعبد ربا واحدا أحقّ بالأمن وقضاؤهم له على أنفسهم, فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم واستعلاء حجة إبراهيم عليهم, فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه كالذي:

10605ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان الثوريّ, عن رجل, عن مجاهد: وَتِلْكَ حُجّتُنا آتَيْناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ قال: هي الّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ.

10606ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: قال إبراهيم حين سأل: أي الفريقين أحقّ بالأمن؟ قال: هي حجة إبراهيم. وقوله: وآتَيْنَاها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِه يقول: لقناها إبراهيم وبصرناه إياها وعرفناه على قومه. نَرْفَعُ درجاتٍ مِنَ نَشَاءُ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة: نَرْفَعُ درجاتٍ مِنَ نَشَاءُ بإضافة الدرجات إلى من, بمعنى: نرفع الدرجات لمن

نشاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة نَرْفَعُ درجاتٍ مِنَ نَشَاءُ بتنوين «الدرجات», بمعنى نرفع من نشاء درجات. والدرجات: جمع درجة وهي المرتبة, وأصل ذلك مراقي السلم ودرجه, ثم تستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء متقارب معناهما وذلك أن من رُفِعت درجته فقد رُفع في الدّرجَ. ومن رُفع في الدرج فقد رُفِعت درجته, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك فمعنى الكلام إذن: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه فرفعنا بها درجته عليهم وشرّفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا فآتيناه فيها أجره, وأما في الآخرة فهو من الصالحين, نَرْفَعُ درجاتٍ مِنَ نَشَاءُ أي بما فعل من ذلك وغيره.

وأما قوله: إنّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ فإنه يعني: إن ربك يا محمد حكيم في سياسته خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذّبة لهم الجاحدة توحيد ربهم, وفي غير ذلك من تدبيره, عليم بما يئول إليه أمر رسله, والمرسل إليهم من ثَبات الأمم على تكذيبهم إياهم وهلاكهم على ذلك وإنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع إلى طاعته, يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: تأسّ يا محمد في نفسك وقومك المكذبيك والمشركين بأبيك خليلي إبراهيم صلى الله عليه وسلم, واصبر على ما ينوبك منهم صبره, فإني بالذي يئول إليه أمرك وأمرهم عالم التدبير فيك وفيهم حكيم.

الآية : 84

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرّيّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىَ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته إيانا وإخلاصه توحيد ربه, ومفارقته فين قومه المشركين بالله, بأن رفعنا درجته في عليين, وآتيناه أجره في الدنيا ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوّة, وذريّة شرّفناهم منا بالكرامة وفضلناهم على العالمين, منهم ابنه إسحاق, وابن ابنه يعقوب. كُلاّ هَدَيْنَا يقول: هدينا جميعهم لسبيل الرشاد, فوفقناهم للحقّ والصواب من الأديان. وَنُوحا هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ يقوله: وهدينا لمثل الذي هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحقّ والصواب فوفقناه له, نوحا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وَمِنْ ذُرّيّتِهِ دَاوُدَ والهاء التي في قوله: وَمِنْ ذُرّيّتِهِ من ذكر نوح, وذلك أن الله تعالى ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطا, فقال: وإسْمَاعِيلَ واليَسَعَ وَيُونُس وَلُوطا وَكُلاّ فَضّلْنا على العالَمِينَ ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم أجمعين. فإذا كان ذلك, وكان معطوفا على أسماء من سمينا من ذرّيته, كان لا شكّ أنه لو أريد بالذرية ذرّية إبراهيم لما دخل يونس ولوط فيهم, ولا شكّ أن لوطا ليس من ذرّية إبراهيم ولكنه من ذرّية نوح, فلذلك وجب أن تكون الهاء في «الذرّية» من ذكر نوح.

فتأويا الكلام: ونوحا وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب, وهدينا أيضا من ذرّية نوح داود وسليمان. وداود: هو داود بن إيشا. وسليمان هو ابنه سليمان بن داود وأيوب هو أيوب بن موص بن روح بن

عيص بن إسحاق بن إبراهيم. ويوسف: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وموسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. وهارون: أخو موسى. وكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ يقول تعالى ذكره: جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحقّ الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه, وهدينا من ذرّيته مِنْ بعده مَن ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له. وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا, كذلك نجزي بالإحسان كلَّ محسن.

الآية : 85

القول في تأويل قوله تعالى: {وَزَكَرِيّا وَيَحْيَىَ وَعِيسَىَ وَإِلْيَاسَ كُلّ مّنَ الصّالِحِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضا لمثل الذي هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذرّيته زكريا بن أزن ابن بركيا ويحيى بن زكريا, وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا, وإلياس.

واختلفوا في إلياس, فكان ابن إسحاق يقول: هو إلياس بن يسى بن فنخاص بن العيزار بن هارون ابن عمران ابن أخي موسى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. وكان غيره يقول: هو إدريس وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود.

10607ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عبيدة بن ربيعة, عن عبد الله بن مسعود, قال: إدريس: هو إلياس, وإسرائيل: هو يعقوب.

وأما أهل الأنساب فآنهم يقولون: إدريس جدّ نوح بن لمْك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ: هو إدريس بن يرد بن مهلائيل. وكذلك رُوِي عن وهب بن منبه.

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب, وذلك أن الله تعالى نسب إليه في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذرّيته ونوح: ابن إدريس عند أهل العلم, فمحال أن يكون جدّ أبيه منسوبا إلى أنه من ذريته.

وقوله: كُلّ مِنَ الصّالِحِينَ يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين, يعني: زكريا, ويحيى, وعيسى, وإلياس صلى الله عليهم.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاّ فَضّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضا من ذرّية نوح إسماعيل, وهو إسماعيل بن إبراهيم والليسع: هو اليسع بن أخطوب بن العجوز.

واختلف القرّاء في قراءة اسمه, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: واليَسَعَ بلام واحدة مخففة. وقد زعم قوم أنه «يفعل», من قول القائل: وَسِعَ يَسَعُ, ولا تكاد العرب تُدخِلُ الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة, أعني: على «يَفْعل», لا يقولون: رأيت اليزيد, ولا أتاني التجيب, ولا مررت باليشكر, إلا في ضرورة شعر, وذلك أيضا إذا تُحُرّي به المدح, كما قال بعضهم:

وَجَدْنا الوَلِيدَ بْنَ اليَزِيدَ مُبارَكاشَدِيدا بأعْباءِ الخِلاَفَةِ كاهِلُهْ

فأدخل في «اليزيد» الألف واللام, وذلك لإدخاله إياهما في الوليد, فـأتبعه اليزيد بمثل لفظه.

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفيين: واللّيْسَعَ بلامين وبالتشديد, وقالوا: إذا قرىء كذلك كان أشبه بأسماء العجم. وأنكروا التخفيف وقالوا: لا نعرف في كلام العرب اسما على «يفعل» فيه ألف ولام.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة, لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد, مع أنه اسم أعجميّ فينطق به على ما هو به. وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على «يفعل», وأما الاسم الذي يكون أعجميّا فإنما ينطق به على ما سموا به, فإن غُيِر منه شيء إذا تكلمت العرب فإنما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان, واللّيسع إذا شدّد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد. وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال: اسمه «ليسع», فيكون مشدّدا عند دخول الألف واللام اللتين تدخلان للتعريف ويُونُسَ هو يونس بن متى ولُوطا وكلاًّ فَضّلْنا من ذرية نوح ونوحا, لهم بيّنا الحقّ ووفقناهم له. وفضلنا جميعهم عَلى العَالَمِينَ يعني: على عالم أزمانهم.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرّيّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }..

يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرّياتهم وإخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم للحقّ والدين الخالص الذي لا شرك فيه, فوفقناهم له. وَاجْتَبَيْنَاهُمْ يقول: واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه, كالذي اخترنا ممن سمينا يقال منه: اجتبى فلان لنفسه كذا: إذا اختاره واصطفاه يجتبيه اجتباء. وكان مجاهد يقول في ذلك, ما:

10608ـ حدثني به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله الله تعالى ذكره: وَاجْتَبَيْنَاهُمْ قال: أخلصناهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن بن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وَهَدَيْنَاهُمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوّج, وذلك دين الله الذي لا عوج فيه, وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربنا لأنبيائه, وأمر به عباده.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: ذَلِكَ هُدَى اللّهِ هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ, الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة, هو هدى الله, يقول: هو توفيق الله ولطفه, الذي يوفق به من يشاء ويلطف به لمن أحبّ من خلقه, حتى يُنِيب إلى طاعة الله وإخلاص العمل له وإقراره بالتوحيد ورفض الأوثان والأصنام. وَلَوْ أشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: ولو أشرك

هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكـره, فعبـدوا معـه غيـره, لَحَبِـطَ عَنْهُمْ يقول: لبطل, فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعلمون, لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً.

الآية : 89

القول في تأويـل قـوله تعـالى: {أُوْلَـئِكَ الّـذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحُكْـمَ وَالنّبُوّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلآءِ فَقَدْ وَكّلْنَا بِهَا قَوْماً لّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: أُولَئِكَ هؤلاء الذين سميناهم من أنبيـائه ورسـله نوحا وذرّيته الذين هداهم لدين الإسلام واختـارهم لرسـالته إلـى خلقـه, هـم الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يعني بذلك صحف إبراهيم وموسى وزَبور داود وإنجيـل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين. والحُكْمَ يعني: الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام. ورُوي عن مجاهد في ذلك ما:

10609ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا أبـان, قال: حدثنا مالك بن شدّاد, عن مجاهد: والحُكْـمَ والنّبُـوّةَ قـال: الحكـم: هـو اللبّ.

وعنى بذلك مجاهد إن شاء الله ما قلت لأن اللبّ هو العقل, فكأنه أراد: أن الله آتاهم العقل بالكتاب, وهو بمعنى ما قلنا أنه الفهـم بـه. وقـد بينـا معنـى النبوّة والحكم فيما مضى بشواهدهما, فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: فإنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكّلْنا بِهَا قَوْما لَيْسُوا بِهَا بكافِرِينَ.

يقول تعالى ذكره: فإن يكفر يا محمد بآيات كتابي الذي أنزلته إليك, فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم, كالذي:

10610ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: فإنْ يَكْفُـرْ بِهـا هَـؤُلاءِ يقـول: إن يكفروا بالقرآن.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بهؤلاء, فقال بعضـهم: عُنـي بهـم كفـار قريش, وعنى بقوله: فَقَدْ وَكّلْنَا بها قَوْما لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ الأنصار. ذكر من قال ذلك:

10611ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا سليمان, قال: حدثنا أبو هلال, عن قتادة, في قوله الله تعالى: فإنْ يَكْفُرْ بهَـا هَـؤلاءِ قـال: أهـل مكـة, فقـد وكلنا بها أهل المدينة.

10612ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عـن جويـبر, عـن الضحاك: فَقَدْ وَكّلْنا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بكافِرِينَ قال: الأنصار.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بـن مغـراء, عن جويبر, عن الضحاك: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ قـال: إن يكفـر بهـا أهـل مكـة, فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ليسوا بها بكافرين.

10613ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَـؤلاءِ يقـول: إن يكفـر بهـا قريـش فقد وكلنا بها الأنصار.

10614ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ أهل مكة فَقَدْ وَكّلْنا بِها قَوْمـا لَيْسُـوا بِهَـا بِكـافِرِينَ أهل المدينة.

10615ـ حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَـؤلاءِ فَقَـدْ وَكّلْنَـا بِهـا قَوْما لَيْسُوا بها بِكافِرِينَ قال: كان أهل المدينة قد تبوّؤا الـدار والإيمـان قبـل أن يقدم عليهم رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم, فلمـا أنـزل اللـه عليهـم الآيات جحد بها أهل مكة, فقال الله تعالى: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ فَقَدْ وَكّلْنَا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ. قال عطية: ولم أسمع هذا مـن ابـن عبـاس, ولكـن سمعته من غيره.

10616ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ يعن أهل مكة. يقـول: إن يكفروا بالقرآن فَقَدْ وَكّلْنَا بها قَوْمـا لَيْسُـوا بِهـا بِكَـافِرِينَ يعنـي أهـل المدينـة والأنصار.

وقال آخرون: معنى ذلك: فإن يكفر بها أهل مكة, فقد وكلنا بها الملائكـة. ذكر من قال ذلك:

10617ـ حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عوف, عن أبي رجاء: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ فَقَدْ وَكّلْنَا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ قال: هم الملائكة.

حدثنا بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وابن أبي عديّ, وعبد الوهاب, عن عوف, عن أبي رجاء, مثله.

وقال آخرون: عني بقوله: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ يعني قريشا, وبقوله: فَقَـدْ وَكّلْنَا بِها قَوْما الأنبياء الذين سماهم في الآيات التي مضـت قبـل هـذه الآيـة. ذكر من قال ذلك:

10618ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ يعني أهـل مكـة, فَقَـدْ وَكّلْنَـا بِهـا قَوْمـا لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قـال اللـه: أولَئِـكَ الّـذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عـن معمـر, عـن قتادة: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ قال: يعني: قوم محمد, ثـم قـال: فَقَـدْ وَكّلْنَـا بِهـا قَوْما لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ يعني: النبيين الذين قصّ قبل هذه الآية قصصهم, ثم قال: أولَئِكَ الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ.

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب, قول من قـال: عنـى بقـوله: فإنْ يَكْفُرْ بهَا هَؤلاءِ كفار قريش, فَقَدْ وَكّلْنَا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بِكَافِرِينَ يعنـي به: الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هـذه الآية. وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهـم مضـى وفـي الـتي بعـدها عنهـم ذكر, فما بينهما بأن يكون خبرا عنهـم أوْلَـى وأحـقّ مـن أن يكـون خـبرا عـن غيرهم.

فتأويل الكلام إذا كان ذلك كذلك: فإن يكفر قومك مـن قريـش يـا محمـد بآياتنا, وكذّبوا وجحدوا حقيقتها, فقد ساتحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ولا يكذّبون بها, ولكنهم يصدّقون بها ويؤمنون بصحتها. وقد قـال بعضـم: معنـى قـوله: فَقَـدْ وَكّلْنَـا بِهـا قَوْمـا: رزقناها قوما.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرَىَ لِلْعَالَمِينَ }..

يقول تعالى ذكره: أُولَئِكَ: هـؤلاء القـوم الـذين وكلنـا بآياتنـا وليسـوا بها بكافرين, هم الذين هداهم الله لـدينه الحـقّ, وحفـظ مـا وكلـوا بحفظـه مـن آيات كتابه والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من أمر اللـه والانتهاء عما فيه من نهيه, فـوقهم جـلّ ثنـاؤه لـذلك. فَبِهُـدَاهُمُ اقْتَـدِهْ يقـول تعالى ذكره: فبالعمـل الـذي عملـوا والمنهـاج الـذي سـلكوا وبالهـدى الـذي هـديناهم والتوفيـق الـذي وفقنـاهم, اقتـده يـا محمـد: أي فاعمـل وخـذ بـه واسكله, فإنه عملٌ للّه فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى.

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله: فَقَدْ وَكَّلْنَـا بِهـا قَوْمـا لَيْسُـوا بِهـا بِكَافِرِينَ أنهـم الأنبيـاء المسَـمّوْنَ فـي الآيـات المتقدمـة, وهـو القـول الـذي اخترناه في تأويل ذلك. وأما على تأويل من تأوّل ذلك أن القوم الذين وكلـوا بها هم أهل المدينة, أو أنهم هم الملائكة, فإنهم جعلوا قـوله: فـإنْ يَكْفُـرْ بِهـا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْما لَيْسُوا بهَا بِكافِرِينَ اعتراضا بين الكلامـين, ثـم ردّوا قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ على قوله: أُولَئِكَ الّـذِينَ آتَيْنـاهُمُ الكِتَابَ والحُكْمَ والنّبُوةَ. ذكر من قال ذلك:

10619ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحاق وَيَعْقُوبَ... إلى قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ هَدَى اللّـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ يا محمد.

10620ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: قـال بـن زيـد, فـي قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ هَدَى اللّهُ يا محمد, فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ولا تقتد بهؤلاء.

10621ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: ثني أحمـد بـن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: ثم رجع إلى النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقال: أُولَئِكَ الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ.

10622ـ حدثنا عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد اللـه بـن صـالح, قـال: ثنـي معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: ثم قـال فـي الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية: فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ.

ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل: اتباع أثـره والأخـذ بهـديه, يقـال: فلان يقدو فلانا إذا نحا نحوه واتبع أثره, قِدَةً وقُدْوَةً وقِدْوَة وقِدْية.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ لا أسـألُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـرا إنْ هُـوَ إلاّ ذِكْـرَى لِلْعَالمِينَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى اللـه عليـه وسـلم: قـل لهـؤلاء الـذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي أن تَبسل نفس بما كسبت من مشـكري قومـك يـا محمد: لا أسألكم على تذكيري إيـاكم والهـدى الـذي أدعـوكم إليـه والقـرآن الذي جئتكم به, عوضا أعتاضه منكم عليه وأجرا آخذه منكم, ومـا ذلـك منـي إلا تذكير لكم ولكلّ من كان مثلكم ممن هو مقيم علـى باطـل بـأس اللـه أن يحلّ بكم وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركـم, وإنـذار لجميعكـم بين يدي عذاب شديد, لتذكروا وتنزجوا.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا قَـدَرُواْ اللّـهَ حَـقّ قَـدْرِهِ إِذْ قَـالُواْ مَـآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَىَ بَشَرٍ مّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىَ نُـوراً وَهُدًى لّلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلّمْتُمْ مّا لَمْ تَعْلَمُـوَاْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ومَا قَدَروا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ وما أجلوا الله حقّ إجلاله, ولا عظموه حقّ تعظيمه. إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ يقـول: حيـن قالوا: لم ينزل الله على آدمي كتابا ولا حيا.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ وفي تأويل ذلك فقال بعضهم: كـان قائـل ذلـك رجلاً مـن اليهـود. ثـم اختلفوا في اسم ذلك الرجل, فقال بعضهم: كان اسـمه مالـك بـن الصـيف. وقال بعضهم: كان اسمه فَنْحاص. واختلفوا أيضا في السبب الذي مـن أجلـه قال ذلك. ذكر من قال: كان قائل ذلك مالك بن الصيف:

10623ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفـر بـن أبـي المغيرة, عن سيعد بن جبير, قال: جاء رجل مـن اليهـود يقـال لـه مالـك بـن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم, فقال له النبي صـلى اللـه عليـه وسلم: «أنْشُدكَ بالذِي أنْزَلَ التوْرَاةَ على مُوسَـى, أمـا تَجِـد فِـي التـوْرَاةِ أنّ اللّهَ يُبْغِضُ الحَبْر السّمِينَ؟» وكان حبرا سمينا, فغضب فقال: والله ما أنــزل الله على بشر من شيء فقال لـه أصـحابه الـذين معـه: ويحـك ولا موسـى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله: ومَا قَدَروا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُـلْ مَـنْ أنْـزَلَ الكِتَـابَ الّـذِي جاءَ بِهِ مُوسَى... الآية.

10624ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, عن عكرمة, قوله: ومَا قَدَروا اللّهَ حَـقّ قَـدْرِهِ إذْ قَـالُوا مـا أنْـزَلَ اللّـه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قال: نزلت في مالك بن الصـيف كـان مـن قريظـة مـن أحبار اليهود قُلْ يا مُحَمّدُ مَنْ أنْزَلَ الكِتابِ الّذِي جاءَ بِـهِ مُوسَـى نُـورا وَهُـدًى للنّاسِ... الآية.

ذكر من قال: نزلت في فنحاص اليهودي:

10625ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ومَا قَدَروا اللّهَ حَقّ قَـدْرِهِ إذْ قَـالُوا مـا أنْـزَلَ اللّـه علـى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قال: قال فنحاص اليهـودي: مـا أنـزل اللـه علـى محمـد مـن شيء.

وقال آخرون: بل عنى بذلك جماعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى. ذكر من قال ذلك:

10626ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا يونس, قال: حدثنا أبو معشر المدني, عن محمد بن كعب القرظي, قال: جاء ناس من يهود إلى النبي صلى اللـه عليـه وسلم وهو مُحْتَبٍ, فقالوا: يا أبا القاسم, ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جـاء به موسى ألواحاً يحملها من عند اللـه فـأنزل اللـه: يَسـألُكَ أهْـلُ الكِتـابِ أن تُنَزّلَ عَلَيْهِمْ كِتابا مِنَ السّماءِ فَقَدْ سألُوا مُوسَى أكْبَرَ مِنَ ذَلِكَ فَقالُوا أرِنا اللّهَ جَهْرَةً... الآية, فجثا رجل من يهود, فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنزل الله: ومَا قَدَروا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ قــال محمد بن كعب: ما علموا كيف الله إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتَابَ الّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورا فحـلّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم حبوته, وجعل يقول: «ولا عَلَى أحَدٍ».

10627ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة: ومَا قَدَروا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَــيْءٍ... إلى قوله: فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ هم اليهود والنصـارى, قـوم آتـاهم اللـه علمـا

فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعلموا به, فذمهم الله في عملهم ذلك, ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: إنّ من أكثر ما أنا مخاصم به غدا أن يقال: يا أبا الدرداء قد علمت, فماذا علمت فيما علمت؟.

10628ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: ومَا قَدَروا اللّـهَ حَـقّ قَـدْرِهِ إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ اللّه على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ يعني: من بني إسرائيل. قالت اليهود: يا محمد أنزّل الله عليك كتابا؟ قال: «نعم» قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا. فأنزل الله: قُلْ يا محمد مَنْ أنْزَلَ الكِتَابَ الّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورا وَهُدًى الناس... إلى قوله: وَلا آباؤكُمْ قال: الله أنزله.

وقال آخرون: هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مشركي قريش أنهم قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء. ذكر من قال ذلك:

10629ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهدا يقول: وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللّهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قالها مشركو قريش, قال: وقوله: قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورا وهُدًى للنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَها وتُخْفُونَ كَثِيرا قال: هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا. قال: وقوله: وَعُلّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤكُمْ قال: هذه للمسلمين.

10630ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَما قَدَرُوا اللّـهُ حَـقّ قَـدْرِهِ قال: هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم, فمن آمن أن الله على كلّ شيء قدير فقد قدر الله حقّ قدره, ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حقّ قدره.

10631ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ومَا قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ يقول: مشركو قريش.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: عني بقوله: وما قَدَرُوا الله حَقّ قَدْرِهِ مشركو قريش. وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أوّلاً, فأن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلاً, مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئا من الكتب وليس ذلك مما تدين به اليهود, بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود. وإذا لم يكن بما روي من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبر صحيح متصل السند, ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع, وكان الخبر من أوّل السورة ومبتدئَها إلى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان, وكان قوله: وَما قَدَرُوا حَقّ اللّـهَ قَدْرِهِ موصولاً بذلك غير مفصول منه, لم يجز لنا أن ندّعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلاّ بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولكني أظنّ أن الذين تأوّلوا ذلك خبرا عن اليهود, وجدوا قوله: «قُلْ مَنْ الكتابَ الّذِي بِهِ مُوسَى نُورا وَهُدًى للنّاس يَجْعَلُونَهُ قَرَاطيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرا وعُلّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤكُمْ» فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة, فقرءوه على وجه الخطاب لهم: تجعلونه قراطِيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم, إذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل,

لما وصفت قبل من أن قوله: وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان, وهو به متصل, فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم.

والأصوب من القراءة في قوله: «يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرا» أن يكون بالياء لا بالتاء, على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا, ويكن الخطاب بقوله: قُلْ منْ أنزلَ الكتابَ لمشركي قريش. وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك, وكذلك كان يقرأ.

10632ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن أيوب, عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف: «يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرا».

القول في تأويل قوله تعالى: «قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورا وَهُدًى للنّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرا».

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ يا محمد لمشركي قومك القائلين لك: ما أنزل على بشر من شيء, قل مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا يعني: جلاء وضياء من ظلمة الضلالة وَهُدًى للنّاسِ يقول: بيانا للناس, يبين لهم له الحقّ من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم, يجعلونه قراطيس يبدونها. فمن قرأ ذلك: تَجْعَلُونَهُ جعله خطابا لليهود على ما بيّنت من تأويل من تأوّل ذلك كذلك, ومن قرأه بالياء: «يَجْعَلُونَهُ» فتأويله في قراءته: يجعله أهله قراطيس, وجرى الكلام في «يبدونها» بذكر القراطيس, والمراد منه: المكتوب في القراطيس, يراد يبدون كثيرا مما يكتبون في القراطيس, فيظهرونه للناس ويخفون كثيرا مما يثبتونه في القراطيس فيسرّونه ويكتمونه الناس. ومما كانوا يكتمونه إياهم ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته. كالذي:

10633ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرا»: اليهود.

10634ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة: قُلْ يا محمد «مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الّذِي بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى للنّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدونَها» يعني يهود لما أظهروا من التوراة. ويُخْفُونَ كَثِيرا مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهدا يقول: «يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونها ويُخْفُونَ كَثِيرا» قال: هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا.

القول في تأويل قوله تعالى: وَعُلّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ ولا آباؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ.

يقول تعالى ذكره: وعلّمكم الله جلّ ثناؤه الكتاب الذي أنزله إليكم ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ومن أنباء من بعدكم وما هو كائن في معادكم يوم القيامة, وَلا آباؤُكُمْ يقول: ولم يُعلمْه آباؤكم أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله صلى الله عليه وسلم. كالذي:

10635ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن أيوب, عن مجاهد: وَعُلّمْتُمْ معشر العرب ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ.

10636ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهدا يقول في قوله: وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ قال: هذه للمسلمين.

وأما قوله: قُلِ اللَّهُ فإنه أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى للنّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونها ويُخْفُونَ كَثِيرا» بقيله: الله, كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرّعا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ فأمره باستفهام المشركين عن ذلك, كما أمره باستفهامهم إذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ على بَشَر مِنْ شَيْء عمن أنزل الكتاب الذي به موسى نُورا وهدى للناس. ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: قُلِ اللَّهُ يُنَجّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلّ كَرْب ثُمّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: الله أنزله على موسى. كما:

10637ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى للنّاسِ قال: الله أنزله.

ولو قيل: معناه: «قل هو الله» على وجه الأمر من الله له بالخبر عن ذلك لا على وجه الجواب إذ لم يكن قوله: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم, فيكون قوله: قُلِ اللَّهُ جوابا لهم عن مسألتهم, فإنما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم: من أنزل الكتاب, فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذي قاله ابن عباس من تأويله كان جائزا من أجل أنه استفهام, ولا يكون للاستفهام جواب وهو الذي اخترنا من القول في ذلك لما بينا.

وأما قوله: ثُمّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام بعد احتجاجك عليهم في قيلهم ما أَنْزَلَ اللَّهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بقولك مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورا وَهُدًى للنّاسِ وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله الله الذي أنزل عليك كتابه في خَوْضِهِمْ يعني: فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته, يقول: يستهزءون ويسخرون. وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جلّ ثناؤه: ثم دعهم لاعبين يا محمد, فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد وأذيقهم بأسي, وأحلّ بهم إن تمادوا في غيّهم سخطي.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مّصَدّقُ الّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمّ الْقُرَىَ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىَ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وَهَذَا القرآن يا محمد كِتابٌ وهو اسم من أسماء القرآن قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. ومعناه: مكتوب, فوضع الكتاب مكان المكتوب. أنْزَلْناهُ يقول: أوحيناه إليك, مُبارَكٌ وهو مفاعل من البركة, مُصَدّقُ الَّذِي بينَ يَدَيْهِ يقول: صدّق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه قبلك, لم يخالفها ولا بنبأ, وهو معنى «نورا وهدى للناس», يقول: هو الذي أنزل إليك يا محمد هذا الكتاب مباركا

مصدّقا كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله, ولكنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عنه, إذ كان قد تقدّم الخبر عن ذلك ما يدلّ على أنه به متصل, فقال: وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك, ومعناه: وكذلك أنزلت إليك كتابي هذا مباركا, كالذي أنزلت من التوراة إلى موسى هدى ونورا.

وأما قوله: وَلِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا فإنه يقول: أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب مصدّقا ما قبله من الكتب, ولتنذر به عذاب الله وبأسه من في أمّ القرى وهي مكة ومن حولها شرقا وغربا من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد, والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10638ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا يعني بأمّ القرى: مكة ومن حولها من القرى إلى المشرق والمغرب.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وأمّ القرى: مكة, ومَنْ حَوْلَها: الأرض كلها.

10639ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: وَلِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى قال: هي مكة. وبه عن معمر, عن قتادة, قال: بلغني أن الأرض دُحِيت من مكة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى وَمَن حَوْلَهَا كنا نحدّث أن أمّ القرى: مكة, وكنا نحدّث أن منها دُحيت الأرض.

10640ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلِتُنْذِرَ أُم القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا أما أمّ القرى: فهي مكة وإنما سميت أمّ القرى, لأنها أول بيت وضع بها. وقد بينا فيما مضى العلة التي من أجلها سميت مكة أمّ القرى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: والّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ على صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ.

يقول تعالى ذكره: ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة إلى الله ويصدق بالثواب والعقاب, فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ويصدّق به ويقرّ بأن الله أنزله, ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمره الله بإقامتها لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه, وإنما يجحد به وبما فيه ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود لقيام الساعة, لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثوابا, ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَىَ إِذِ الظّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُوَاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوَاْ أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ }..

يعني جلّ ذكره بقوله: وَمَنْ أظْلَمُ مِمّنْ افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا: ومن أخطأُ قولاً وأجهلُ فعلاً ممن افترى على الله كذبا, يعني: ممن اختلق على الله كذبا, فادّعى عليه أنه بعثه نبيا وأرسله نذيرا, وهو في دعواه مبطل وفي قيله كاذب. وهذا تسفيه من الله لمشركي العرب وتجهيل منه لهم في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح والحنفي مُسَيْلِمة لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أحدهما النبوّة ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم, ونفي منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

10641ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة, قوله: وَمَنْ أظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا أوْ قالَ أُوحِيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ قال: نزلت في مسيلمة أخي بني عديّ بن حنيفة فيما كان يسجّع ويتكهن به. وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ الله نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح, أخي بني عامر بن لؤي, كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم, وكان فيما يُملِي «عزيز حكيم», فيكتب «غفور رحيم», فيغيره, ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل, فيقول: «نَعَمْ سواء» فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم: لقد كان ينزل عليه «عزيز حكيم», فأحوّله ثم أقول لما أكتب, فيقول نعم سواء ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة, إذ نزل النبيّ صلى الله عليه وسلم بمَرّ.

وقال بعضهم: بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصة. ذكر من قال ذلك:

10642ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَمَنْ أظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا أوْ قالَ أُوحِيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ... إلى قوله: تُجْزَوْنَ عذَابَ الهُونِ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم, وكان يكتب للنبيّ صلى الله عليه وسلم, فكان إذا أملى عليه «سميعا عليما», كتب هو: «عليما حكيما» وإذا قال: «عليما حكيما» كتب: «سميعا عليما». فشكّ وكفر, وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحيَ إليّ, وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله, قال محمد: «سميعا عليما», فقلت أنا: «عليما حكيما». فلحق بالمشركين, ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرميّ أو لبني عبد الدار, فأخذوهم فعذّبوا حتى كفروا. وجُدع أذن عمار يومئذ, فانطلق عمار إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأخبره بما لقي والذي أعطاهم من الكفر, فأبى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يتولاه, فأنزل الله في شأن ابن أبي سَرح وعمار وأصحابه: مَنْ كَفَرَ باللّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاّ مَنْ أكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بالإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا فالذي أكره عمار وأصحابه, والذي شرح بالكفر صدرا فهو ابن أبي سرح.

وقال آخرون: بل القائل: أُوحِيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ مسيلمة الكذّاب. ذكر من قال ذلك:

10643ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أوْ قالَ أُوحِيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللّهُ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة. ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيْتُ فِيما يَرَى النّائمُ كأنّ فِي يَدِي سِوَارَيْنِ مِنْ

ذَهَبٍ, فكَبُرَا عَلـيّ وأهمّـانِي, فَـأُوحِيَ إلـيّ أنِ انْفُخْهُما, فنَفَخْتُهُمـا فَطـارَا, فَأوّلْتُهُما فِي مَنـامي الكَـذّابَيْنِ اللّـذَيْنِ أنـا بَيْنَهُمـا: كَـذّابُ اليَمامَـةِ مُسَـيْلِمَةُ, وكذّابُ صَنْعاءَ العَنْسِيّ» وكان يقال له الأسود.

10644ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: أُوحِيَ إليّ وَلم يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ قال: نزلت في مسيلمة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, وزاد فيه: وأخبرني الزهري أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنا أنا نائمٌ رأيْتُ فِي يَدِي سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ, فَكَبُـرَ ذلـكَ عَلـيّ, فَـأُوحِيَ إلـيّ أنِ انْفُخْهُمـا, فَنَفَخْتُهُمـا فَطـارَا, فَـأوّلْت ذَلـكَ كَـذّابَ اليَمامَـةِ, وكَـذّابَ صَـنْعاءَ العَنسِيّ».

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب, أن يقال: إن الله قال: وَمَنْ أظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى على الله كَذِبا أوْ قالَ أُوحِيَ إليّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ ولا تَمَانُعَ بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كـان ممـن قـال: إنـي قـد قلـت مثـل مـا قـال محمد, وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين. فكان لا شكّ بذلك من قيلـه مفتريا كذبا. وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسيّ الكذّابين ادّعيا على الله كذبا أنه بعثهما نبيين, وقال كلّ واحد منهما: إن الله أوحي إليه وهو كاذب في قيله.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىَ كَمَـا خَلَقْنَـاكُمْ أَوّلَ مَـرّةٍ وَتَرَكْتُـمْ مّـا خَوّلْنَـاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىَ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ لَقَد تّقَطّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلّ عَنكُم مّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العـادلين بـه الآلهة والأنداد, يخبر عباده أنـه يقـول لهـم عنـد ورودهـم عليـه:لقـد جئتمونـا فرادى ويعني بقوله: فرادى»: وحـداناً لا مـال معهـم ولا أثـاث ولا رفيـق ولا شيء مما كان الله خوّلهم في الدنيا. كمَا خَلَقْناكُمْ أوّل مَرّة عُراة غُلْفاً غُـرْلاً حفاة كما ولدتهم أمهاتهم, وكمـا خلقهـم جـلّ ثنـاؤه فـي بطـون أمهـاتهم, لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهون به في الدنيا. وفـرادى: جم ع, يقـال لواحدها: فرد, كما قال نابغة بني ذُبيان:

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيَ أكَارِعُهُطاوِي المَصِيرِ كسَيْفِ الصّيْقَل الفَرَدِ

وفَرَد وفَرِيد, كما يقال: وَحَد ووَحِد ووَحِيد في واحد «الأوحاد», وقد يجمـع الفَرْد الفُراد, كما يجمع الوَحْد الوُحَاد, ومنه قول الشاعر:

ترَى النّعَراتِ الزّرْقِ فوقَ لبانهفُرادَ وَمَثْنَى أصْعَقَتْها صَوَاهِلُهْ

وكان يونس الجرميّ فيما ذكر عنه يقول: فراد: جمع فرد, كما قيل: توءم وتؤام للجيمع, ومنه الفرادى والرّدَافى والغوانى. ويقال: رجل فـرد, وامـرأة فَرْد, إذا لم يكن لها أخ, وقد فَرَدَ الرجل فهو يَفْرُد فُروداً, يراد به تفـرد, فهـو فارد.

10645ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, قـال: أخبرني عمرو أن ابن أبي هلال حدثه أنه سمع القرطبي يقول: قرأت عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قول الله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرَادَى كمَا خَلَقْناكُمْ أوّل مَـرّةٍ فقـالت: واسـوأتاه, إن الرجـال والنسـاء يحشـرون جميعـاً ينظـر بعضهم إلى سوأة بعض فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لِكُـلّ

امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ, لا يَنْظُرُ الرّجالُ إلـى النّسـاءِ ولا النّسـاءُ إلـى الرّجالِ, شُغِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ».

وأما قوله: وَتَرَكْتُمْ ما خَوّلْناكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فإنه يقول: خَلّفتم أيها القوم ما مكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم في الدنيا, فلم تحملوه معكم. وهذا تعيير من الله جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم الـتي كـانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم, وكلّ ما مَلّكته غيـرَك وأعطيتـه فقـد خـوّلته, يقال منه: خال الرجل يخال أشدّ الخيال بكسر الخاء, وهو خائل, ومنـه قـول أبي النجم:

أعْطَى فلمْ يَبْخَلْ وَلمْ يُبَخّلِكُومَ الذّرَا مِنْ خَوَلِ المُخَوّلِ

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بين زهير:

هنالكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخْوِلُواوَإنْ يُسألُوا يُعْطُوا وَإنْ يَيْسِرُوا يُغلُوا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

10646ـحدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسـباط, عـن السـديّ: وَتَرَكْتُـمْ مـا خَوّلْنـاكُمْ مـن المـال والخـدم وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: وَما نَرَى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الّذِينَ زَعَمْتُمْ أنّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة: ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم في الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكـم عنـد ربكـم يـوم القيامة. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بـن الحـرث لقيلـه: إن اللات والعُزّى يشفعان له عند الله يوم القيامة. وقيل: إن ذلك كان قول كافة عبدة الأوثان. ذكر من قال ذلك.

10647ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما قوله: وَما نَرَى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الّذِينَ زَعَمْتُمْ أنّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ فإن المشركين كانوا يزعمـون أنهـم كـانوا يعبـدون الآلهـة لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله وأن هذه الآلهة شركاء لله.

10648ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة, قال: قال النضر بن الحـرث: سوف تشفع لي اللات والعزّى فنزلت هذه الآية: وَلَقَـدْ جِئْتُمُونـا فُـرَادَى كمَـا خَلَقْناكُمْ أوّلَ مَرّةٍ... إلى قوله: شُرَكاءَ.

القول في تأويـل قـوله تعـالى: لَقَـدْ تَقَطّـعَ بَيْنَكُـمْ وَضَـلّ عَنْكُـمْ مـا كُنْتُـمْ تَزْعُمُونَ.

يقول تعالى مخبراً عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد: لَقَـدْ تَقَطّعَ بَيْنَكُمْ يعني: تواصلَهم الذي كان بينهم في الدنيا, ذهب ذلـك اليـوم, فلا تواصل بينهم ولا توادّ ولا تناصر, وقد كانوا في الـدنيا يتواصـلون ويتناصـرون فاضمحلّ ذلك كله في الآخرة, فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

10649ـ حدثني محمـدبن عمـرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لَقَدْ تَقَطّعَ بَيْنَكُمْ البين: تواصلهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو خذيفة, قال: حدثنا شبل, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد: لَقَدْ تَقَطّعَ بَيْنَكُمْ قال: تواصلَهم في الدنيا.

10650ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ قال: وصْلكم.
وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ قال: ما كان بينكم من الوصل.
10651ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ يعني: الأرحام والمنازل.
10652ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لَقَدْ تَقَطّعَ بَيْنَكُمْ يقول: تقطع ما بينكم.
10653ـ حدثنا أبو كريب, قال: قال أبو بكر بن عياش: لَقَدْ تَقَطّعَ بَيْنَكُمْ: التواصل في الدنيا.
واختلفت القرّاء في قوله: بَيْنَكُمْ. فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة نصباً بمعنى: لقد تقطع ما بينكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء مكة والعراقيين: «لَقَدْ تَقَطّعَ بَيْنُكُمْ» رفعاً, بمعنى: لقد تقطع وصلكم.
والصواب من القول عندي في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب, وذلك أن العرب قد تنصب «بين» في موضع الاسم, ذكر سماعاً منها: إيابى نحوك ودُونَك وسواءَك, نصباً في موضع الرفع, وقد ذكر عنها سماعاً الرفع في «بين» إذا كان الفعل لها وجُعلت اسماً وينشد بيت مهلهل:
كأنّ رِماحَهُمْ أشْطانُ بِئْرٍبعييدٍ بينُ جالَيْها جَرُورِ برفع «بين» إذْ كانت اسماً. غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة وفي حال كونها اسماً.
وأما قوله: وَضَلّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فإنه يقول: وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم, وأنه لكم شفيع عند ربكم, فلا يشفع لكم اليوم.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى:
{إِنّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبّ وَالنّوَىَ يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيّتِ مِنَ الْحَيّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنّىَ تُؤْفَكُونَ }
وهذا تنبيه من الله جلّ ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجته عليهم, وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه. يقول تعالى ذكره: إن الذي له العبادة أيها الناس دون كلّ ما تعبدون من الآلهة والأوثان, هو الله الذي فلق الحبّ, يعني: شقّ الحبّ من كلّ ما ينبت من النبات, فأخرج منه الزرع والنوى من كلّ ما يغرس مما له نواة, فأخرج منه الشجر. والحبّ جمع حبة, والنوى: جمع النواة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
10654ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنّوَى أما فالق الحبّ والنوى: ففالق الحبّ عن السنبلة, وفالق النواة عن النخلة.
10655ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فالِقُ الحَبّ والنّوَى قال: يفلق الحبّ والنوى عن النبات.

10656ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابـن زيـد, فـي قوله: فالِقُ الحَبّ والنّوَى قال: الله فالق ذلك, فلقه فأنبت منه ما أنبت فلق النواة فأخرج منها نبات نخلة, وفلق الحبة فأخرج نبات الذي خلق.
وقال آخرون: معنى «فالق» خالق. ذكر من قال ذلك.
10657ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قـوله: إنّ اللّـهَ فـالِقُ الحَـبّ والنّـوَى قـال: خـالق الحـبّ والنوى.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, مثله.
10658ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنّوَى قال: خـالق الحبّ والنوى.
وقال آخرون: معنى ذلك أنه فلق الشقّ الذي في الحبة والنواة. ذكـر مـن قال ذلك.
10659ـ حدثني محمد بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي جريج, عن مجاهد, في قول الله: فـالِقُ الحَـبّ والنّـوَى قال: الشقان اللذان فيهما.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
10660ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا معلى بن أسد, قال: حدثنا خالد, عن حصين, عن أبي مالك, فـي قـول اللـه: إنّ اللّـهَ فـالِقُ الحَـبّ والنّـوَى قـال: الشقّ الذي يكون في النواة وفي الحنطة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكـام, عـن عنبسـة, عـن محمـد بـن عبـد الرحمن بن أبي ليلى, عن القاسم ابن أبـي بـزّة, عـن مجاهـد: فـالِقُ الحَـبّ وَالنّوَى قال: الشقان اللذان فيهما.
10661ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: ثنـي عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فالِقُ الحَبّ والنّوَى يقول: خالق الحبّ والنوى, يعني: كل حبة.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ما قدمنا القول به, وذلـك أن اللـه جلّ ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراجه الحيّ من الميت والميـت مـن الحـيّ, فكان معلوماً بذلك أنه إنما عنـى بإخبـاره عـن نفسـه أنـه فـالق الحـبّ عـن النبات والنوى عـن الغـروس والأشـجار, كمـا هـو مخـرج الحـيّ مـن الميـت والميت من الحيّ. وأما القول الذي حُكي عن الضحاك في معنـى فـالق أنـه خالق, فقولٌ إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه إيـاه, لا أعرف له وجهاً, لأنه لا يُعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى: خلق.
القول في تأويل قوله تعالى: يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ ومُخْـرِجُ المَيّـتِ مِـنَ الحَيّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأنّى تُؤْفَكُونَ.
يقول تعالى ذكره: يخرج السنبل الحيّ من الحبّ الميـت, ومخـرج الحـبّ الميت من السنبل الحيّ, والشجر الحيّ مـن النـوى الميـت, والنـوى الميـت من الشجر الحيّ. والشجر ما دام قائماً على أصوله لم يجـفّ والنبـات علـى ساقه لم يبس, فإن العرب تسميه حيّا, فإذا يبس وجفّ أو قطـع مـن أصـله سموه ميتاً.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

10662ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما: يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة, ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية, ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة, ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية.

10663ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن السديّ, عن أبي مالك: يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ ومُخْرِجُ المَيّتِ مِنَ الحَيّ قال: النخلة من النواة والنواة من النخلة, والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة.

وقال آخرون بما:

10664ـ حدثني به المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ ابن أبي طلحة, عن ابن عباس: قوله: إنّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنّوَى يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ ومُخْرِجُ المَيّتِ مِنَ الحَيّ قال: يخرج النطفة الميتة من الحيّ, ثم يخرج من النطفة بشراً حيّا.

وإنما اخترنا التأويل الذي اخترنا في ذلك, لأنه عقيب قوله: إنّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنّوَى على أن قوله: يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ ومُخْرِجُ المَيّتِ مِنَ الحَيّ وإن كان خبراً من الله عن إخراجه من الحبّ السنبل ومن السنبل الحبّ, فإنه داخل في عمومه ما رُوي عن ابن عباس في تأويل ذلك وكلّ ميت أخرجه الله من جسم حيّ, وكلّ حيّ أخرجه الله من جسم ميت.

وأما قوله: ذَلِكُمُ اللّهُ فإنه يقول: فاعل ذلك كله الله جلّ جلاله. فَأنّى تُؤْفَكُونَ يقول: فأيّ وجوه الصدّ عن الحقّ أيها الجاهلون تصدّون عن الصواب وتُصرفون, أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحبّ والنوى, فأخرج لكم من يابس الحبّ والنوى زروعاً وحروثاً وثماراً تتغذون ببعضه وتفكهون ببعضه, شريك في عبادته ما لا يضرّ ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر؟

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى:

{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }.

يعني بقوله: فالِقُ الإصْباحِ شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده. والإصباح: مصدر من قول القائل: أصبحنا إصباحاً.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال عامة أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

10665ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: فالِقُ الإصْباحِ قال: إضاءة الصبح.

10666ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فالِقُ الإصْباحِ قال: إضاءة الفجر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن بن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10667ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فالِقُ الإصْباحِ قال: فالق الصبح.

10668ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, في قوله: فالِقُ الإصْباحِ يعني بالإصباح: ضوء الشمس باالنهار, وضوء القمر بالليل.

10669ـ حدثنا ابن حميد, قال: حـدثنا حكـام, قـال: حـدثنا عنبسـة, عـن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى, عن القاسم ابن أبي بـزّة, عـن مجاهـد: فالِقُ الإصْباحِ قال: فالق الصبح.

حدثنا به ابن حميد مرّة بهذا الإسناد, عن مجاهد, فقال في قوله: فالِقُ الإصْباحِ قال: إضاءة الصبح.

10670ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا بن وهب, قـال: قـال بـن زيـد, فـي قوله: فالِقُ الإصْباحِ قال: فلق الإصباح عن الليل.

10671ـ حدثت عن الحسين بن الفرج, قـال: سـمعت أبـا معـاذ, يقـول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فالِقُ الإصْباحِ يقول: خالق النور, نور النهار.

وقال آخرون: معنى ذلك: خالق الليل والنهار. ذكر من قال ذلك:

10672ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس في قوله: «فالقُ الإصباحِ وجاعلُ الليلِ سكَنا» يقول: خلق الليل والنهار, وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ في قـوله: فالِقُ الإصْباحِ بفتح الألف كأنه تأوّل ذلك بمعنى جمع صبح, كأنه أراد صبح كلّ يوم, فجعله أصباحاً ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك. والقراءة الـتي لا نستجيز غيرها بكسر الألف فالِقُ الإصْباحِ لإجماع الحجـة مـن القـراءة وأهـل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه.

وأما قوله: «وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً» فإن القرّاء اختلفـت فـي قراءتـه, فقـرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة وبعض البصريين: «وَجاعِلُ اللّيْـلِ» بـالألف. على لفظ الاسـم ورفعـه عطفـاً علـى «فـالق», وخفـض «الليـلِ» بإضـافة «جاعل» إليه, ونصب «الشمسَ» و «القمر» عطفاً علـى موضـع «الليـل» لأن «الليل» وإن كان مخفوضـاً فـي اللفـظ فـإنه فـي موضـع النصـب, لأنـه مفعـول «جاعـل», وحَسُـن عطـف ذلـك علـى معنـى الليـل لا علـى لفظـه, لدخول قوله: سَكَناً بينه وبين الليل قال الشاعر:

قُعُوداً لَدَى الأبْوَابِ طُلاّبَ حاجَةٍعَوَانٍ مِنَ الحاجاتِ أوْ حاجَةً بِكْرَا

فنصب الحاجة الثانية عطفاً بها علَى معنى الحاجة الأولى, لا علـى لفظهـا لأن معناها النصب وإن كانت في اللفظ خفضـاً. وقـد يجيـء مثـل هـذا أيضـاً معطوفاً بالثاني على معنى الـذي قبلـه لا علـى لفظـه, وإن لـم يكـن بينهمـا حائل, كما قال بعضهم:

فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أتانَامُعَلّقَ شَكْوَةٍ وزِنادَ رَاعِ

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً والشّمْسَ على «فَعَلَ» بمعنى الفعل الماضي ونصب «الليل». والصواب من القول في ذلـك عنـدنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار, متفقتا المعنى غيـر مختلفتيه, فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصـيب فـي الإعـراب والمعنـى. وأخـبر جلّ ثناؤه أنه جعل الليل سكناً, لأنه يسكن فيه كلّ متحرك بالنهار ويهدأ فيـه, فيستقرّ في مسكنه ومأواه.

القول في تأويل قوله تعالى: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك, فقـال بعضـهم: معنـى ذلـك: وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب. ذكر من قال ذلك:

10673ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن بن عباس: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً يعني: عدد الأيام والشهور والسنين.
10674ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه عن بن عباس: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً قال: يجريان إلى أجل جُعِل لهما.
10675ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً يقول: بحساب.
10676ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, في قوله: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً قال: الشمس والقمر في حساب, فإذا خلت أيامهما فذاك آخر الدهر وأوّل الفزع الأكبر ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ.
10677ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً قال: يدوران في حساب.
10678ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن بن جريج, عن مجاهد: والشّمْسُ والقَمَرُ حُسْباناً قال: هو مثل قوله: كُلّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ, ومثل قوله: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً.
وقال آخرون: معنى ذلك: وجعل الشمس والقمر ضياء. ذكر من قال ذلك:
10679ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً أي ضياء.
وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب تأويل من تأوّله: وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد لبلوغ أمرها ونهاية آجالهما, ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها.
وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لأن الله تعالى ذِكره ذكر قبله أياديه عند خلقه وعظم سلطانه, بفلقه الإصباح لهم وإخراج النبات والغراس من الحبّ والنوى, وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البرّ والبحر, فكان وصفه إجراء الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما لأنه قد وصف ذلك قبلُ قوله: فالِقُ الإصْباحِ فلا معنى لتكريره مرّة أخرى في آية واحدة لغير معنى. والحسبان في كلام العرب: جمع حساب, كما الشبهان جمع شهاب وقد قيل: إن الحسبان في هذا الموضع مصدر من قول القائل: حَسَبْتُ الحِساب أحْسُبه حِساباً وحُسْباناً. وحُكي عن العرب على الله حُسْبان فلان وحِسْبَته: أي حسابه. وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء, ذهب إلى شيء يرْوَى عن ابن عباس في قوله: أوْ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السّماءِ قال: ناراً, فوجه تأويل قوله: والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً إلى ذلك التأويل. وليس هذا من ذلك المعنى في شيء. وأما «الحِسْبان» بكسر الحاء: فإنه جمع الحِسبانة: وهي الوسادة الصغيرة, وليست من الأوليين أيضاً في شيء, يقال: حَسِبته: أجلسته عليها, ونصب قوله: حُسْباناً بقوله: وَجَعَلَ. وكان بعض البصريين يقول: معناه: و والشّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً أي بحساب, فحذف الباء كما حذفها من قوله: هُوَ أعْلَمُ مَنْ يَضِلّ عَنْ سَبِيلِهِ: أي أعلم بمن يضلّ عن سبيله.
القول في تأويل قوله تعالى: ذلك تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ.

يقول تعالى ذكره: وهذا الفعل الذي وصفه أنه فعله, وهو فَلْقُه الإصباح وَجَعْلُه الليل سكَناً والشمس والقمر حُسباناً, تقدير الذي عزّ سلطانه, فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام من الامتناع منه, العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم لا تقدير الأصنام والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيئاً ولا تعلقه ولا تضرّ ولا تنفع, وإن أريدت بسوء لم تقدر على الامتناع منه ممن أرادها به. يقول جلّ ثناؤه: وأخلِصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الأشياء, ولا تشركوا في عبادته شيئاً غيره.

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البرّ والبحر إذا ضللتم الطريق, أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة, فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه, وتنجون بها من ظلمات ذلك, كما قال جلّ ثناؤه: وَعَلاماتٍ وَبالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ: أي من ضلال الطريق في البرّ والبحر, وعنى بالظلمات: ظلمة الليل, وظلمة الخطأ والضلال, وظلمة الأرض أو الماء. وقوله: قَدْ فَصّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يقول قد ميزنا الأدلة وفرّقنا الحجج فيكم وبيناها أيها لناس ليتدبّرها أولو العلم بالله منكم ويفهمها أولو الحجاج منكم, فينيبوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون, وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون, ولا يتمادوا عناداً لله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10680ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَهُوَ الّذِي جَعَلَ لَكُمْ النّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ قال: يضلّ الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَهُوَ الّذِيَ أنشَأكُم مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وإلهكم أيها العادلون بالله غيره الّذي أنْشأكُمْ يعني: الذي ابتدأ خلقكم من غير شيء فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ يعني: من آدم عليه السلام كما:
10681ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السّديّ: مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قال: آدم عليه السلام.
10682ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهُوَ الّذِي أنْشأكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ من آدم عليه السلام.
وأما قوله: مُسْتَقَرّ ومُسْتَوْدَعٌ فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون فقال بعضهم: معنى ذلك: وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة, فمنكم مستقرّ في الرحم ومنكم مستودع في القبر, حتى يبعثه الله لنشر القيامة. ذكر من قال ذلك:

10683ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إسماعيل بـن أبـي خالد, عن إبراهيم, عن عبد الله: يَعْلَمُ مُسْتَقَرّها ومُسْتَوْدَعَها قال: مسـتقرّها في الأرحام, ومستودعها حيث تموت.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن إسماعيل, عن إبراهيم, عن عبد الله أنه قال: المستودع حيث تموت, والمستقرّ: ما في الرحم.
حدثت عن عبيد الله بن موسى, عن إسرائيل, عن السّديّ, عن مرّة, عن عبد الله بن مسعود, قال: المستقرّ الرحم, والمستودع: المكان الذي تموت فيه.
10684ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا محمـد بـن فضـيل وعليّ بن هاشم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عـن إبراهيـم: يَعْلَـمُ مُسْـتَقَرّها ومُسْتَوْدَعَها قال: مستقرّها في الأرحام, ومستودعها في الأرض حيث تموت فيها.
10685ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا بن إدريس, عن ليـث, عن مِقْسِم, قال: مستقرّها في الصلب حيث تـأوي إليـه, ومسـتودعها حيـث تموت.
وقال آخرون: المستودع: ما كان في أصلاب الآباء, والمستقرّ: ما كان في بطون النساء وبطون الأرض أو على ظهورها. ذكر من قال ذلك:
10686ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حـدثنا بـن علية, قـال: حـدثنا كلثوم بن جبر, عن سـعيد بـن جـبير, فـي قـوله: فَمُسْـتَقَرّ ومُسْـتَوْدَعٌ قـال: مستودَعون ما كانوا في أصلاب الرجال, فإذا قرّوا في أرحام النساء أو علـى ظهر الأرض أو في بطنها, فقد استقرّوا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا بن عطية, عن كلثوم بن جبر, عن سعيد بن جبير: مُسْتَقَرّ ومُسْتَوْدَعٌ قال: المستودعون: ما كـانوا فـي أصـلاب الرجـال, فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض فقد استقروا.
10687ـ حدثنا محمد بن المثنى,, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جبير, قـال: قـال بـن عبـاس: يَعْلَمُ مُسْتَقَرّها ومُسْتَوْدَعَها قال: المستودع في الصلب والمسـتقرّ: مـا كـان على وجه الأرض أو في الأرض.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: فمستقرّ في الأرض على ظهورها ومسـتوع عند الله. ذكر من قال ذلك:
10688ـ حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سـمان, عـن سـفيان, ع ن المغيرة, عن أبي الخير تميم بن حَذْلَم, عن سعيد بن جبير, عن ابـن عبـاس: «المستقرّ»: الأرض, و «المستودع» عند الرحمن.
10689ـ حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا عبيد اللـه, عـن إسـرائيل, بـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قال: «المستقرّ» الأرض, و «المستودع»: عند ربك.
10690ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن إبراهيـم, قـال: عبـد اللـه: مسـتقرّها في الدنيا, ومستودعها في الآخرة يعني: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع.
10691ـ حدثني المثنى, قال: حـدثنا سـويد بـن نصـر, قـال: أخبرنـا بـن المبارك, عن شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, قـال: «المسـتودع»: في الصلب, و «المستقرّ»: في الآخرة وعلى وجه الأرض.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمستقرّ في الرحم ومستودع في الصلب. ذكر من قال ذلك:

10692ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي الحرث, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول الله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: مستقرّ في الرحم, ومستودع في صلب لم يخلق وسيخلق.

10693ـ حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن يحيى الجابر, عن عكرمة: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: المستقر: الذي قد استقرّ في الرحم, والمستودع: الذي قد استودع في الصلب.

10694ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن أبي الخير تميم, عن سعيد بن جبير, قال بن عباس: سَلْ فقلت: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع؟ قال: المستقرّ: في الرحم, والمستودع: ما استودع في الصلب.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: المستقرّ: الرحم, والمستودع: ما كان عند ربّ العالمين مما هو خالقه ولم يخلق.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: يَعْلَمُ مُسْتَقَرّها وَمُسْتَوْدَعَها قال: المستقرّ: ما كان في الرحم مما هو حيّ ومما قد مات والمستودع: ما في الصلب.

10695ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, قال: قال لي بن عباس, وذلك قبل أن يخرج وجهي: أتزوجت يا بن جبير؟ قال: قلت: لا, وما أريد ذاك يومي هذا. قال: فقال: أما إنه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين.

حدثنا بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, قال: قال لي ابن عباس: تزوّجتَ؟ قلت: لا. قال: فضرب ظهري وقال: ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: المستقرّ في الأرحام, والمستودع في الصلب لم يخلق وهو خالقه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: المستقرّ في الرحم, والمستودع: ما استودع في أصلاب الرجال والدواب.

10696ـ حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, قال: المستقرّ: ما استقرّ في الرحم والمستودع: ما استودع في الصلب.

حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن أبي الخير تميم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, بنحوه.

10697ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا عبيدة بن حميد, عن عمار الدهني, عن رجل, عن كريب, قال: دعاني بن عباس, فقال: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله بن عباس إلى فلان حبر تيماء سلام عليك, فإني أحمد إليك الله, الذي لا إله إلا هو, أما بعد» قال: فقلت: تبدؤه تقول: السلام عليك؟ فقال: إن الله هو السلام. ثم قال: اكتب «سلام عليك, أما بعد فحدّثني عن مستقرّ ومستودع». قال: ثم بعثني بالكتاب إلى اليهودي, فأعطيته إياه فلما نظر إليه قال: مرحباً بكتاب خليلي من المسلمين فذهب بي إلى بيته, ففتح أسفاطاً له كبيرة, فجعل يطرح تلك الأشياء لا يلتفت

إليها. قال: قلت: ما شأنك؟ قال: هذه أشياء كتبها اليهود حتى أخرج سفر موسى عليه السلام, قال: فنظر إليه مرتّين, فقال: المستقرّ: الرحم. قال: ثم قرأ: ونُقِرّ فِي الأرْحَام ما نَشاءُ, وقرأ: وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ ومَتَاعٌ قال: مستقرّة فوق الأرض, ومستقره في الرحم, ومستقرَّة تحت الأرض, حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار.

10698ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَعٌ قال: المستقرّ: ما استقرّ في أرحام النساء, والمستودع: ما استودع في أصلاب الرجال.

حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا عبد الله, عن سفيان, عن بن جريج, عن عطاء, قال: المستقرّ: الرحم, والمستودع: في أصلاب الرجال.

حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا روح بن عبادة, عن ابن جريج, عن عطاء, وعن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: المستقرّ: الرحم, والمستودع: في الأصلاب.

حدثني محمد بن عروة, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى, عن بن أبي نجيح, عن مجاهد: فَمُسْتَقَرّ: ما استقرّ في أرحام النساء وَمُسْتَوْدَع ما كان في أصلاب الرجال.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن بن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

حدثنا بن حميد وابن وكيع قالا: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, قال: المستقرّ: ما استقرّ في الرحم, والمستودع: ما استودع في الصلب.

حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: المستقرّ: الرحم, والمستودع: الصلب.

10699ـ حدثنا بن وكيع, قال: حدثنا معاذ بن معاذ, عن ابن عون, قال: أتينا إبراهيم عند المساء, فأخبرونا أنه قد مات فقلنا: هل سأله أحد عن شيء؟ قالوا: عبد الرحمن بن الأسود عن المستقرّ والمستودع فقال: المستقر في الرحم, والمستودع: في الصلب.

حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا ابن عون, قال: أتيتنا إبراهيم, وقد مات, قال: فحدثني بعضهم أن عبد الرحمن بن الأسود سأله قبل أن يموت عن المستقرّ والمستودع, فقال المستقرّ: في الرحم, والمستودع: في الصلب.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا بن علية, عن ابن عون, قال: أتينا منزل إبراهيم, فسألنا عنه, فقالوا: قد توفي, وسأله عبد الرحمن بن الأسود, فذكره نحوه.

حدثني به يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا بن علية, عن ابن عون, أنه بلغه أن عبد الرحمن بن الأسود سأل إبراهيم, عن ذلك, فذكر نحوه.

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي, قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة, عن العلاء بن هارون, قال: انتهيت إلى منزل إبراهيم حين قبض, فقلت لهم: هل سأله أحد عن شيء, قالوا: سأله عبد الرحمن بن الأسود عن مستقرّ ومستودع, فقال: أما المستقرّ: فما استقرّ في أرحام النساء, والمستودع: ما في أصلاب الرجال.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا بن إدريس, عن ليث, عن مجاهد في فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: المستقرّ: الرحم, والمستودع: الصلب.

10700ـ حدثني يونس, قال: ثني سفيان, عن رجل حدثه عن سعيد بن جبير, قال: قال لي بن عباس: ألا تنكح؟ ثم قال: أنا إني أقول لك هذا وإني لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعاً.

10701ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: المستقر في الرحم, والمستودع: في الصلب.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن ابن عباس: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَعٌ قال: مستقر في الرحم, ومستودع: في الصلب.

10702ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: مستقرّ: في الرحم, ومستودع: في الصلب.

10703ـ حدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع أما «مستقر»: فما استقرّ في الرحم, وأما «مستودع» في الصلب.

10704ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع قال: مستقرّ في الأرحام, ومستودع: في الأصلاب.

10705ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير وأبي حمزة, عن إبراهيم, قالا: «مستقر ومستودع», المستقرّ: في الرحم, والمستودع: في الصلب.

وقال آخرون: المستقر: في القبر, والمستودع: في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

10706ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول: مستقرّ: في القبر, ومستودع: في الدنيا. وأوشك أن يلحق بصاحبه.

وأولى التأويلات في ذلك بالصواب, أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع كلّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقرّاً ومستودعاً, ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى. ولا شك أن من بني آدم مستقراً في الرحم ومستودعاً في الصلب, ومنهم من هو مستقرّ على ظهر الأرض أو بطنها ومستودع في أصلاب الرجال, ومنهم مستقرّ في القبر مستودع على ظهر الأرض, فكلّ مستقرّ أو مستودع بمعنى من هذه المعاني فداخل في عموم قوله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَعٌ ومراد به: إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معنى به معنى دون معنى وخاصّ دون عامّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة: فَمُسْتَقَرّ وَمُسْتَوْدَع بمعنى: فمنهم من استقره الله في مقرّه فهو مستقرّ, ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «فمُسْتَقِرٌ» بكسر القاف بمعنى: فمنهم من استقر فهو مستودع فيه في مقرّه فهو مستقِرّ به.

وأولى القراءتين بالصواب عندي وإن كان لكليهما عندي وجه صحيح: فمُسْتَقَرّ بمعنى: استقرّه الله في مستقرّه, ليأتلف المعنى فيه وفي «المستودع» في أن كلّ واحد منهما لم يسمّ فاعله, وفي إضافة الخبر بذلك إلى الله في أنه المستقرّ هذا والمستودع هذا وذلك أن الجميع مجمعون

على قراءة قوله: وَمُسْتَوْدَعٌ بفتح الدال على وجه ما لم يسمّ فاعله, فـإجراء الأوّل, أعني قوله: «فمستقرّ» عليه أشبه من عدوله عنه.

وأما قوله: قَدْ فَصّلْنَا الآيَاتِ لقَوْمٍ يَفْقَهُونَ يقول تعالى: قد بينا الحجج وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ويفهمون الآيات والذكر, فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر وخلقي ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور, علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شرك فيشركوه في عبادتهم إياه. كما:

10707ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قَدْ فَصّلْنا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ يقول: قد بينا الآيات لقوم يفقهون.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَهُوَ الّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مّتَرَاكِباً وَمِنَ النّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنّاتٍ مّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرّمّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُواْ إِلِىَ ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي له العبادة خالصة لا شركة فيه لشيء سواه, هو الإله الّذي أَنْزَلَ مِنَ السّمَاء مَاءً فأَخْرَجْنا به نَبَاتَ كُلّ شَيْءٍ فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحشس, وأرزاق بني آدم وأقواتهم ما يتغذّون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون.

وإنما معنى قوله: فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلّ شَيْءٍ: فأخرجنا به ما ينبت به كلّ شيء وينمو عليه ويصلح. ولو قيل معناه: فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات فيكون كلّ شيء هو أصناف النبات, كان مذهباً وإن كان الوجه الصحيح هو القول الأوّل.

وقوله: فأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً يقول: فأخرجنا منه يعني من الماء الذي أنزلناه من السماء خضراً رطباً من الزرع والخَضِرُ: هو الأخضر, كقول العرب: أرنيها نَمرَةً أُركْها مَطِرَةً, يقال: خَضِرَت الأرضُ خَضَراً وَخَضارة, والخضر: رطب البقول, ويقال: نخلة خضيرة: إذا كانت ترمي ببسرها أخضر قبل أن ينضج, وقد اختُضر الرجل واغتضر: إذا مات شابّا مصححاً, ويقال: هو لك خضراً مضراً: أي هنيئاً مريئاً. قوله: نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّا مُتَرَكِباً يقول: نخرج من الخضر حبّا, يعني: ما في السنبل, سنبل الحنطة والشعير والأرز, وما أشبه ذلك من السنابل التي حبها يركب بعضه بعضاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10708ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: مِنْه خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّا مُتَرَاكِباً فهذا السنبل.

القول في تأويل قوله تعالى: وَمِنَ النّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ.

يقول تعالى ذكره: ومن النخل من طلعها قنوان دانية ولذلك رفعت «القنوان». والقنوان: جمع قِنْو, كما الصنوان: جمع صِنْو, وهو العِذْق, يقال للواحد: هو قِنو وقُنْو وقَنَا: يثنى قِنوانِ, ويجمع قِنوانٌ وقُنْوانٌ, قالوا في جمع قليله: ثلاثة أقناء, والقِنْوان: من لغة الحجاز, والقنوان: من لغة قيس وقال امرؤ القيس:

فأتّتْ أعالِيهِ وآدَتْ أُصُولُهُوَمالَ بِقِنْوَانٍ مِنَ البُسْرِ أحْمَرَا وقنيان جميعاً وقال آخر: لَهَا ذَنَبٌ كالْقِنْوِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِوأسْحَمَ للتّخْطارِ بَعْدَ التّشَدّرِ
وتميم تقول: قنيان بالياء. ويعني بقوله: «دانية»: قريبة متهدلة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10709ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: قِنْوَانٌ دَانِيَـةٌ يعنـي بـالقنوان الدانية: قصار النخل لاصقة عذوقها بالأرض.
10710ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: مِنْ طَلْعِها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ قال: عذوق متهدلة.
حدثنا محمد بن الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ يقول: متهدلة.
10711ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن البراء, في قوله: قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ قال: قريبة.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن أبي إسحاق, عن البراء بن عازب: قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ قال: قريبة.
حدثني محمد بن سعيد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمِـنَ النّخْـلِ مِـنْ طَلْعِهـا قِنْـوَانٌ دَانِيَـةٌ قال: الدانية لتهدّل العذوق من الطلع.
10712ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قـوله: وَمِـنَ النّخْـلِ مِـنْ طَلْعِها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ يعني: النخل القصار الملتزقة بالأرض, والقنوان: طلَعه.
القول في تأويل قوله تعالى: وَجَنّاتٍ مِنْ أعْنَابٍ والزّيْتُونَ والرّمّانِ مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتَشابِه.
يقول تعالى ذكره: وأخرجنا أيضاً جنـات مـن أعنـاب, يعنـي: بسـاتين مـن أعناب.
واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه عامة القرّاء: وَجَنّاتٍ نصباً, غيـر أن التاء كسرت لأنها تاء جمع المؤنث, وهي تخفض ي موضع النصب. وقد:
10713ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا القاسم بـن سـلام, عـن الكسـائي, قال: أخبرنا حمزة, عن الأعمش, أنه قرأ: وَجَنّاتٍ مِنْ أعْنَـابٍ بـالرفع, فرفـع «جنات» على إتباعها «القنوان» في الإعراب, وإن لم تكن من جنسها, كمـا قال الشاعر:
ورأيْت زَوْجَكِ في الوَغَىمُتَقَلّداً سَيْفاً وَرُمْحَا
والقراءة التي لا أتجيز أن يُقرأ ذلك إلا بها النصب وَجَنّاتٍ مِنْ أعْنَابٍ لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها والقراءة بها ورفضهم ما عداها, وبُعْـد معنـى ذلك من الصواب إذ قرىء رفعاً. وقوله: والزّيْتُونَ والرّمّانِ عطـف بـالزيتون على «الجنات» بمعنى: وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه.
وكان قتادة يقول في معنى مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتَشابِه ما:
10714ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: وَجَنّاتٍ مِنْ أعْنَابٍ والزّيْتُونَ والرّمّانِ مُشْتَبِهاً وَغيرَ مُتَشابِه قال: مشتبهاً ورقه, مختلفاً ثمره.
وجائز أن يكون مراداً به: مشتبهاً في الخلق مختلفـاً فـي الطعـم ومعنـى الكلام: وشجر الزيتون والرمان, فاكتفى من ذكـر الشـجر بـذكر ثمـره, كمـا

قيل: وَاسأل القَرْيَةَ فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها, لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه.

القول في تأويل قوله تعالى: انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ وَيَنْعِهِ.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة: انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ بفتح الثاء والميم, وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قرّاء الكوفيين: إلَى ثُمُرِهِ بضم الثاء والميم. فكأنّ من فتح الثاء والميم من ذلك وجّه معنى الكلام: انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر وأن الثّمَر جمع ثمرة, كما القَصَب جمع قصبة, والخشب جمع خشبة. وكأن من ضمّ الثاء والميم, وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار, كما الحُمُر جمع حمار, والجُرُب جمع جراب. وقد:

10715ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد, عن ابن إدريس, عن الأعمش, عن يحيى بن وثاب, أنه كان يقرأ: «إلى ثُمُرِهِ» يقول: هو أصناف المال.

10716ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, حدثنا بن أبي حماد, قال: حدثنا محمد بن عبيد الله, عن قيس بن سعد, عن مجاهد, قال الثّمُر: هو المال, والثّمَر: ثمر النخل.

وأولى القراءتين في ذلك عند بالصواب, قراءة من قرأ: انْظُرُوا إلى ثُمُرِهِ بضمّ الثاء والميم, لأن الله جلّ ثناؤه وصف أصنافاً من المال, كما قال يحيى بن وثاب. وكذلك حبّ الزرع المتراكب, وقنوان النخل الدانية, والجنات من الأعناب والزيتون والرمان, فكان ذلك أنواعاً من الثمر, فجمعت الثمرة ثَمراً ثم جمع الثمر ثماراً, ثم جمع ذلك فقيل: «انظروا إلى ثُمُره», فكان ذلك جمع الثمار, والثمار جمع الثمرة, وإثماره: عقد الثمر.

وأما قوله: وَيَنْعِهِ فإنه نضجه وبلوغه حين يبلغ. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول في «يَنْعِهِ» إذا فتحت ياؤه: هو جمع يانع, كما التّجْر: جمع تاجر, والصّحْب: جمع صاحب. وكان بعض أهل مكة ينكر ذلك ويرى أنه مصدر, من قولهم: ينع الثمر فهو يَيْنَع يَنْعاً, ويحكي في مصدره عن العرب لغات ثلاثاً: يَنْع, ويُنْعٌ, ويَنَع, وكذلك في النّضْج النّضْج والنّضَج.

وأما في قراءة من قرأ ذلك: «ويَانِعِهِ» فإنه يعني به: وناضجه وبالغه وقد يجوز في مصدره ينُوعاً, ومسموع عند العرب: أينعت الثمرة تونع إيناعاً ومن لغة اللذين قالوا يَنَع, قول الشاعر:

فِي قِبابٍ عِنْدَ دَسْكَرَةٍحَوْلَهَا الزّيْتُونُ قَدْ يَنَعا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10717ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَيَنْعِهِ يعني: إذا نضج.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ وَيَنْعِهِ قال: ينعه: نضجه.

10718ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ ويَنْعِهِ أي نضجه.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَيَنْعِهِ قال: نضجه.

10719ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَيَنْعِهِ يقول: ونضجه.
10720ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَيَنْعِهِ قال: يعني: نضجه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: وَيَنْعِهِ قال: نضجه.
القول في تأويل قوله تعالى: إنّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.
يقول تعالى ذكره: إن في إنزال الله تعالى من السماء الماء الذي أخرج به نبات كلّ شيء, والخضر الذي أخرج منه الحبّ المتراكب, وسائر ما عدّد في هذه الآية من صنوف خلقه لآيَاتٍ يقول: في ذلكم أيها الناس إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره, وعند ينعه وانتهائه, فرأيتم اختلاف أحواله وتصرّفه في زيادته ونموّه, علمتم أن له مدبراً ليس كمثله شيء, ولا تصلح العبادة إلاّ له دون الآلهة والأنداد, وكان فيه حجج وبرهان وبيان لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يقول: لقوم يصدّقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء. وخصّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون, لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها, دون من قد طبع على قلبه فلا يعرف حقّا من باطل ولا يتبين هدى من ضلالة.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ عَمّا يَصِفُونَ }
يعني بذلك جلّ ثناؤه: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والأنداد لله شُرَكَاءَ الجِنّ كما قال جلّ ثناؤه: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنّةِ نَسَباً. وفي الجنّ وجهان من النصب: أحدهما أن يكون تفسيراً للشركاء, والآخرة: أن يكون معنى الكلام: «وجعلوا لله الجنّ شركاء وهو خالقهم».
واختلفوا في قراءة قوله: وَخَلَقَهُمْ فقرأته قرّاء الأمصار: وَخَلَقَهُمْ على معنى أن الله خلقهم منفردّا بخلقه إياهم. وذكر عن يحيى بن يعمر ما:
10721ـ حدثني به أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن واصل مولى أبي عيينة, عن يحيى بن عقيل, عن يحيى بن يعمر, أنه قال: «شُرَكَاءَ الجِنّ وخَلْقَهُمْ»
بجزم اللام بمعنى أنهم قالوا: إن الجنّ شركاء لله في خلقه إيانا.
وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وَخَلَقَهُمْ لإجماع الحجة من القرّاء عليها.
وأما قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْم فإنه يعني بقوله: خَرَقُوا اختلقوا, يقال: اختلق فلان على فلان كذباً واخترقه: إذا افتعله وافتراه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
10722ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ والله خلقهم وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ يعني أنهم تخرّصوا.
10723ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بغيرِ عِلْمٍ قال: جعلو له بنين وبنات بغير علم.

10724ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ بغيرِ عِلْم قال: كذبوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10725ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ كذَبوا, سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذّبون أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان, وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسباً, ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون.

10726ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ بغيرِ عِلْمٍ قال: خرصوا له بنين وبنات.

10727ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ بغيرِ عِلْمٍ يقول: قطعوا له بنين وبنات, قالت العرب: الملائكة بناة الله, وقالت اليهود والنصارى: المسيح وعزيز ابنا الله.

10728ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ بغيرِ عِلْمٍ قال: خرقوا: كذبوا لم يكن لله بنون ولا بنات, قالت النصارى: المسيح ابن الله, وقال المشركون: الملائكة بنات الله, فكلّ خرقوا الكذب. وخرقوا: اخترقوا.

10729ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ قال: قول الزنادقة. وَخَرَقُوا لَهُ قال ابن جريج: قال مجاهد: خرقوا: كذبوا.

10730ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن جويبر, عن الضحاك: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ قال: وصفوا له.

10731ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, عن أبي عمر: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ قال: تفسيرها: وكذبوا.

فتأويل الكلام إذن: وجعلو لله الجنّ وشركاء في عبادتهم إياه, وهو المنفر, بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير. وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ يقول: وتخرّصوا لله كذباً, فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون, ولكن جهلاً بالله وبعظمته وأنه لا ينبعي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة, ولا أن يشركه في خلقه شريك.

القول في تأويل قوله تعالى: سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَصِفُونَ.

يقول تعالى ذكره: تنزّه الله وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادّعائهم له شركاء من الجنّ واختراقهم له بنين وبنات وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد, والذين تضطرّهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذّات, وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيءٌ إلى شيءٍ, ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذّة. وقوله: تَعَالَى تفاعل من العلوّ والارتفاع. ورُوِي عن قتادة في تأويل قوله: عَمّا يَصِفُونَ أنه يكذّبون.

10732ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَصِفُونَ عما يكذبون.
وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك, أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه من ادّعائهم له بنين وبنات, لا أنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى:
{بَدِيعُ السّمَاوَاتِ وَالأرْض أَنّىَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }
يقول تعالى ذكره: الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجنّ شركاء وخرقوا له بنين وبنات بغير علم, بَدِيعُ السّمَواتِ والأرْضِ يعني مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن. كما:
10733ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: بَدِيعُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: هو الذي ابتدع خلقهما جلّ جلاله فخلقهما ولم تكونا شيئاً قبله.
أنّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهْ صَاحِبَةٌ والولد إنما يكون من الذكر من الأنثى, ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء. يقول: فإذا كان لا شيء إلاّ الله خلقه, فأنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد
القول في تأويل قوله تعالى: وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.
يقول تعالى ذكره: والله خلق كلّ شيء ولا خالق سِواه, وكلّ ما تدّعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه خلقه وعبيده, ملكاً كان الذي تدعونه ربّا وتزعمون أنه له ولد أو جنيّا أو إنسيّا.
وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله الذي خلق كلّ شيء, لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه, ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء, عالم بعددكم وأعمالكم وأعمال من دعوتموه ربّا أو لله ولداً, وهو محصيها عليكم وعليهم حتى يجازي كلاّ بعمله.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى:
{ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ لآ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }
يقول تعالى ذكره: الذي خلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم, هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان, والجاعلون له الجنّ شركاء, وآلهتكم التي لا تملك نفعاً ولا ضرّا ولا تفعل خيراً ولا شرّا. لا إله إلاّ هُوَ وهذا تكذيب من الله جلّ ثناؤه للذين زعموا أن الجنّ شركاء الله, يقول جلّ ثناؤه لهم: أيها الجاهلون إنه لا شيء له الألوهية والعبادة إلاّ الذي خلق كلّ شيء, وهو بكل شيء عليم, فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلاّ له خالصة بغير شريك تشركونه فيها, فإنه خالق كلّ شيء وبارئه وصانعه, وحقّ على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة. فاعْبُدُوهُ يقول: فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة, واخضعوا له بذلك. وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ وَكِيلٌ يقول: والله على كلّ ما خلق من شيء رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى:
{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللّطِيفُ الْخَبِيرُ }
اختلَف أهل التأويل في تأويل قوله: ة تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُـدْرِكُ الأبْصَـارُ فقال بعضهم: معناه: لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها. ذكر من قَال ذلك.
10734ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قـوله: لا تُـدْرِكُهُ الأبْصَـارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأبْصَـارَ يقول: لا يحيط بصر أحد بالملك.
10735ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار.
10736ـ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا خالد بن عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو عرفجة, عن عطية العوفي, في قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِـذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبّها ناظِرَةٌ قال: هم ينظرون إلى الله, لا تحيط أبصارهم بـه مـن عظمته وبصرُه يحيط بهم, فذلك قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ... الآية.
واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: إن الله قال: «فَلَمّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنْتُ» قالوا: فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعـون, ولا شكّ أن الغرق غير موصوف بأنه رآه, ولا هو مما يجـوز وصـفه بـأنه يـرى شيئاً. قالوا: فمعنى قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ بمعنى: لا تراه بعيداً, لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه, كما قَال جلّ ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم حين قرب منهم أصحاب فرعون: فَلَمّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أصْحَابُ مُوسَى إنّا لَمُدْرَكُون لأن الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنهم لا يدركون لقوله: ولَقَدْ أوْحَيْنا إلى مُوسَـى أنْ أسْـرِ بِعِبـادِي فاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً لا تَخـافُ دَرَكـاً وَلا تَخْشَـى. قـالوا: فـإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ويدركه ولا يراه, فكـان معلومـاً بـذلك أن قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ من معنى لا تراه الأبصار بمعزل, وأن معنى ذلـك: لا تحيط به الأبصار لأن الإحاطة به غير جائزة. قالوا: فالمؤمنون وأهل الجنـة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم, بمعنى: أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به. قالوا: ونظير جواز وصـفه بـأنه يـرى ولا يـدرك جـواز وصـفه بـأنه يُعلـم ولا يحـاط بـه, وكمـا قـال جـلّ ثنـاؤه: وَلا يُحِيطُونَ بَشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاّ بِمَا شاءَ. قالوا: فنفى جلّ ثنـاؤه عـن خلقـه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء. قالوا: ومعنـى العلـم فـي هـذا الموضع: المعلوم قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشـيء مـن علمه إلاّ بما شاء نفي عن أن يعلموه. قالوا: فإذا لم يكن في نفـي الإحاطـة بالشيء علماً نفي للعلم به, كان كـذلك لـم يكـن فـي نفـي إدراك اللـه عـن البصر نفي رؤيته له. قالوا: وكما جاز أن يعلم الخلق أشـياء ولا يحيطـون بهـا علماً, كذلك جائز أو يروا ربهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم, إذ كان معنى الرؤيـة غيـر معنـى الإدراك, ومعنـى الإدراك غيـر معنـى الرؤيـة, وأن معنـى الإدراك: إنما هو الإحاطة, كما قال ابن عباس في الخبر الذي ذكرناه قبل.
قالوا: فإن قال لنا قائل: وما أنكرتم أن يكون معنى قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ لا تراه الأبصار؟ قلنا له: أنكرنا ذلك, لأن اللـه جـلّ ثنـاؤه أخـبر فـي كتـابه أن وجوهاً في القيامة إليه ناظرة, وأن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أخـبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يُـرَى القمـر ليلـة البـدر وكمـا تـرون

الشمس ليس دونها سحاب. قالوا: فإذ كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر وحققت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم أن تأويل قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى ربّها ناظِرَةٌ أنه نظر أبصار العيون لله جلّ جلاله, وكان كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً, وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخاً للآخر, إذ كان غير جائز في الأخبار لما قد بينا في كتابنا: «كتاب لطيف البيان عن أصول الأحكام» وغيره عُلم أن معنى قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ غير معنى قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبّها ناظِرَةٌ فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله ولا يدركونه بها, تصديقاً لله في كلا الخبرين وتسليماً لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار. ذكر من قال ذلك.

10737ـ حدثنا محمد بن الحسين, حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ لا يراه شيء, وهو يرى الخلائق.

10738ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن عامر, عن مسروق, عن عائشة, قالت: من حدّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلّمَهُ اللّهُ إلاّ وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ ولكن قد رأى جبريل في صورته مرّتين.

10739ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن عامر, عن مسروق, قال: قلت لعائشة: يا أمّ المؤمنين: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله, لقد قفّ شعري مما قلت ثم قرأت: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ .

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلى وابن علية, عن داود, عن الشعبي, عن مسروق, عن عائشة بنحوه.

10740ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبيّ, قال: قالت عائشة: من قال: إن أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله, قال الله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ.

فقال قائلو هذه المقالة: معنى الإدراك في هذا الموضع: الرؤية, وأنكروا أن يكون الله يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة. وتأوّلوا قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى ربّها ناظِرَةٌ بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه.

وتأوّل بعضهم في الأخبار التي رُوِيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات. وأنكر بعضهم مجيئها, ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم, وردوا القول فيه إلى عقولهم, فزعموا أن عقولهم تُحِيل جواز الرؤية على الله عزّ وجلّ بالأبصار وأتوا في ذلك بضروب من التمويهات, وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات. وكان من أجلّ ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئاً إلاّ ما باينها دون ما لاصقها, فإنها لا ترى ما لاصقها. قالوا: فما كان للأبصار مباينا مما عاينته, فإن بينه وبينها فضاء وفرجة. قالوا: فإن كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة على نحو ما تُرَى الأشخاصُ اليوم, فقد وجب أن يكون الصانع محدوداً. قالوا: ومن وصفه بذلك, فقد وصفه بصفات الأجسام التي يجوز عليها

الزيادة والنقصان. قالوا: وأخرى, أن من شأن الأبصار أن تدرك الألوان كما من شأن الأسماع أن تدرك الأصوات, ومن شأن المتنشم أن يدرك الأعراف. قالوا: فمن الوجه الذي فسد أن يكون جائزاً أن يقضى للسمع بغير إدراك الأصوات وللمتنسم إلاّ بإدراك الأعراف, فسد أن يكون جائزاً القضاء للبصر إلاّ بإدراك الألوان. قالوا: ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفاً بأنه ذو لون, صحّ أنه غير جائز أن يكون موصوفاً بأنه مرئيّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا, وأما في الآخرة فإنها تدركه. وقال أهل هذه المقالة: الإدراك في هذا الموضع: الرؤية.

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: الإدراك وإن كان قد يكون في بعض الأحوال بغير معنى الرؤية, فإن الرؤية من أحد معانيه وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيئاً فيراه وهو لما أبصره وعاينه غير مُدرِك وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية. قالوا: فرؤية ما عاينه الرائي إدراك له دون ما لم يره. قالوا: وقد أخبر الله أن وجوهاً يوم القيامة إليه ناظرة, قالوا: فمحال أن تكون إليه ناظرة وهي له غير مدركة رؤيةً. قالوا: وإذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون في أخبار الله تضادّ وتعارض, وجب وصحّ أن قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ على الخصوص لا على العموم, وأن معناه: لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة, إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبّها ناظِرَةٌ.

وقال آخرون من أهل هذه المقالة: الآية على الخصوص, إلاّ أنه جائز أن يكون معنى الآية: لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة, وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله. قالوا: وجائز أن يكون معناها: لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة وأما بالرؤية فبلى. قالوا: وجائز أن يكون معناها: لا تدركه الأبصار في الدنيا وتدركه في الآخرة, وجائز أن يكون معناها: لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذي يدرك به القديم أبصار خلقه, فيكون الذي نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه, هو الذي أثبته لنفسه, إذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ إلاّ فيما قوّاها جلّ ثناؤه على النفوذ فيه, وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء. قالوا: ولا شكّ في خصوص قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم, غير أنّا لا ندري أيّ معاني الخصوص الأربعة أريد بالآية. واعتلوا بتصحيح القول بأن الله يرى في الآخرة بنحو عِلَل الذين ذكرنا قبل.

وقال آخرون: الآية على العموم, ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها.

واعتلوا لقولهم هذا, بأن الله تعالى ذكره نفى عن الأبصار أن تدركه من غير أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها. قالوا: وكذلك أخبر في آية أخرى أن وجوهاً إليه يوم القيامة ناظرة. قالوا: فأخبار الله لا تتباين ولا تتعارض, وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل.

واعتلوا أيضاً من جهة العقل بأن قالوا: إن كان جائزاً أن نراه في الآخرة بأبصارنا هذه وإن زيد في قواها وجب أن نراه في الدنيا وإن ضعفت, لأن كلّ حاسة خُلقت لإدراك معنى من المعاني فهي وإن ضعفت كل الضعف فقد

تدرك مع ضعفها ما خلقت لإدراكه وإن ضعف إدراكها إياه ما لم تعدم. قالوا: فلو كان في البصر أن يدرك صانعه في حال من الأحوال أو وقت من الأوقات ويراه, وجب أن يكون يدركه في الدنيا ويراه فيها وإن ضعف إدراكه إياه. قالوا: فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا في الدنيا, كان غير جائز أن تكون في الآخرة إلاّ بهيئتها في الدنيا أنها لا تدرك إلاّ ما كان من شأنها إدراكه في الدنيا. قالوا: فلما كان ذلك كذلك, وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوهاً في الآخرة تراه, علم أنها تراه بغير حاسة البصر, إذ كان غير جائز أن يكون خبره إلاّ حقّا.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ كمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ, وكمَا تَرَوْنَ الشّمْسَ لَيْسَ دُونَها سَحَابٌ» فالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَهُ, والكافِرُونَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ كما قال جلّ ثناؤه: كَلاّ إنّهُمْ عَنْ رَبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. فأما ما اعتلّ به منكرو رؤية الله يوم القيامة بالأبصار, لما كانت لا ترى إلاّ ما باينها, وكان بينها وبينه فضاء وفرجة, وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالأبصار كذلك لأن في ذلك إثبات حدّ له ونهاية, فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه, وأنه يقال لهم: هل علمتم موصوفاً بالتدبير سوى صانعكم إلاّ مماسّا لكم أو مبايناً؟ فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك كلفوا تبيينه, ولا سبيل إلى ذلك. وإن قالوا: لا نعلم ذلك, قيل لهم: أو ليس قد علمتموه لا مماسّا لكم ولا مبايناً, وهو موصوف بالتدبير والفعل, ولم يجب عندكم إذ كنتم لم تعلموا موصوفاً بالتدبير والفعل غيره إلاّ مماسّا لكم أو مبايناً أن يكون مستحيلاً العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل, لا مماسّ ولا مباين؟ فإن قالوا: ذلك كذلك, قيل لهم: فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك لا ترى إلاّ ما باينها, وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها, ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء, كما لا تعلم القلوب موصوفاً بالتدبير إلاّ مماسّا لها أو مبايناً وقد علمته عندكم لا كذلك؟ هل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفاً بالتدبير والفعل معلوماً لا مماسّا للعالم به أو مبايناً وأجاز أن يكون موصوفاً برؤية الأبصار لا مماسّا لها ولا مبايناً فرق؟ ثم يُسألون الفرق بين ذلك, فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلاّ ألزموا في الآخر مثله. وكذلك يسألون فيما اعتلوا به في ذلك, إن من شأن الأبصار إدراك الألوان, كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات, ومن شأن المتنسم درك الأعراف, فمن الوجه الذي فسد أن يقتضى السمع لغير درك الأصوات فسد أن تقتضى الأبصار لغير درك الألوان. فيقال لهم: ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفاً بالتدبير والفعل إلاّ ذا لون, وقد علمتموه موصوفاً بالتدبير لا ذا لون؟ فإن قالوا نعم, لا يجدوا من الإقرار بذلك بدّا إلاّ أن يكذبوا, فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفاً بالتدبير والفعل غير ذي لون, فيكلفوا بيان ذلك, ولا سبيل إليه, فيقال لهم: فإذ كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلاّ الألوان, كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفاً بالتدبير إلاّ ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفاً بالتدبير غير ذي لون؟ ثم يسألون الفرق بين ذلك, فلن يقولوا في أحدهما شيئاً إلاّ ألزموا في الآخر مثله. ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها وإطالة الكتاب بها وبالجواب عنها, إذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم, بل قصدنا فيه

البيان عن تأويل آي الفرقان. ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا, ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم إلاّ إلى ما لبّس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحقّ البيان عن فساده, وأنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل محكمة ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة, فهم في الظلمات يخبطون, وفي العمياء يتردّدون, نعوذ بالله من الحيرة والضلالة

وأما قوله: وَهُوَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ فإنه يقول: والله تعالى ذكره الميسر له من إدراك الأبصار, والمتأتي له من الإحاطة بها رؤية ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به ويتعذّر عليها. الخَبِيرُ يقول: العليم بخلقه وأبصارهم والسبب الذي له تعذّر عليها إدراكه فلطف بقدرته, فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه, وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشئونها وما هو أصلح بخلقه. كالذي:

10741ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, في قوله: اللّطِيفُ الخَبِيرُ قال: اللطيف باستخراجها, الخبير بمكانها.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى:

{قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِن رّبّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَـاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ }

وهذا أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبههم هذه الآيات من قوله: إنّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ والنّوَى... إلى قوله: وَهُوَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ على حججه عليهم, وعلى تبيين خلقه معهم, العادلين به الأوثان والأنداد, والمكذّبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله. قل لهم يا محمد: قد جاءكم أيها العادلون بالله والمكذّبون رسوله بَصَائِرُ مِنْ رَبّكُمْ أي ما تبصرون به الهدى من الضلال والإيمان من الكفر. وهي جمع بصيرة, ومنه قول الشاعر:

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ على أكْتافِهِمْوبَصِيرَتِي يَعْدُو بِها عَتَدٌ وَأي

يعني بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة. كما:

10742ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَدْ جاءَكُمْ بَصَائرُ مِنْ رَبكُمْ قال: البصائر: الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم, وليست ببصائر الرءوس. وقرأ: فإنّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي فِي الصّدُورِ قال: إنما الدّيّنُ بصره وسمعه في هذا القلب.

10743ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قَدْ جاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبّكُمْ أي بينة.

وقوله: فَمَنْ أبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ يقول: فمن تبين حجج الله وعرفها وأقرّ بها وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به, فإنما أصاب حظّ نفسه ولنفسه عمل, وإياها بغى الخير. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا يقول: ومن لم يستدلّ بها ولم يصدّق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله, ولكنه عمي عن دلالتها التي تدلّ عليها, يقول: فنفسَه ضرّ وإليها أساء لا إلى غيرها.

وأما قوله: وَما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ يقول: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم, وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم, والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَكَذَلِكَ نُصَرّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: كما صرّفت لكم أيها الناس الآيات والحجج في هذه السورة وبينتها, فعرّفتكموها في توحيدي وتصديق رسولي وكتابي ووصيتكم عليها, فكذلك أبين لكم آياتي وحججي في كلّ ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمري ونهيي. كما:

10744ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وكَذَلِكَ نُصَرّفُ الآيَاتِ لهؤلاء العادلين بربهم, كما صرّفتها في هذه السورة, ولئلا يقولا: درست.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ يعني قرأت أنت يا محمد بغير ألف. وقرأ ذلك جماعة من المتقدّمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه, وغيره وجماعة من التابعين, وهو قراءة بعض قرّاء أهل البصرة:«وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» بألف, بمعنى: قارأت وتعلمتَ من أهل الكتاب. ورُوِى عن قتادة أنه كان يقرؤه: «دُرِسَتْ» بمعنى: قرئت وتليت. وعن الحسن أنه كان يقرؤه: «دَرَسَتْ» بمعنى: انمحت.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ بتأويل: قرأت وتعلمت لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبيّ صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنّهُمْ يَقُولُونَ إنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الّذِي يُلْحِدونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ فهذا خبر من الله ينبىء عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره. فإذ كان ذلك كذلك, فقراءة: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ يا محمد, بمعنى: تعلمت من أهل الكتاب, أشبه بالحقّ وأولى بالصواب من قراءة من قرأه: «دَارَسْتَ» بمعنى: قارأتهم وخاصمتهم, وغير ذلك من القراءات.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراءة في قراءته.

ذكر من قرأ ذلك وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ من المتقدمين, وتأويله بمعنى: تعلمت وقرأت.

10745ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, قال: حدثنا علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ قالوا: قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش.

10746ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ قال: قرأت وتعلمت.

حدثنا هناد, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل وافقه, عن أبي إسحاق عن التيمي, عن ابن عباس: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ قال: قرأت وتعلمت.

10747ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ يقول: قرأت الكتب.

10748ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاد يقول: ثنى عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: دَرَسْتَ يقول: تعلمت وقرأت.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسـرائيل, عـن أبـي إسحاق, عن التيمي, قال: قلت لابـن عبـاس: أرأيـت قـوله: دَرَسْـتَ؟ قـال: قرأت وتعلمت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن أبي إسـحاق, عـن التيمي, عن ابن عباس, مثله.

ذكر من قال ذلك دَارَسْتَ وتأوّله بمعنى: جادلت من المتقدمين.

10749ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, عن حميد, عن مجاهد, عن ابن عباس: «دارَسْتَ» يقول: قارأت.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلية, عن أيوب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, أنه كان يقرؤها: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» أحسـبه قـال: قـارأت أهـل الكتاب.

حدثني محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن التميمي, عن ابن عباس: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» قال: قارأت وتعلمت.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسـحاق, قـال: سـمعت التميمـي يقـول: سـألت ابـن عبـاس عـن قـوله: «وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ» قال: قارأت وتعلمت.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي المعلى, عـن سـعيد بـن جبير, قال: كان ابن عباس يقرؤها: «دَارَسْتَ».

حدثنا المثنى, قال: حدثنا آدم العسقلاني, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو المعلـى, قـال: سـمعت سـعيد بـن جـبير يقـول: كـان ابـن عبـاس يقـرأ: «دَارَسْتَ» بالألف, بجزم السين ونصب التاء.

حدثنا الحسين بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار قال: أخبرني عمرو بن كيسان, أن ابن عباس كـان يقـرأ: «دَارَسْتَ» تلوت, خاصمت, جادلت.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو بـن دينار, عن عمرو بن كيسان, قال ابن عباس فـي: «دَارَسْـتَ» قـال: تلـوت, خاصمت, جادلت.

10750ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير في هذه الآية: «وَلِيَقُولُـوا دَارَسْـتَ» قـال: قارأت.

حدثني المثنى, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, أنه قرأ: «دَارَسْتَ» بـالألف أيضـاً منتصـبة التـاء, وقـال: قارأت.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «دَارَسْتَ» أي ناسخت.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: «دَارَسْـتَ» قـال: فـاقهت: قـرأت على يهود وقرءوا عليك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عـن ابـن أبـي نجيح, عـن مجاهـد: «وَلِيَقُولُـوا دَارَسْـتَ» قـال: قـارأت, قـرأت علـى يهـود وقرءوا عليك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: «دَارَسْتَ» يعني: أهل الكتاب.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «دَارَسْتَ» قال: قرأت على يهود, وقرءوا عليك.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ قال: قالوا دارست أهل الكتاب, وقرأت الكتب وتعلمتها.

ذكر من قرأ ذلك «دُرِسَتْ» بمعنى: نبئت وقرئت, على وجه ما لم يسمّ فاعله:

10751ـ حدثنا عمران بن موسى القزّاز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: حدثنا الحسين المعلم وسعيد, عن قتادة: «وكَذَلِكَ نُصَرّفُ الآياتِ وَلِيَقُولُوا دُرِسْتَ» أي قرئت وتُعلّمت.

10752ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال قتادة: «دُرِسَتْ» قرئت. وفي حرف ابن مسعود: «درس».

ذكر من قرأ ذلك: «دَرَسَتْ» بمعنى: انمحت وتقادمت أي هذا الذي تتلوه علينا قد مرّ بنا قديماً وتطاولت مدّته:

10753ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقرأ: «وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ»: أي انمحت.

10754ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو إسحاق الهمذاني, قال في قراءة ابن مسعود: «دَرَسَتْ» بغير ألف, بنصب السين ووقف التاء.

10755ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, قال: سمعت ابن الزبير يقول: إن صبياناً ههنا يقرءون: «دَارَسْتَ» وإنما هي «دَرَسَتْ».

10756ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال الحسن: «وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ» يقول: تقادمت وانمحت.

وقرأ ذلك آخرون: «دَرَس», من درس الشيء: تلاه.

10757ـ حدثنا أحمد بن يوسف الثعلبي, قال: حدثنا أبو عبيدة, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: هي فِي حرف أبيّ بن كعب وابن مسعود: «وَلِيَقُولُوا دَرَسَ» قال يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ.

وإنما جاز أن يقال مرّة دَرَسَتْ, ومرّة دَرَس, فيخاطب مرّة ويخبر مرّة, من أجل القول.

وقد بينا أولى هذه القراءات في ذلك بالصواب عندنا, والدلالة على صحة ما اخترنا منها.

وأما تأويل قوله: وَلِنُبَيّنَهُ لِقَوْم يَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: كما صرّفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد, كذلك نصرّف لهم الآيات في غيرها, كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب, فينزجروا عن تكذيبهم إياه وتقوّلهم عليه الإفك والزور, ولنبين تصريفنا الآيات الحقّ لقوم يعلمون الحقّ إذا تبين لهم, فيتبعوه ويقبلوه, وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم به بعداً.

الآية : 106-107

القول في تأويل قوله تعالى:

{اتّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رّبّكَ لآ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَـوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك, فاعمل به, وانزجر عما زجرك عنه فيه, ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام, فإنه لا إله إلاّ هُوَ يقول: لا معبود يستحقّ عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فالق الحبّ والنوى وفالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً. وَأَعْرِضْ عَنِ المُشركينَ, يقول: ودع عنك جدالهم وخصومتهم. ثم نسخ ذلك جلّ ثناؤه بقوله في براءة: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... الآية. كما:

10758ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس, أما قوله: وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين, فإنه نسخ ذلك قوله: اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا وَما جَعَلْناكَ عَلَيهِمْ حَفِيظاً وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أعرض عن هؤلاء المشركين بالله, ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابّتهم. وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا يقول: لو أرادوا بك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم بتوفيقه إياهم فلم يشركوا به شيئاً ولا آمنوا بك فاتبعوك وصدّقوا ما جئتهم به من الحقّ من عند ربك. وَما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً يقول جلّ ثناؤه: وإنما بعثتك إليهم رسولاً مبلغاً, ولم نبعثك حافظاً عليهم م ا هم عاملوه وتحصي ذلك عليهم, فإن ذلك إلينا دونك. وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ يقول: ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم, ولا بحفظهم فيما لم يجعل إليك حفظه من أمرهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10759ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا يقول سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَلاَ تَسُبّواْ الّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَـذَلِكَ زَيّنّا لِكُلّ أُمّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمّ إِلَىَ رَبّهِمْ مّرْجِعُهُمْ فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به: ولا تسبّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد, فيسبّ المشركون الله جهلاً منهم بربهم واعتداء بغير علم. كما:

10760ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَسُبوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبّوا اللّهَ عَدْوًا بغير عِلْمٍ قال: قالوا: يا محمد لتنتهينّ عن سبّ آلهتنا أو لنهجونّ ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عَدْواً بغير علم.

10761ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَسُبوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون اللـه فَيَسُبّوا اللّـهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ كان المسلمون يسبون أوثان الكفار, فيردّون ذلك عليهم, فنهاهم اللـه أن يَستسِبّوا لربهم, فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله.

10762ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تَسُبوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبّوا اللّـهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ قال: لما حضر أبا طالب الموت, قالت قريش: انطلقوا بنا, فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه, فإنا نستحي أن نقتله بعد موته, فتقول العرب: كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان, وأبو جهل, والنضر بن الحرث, وأمية وأبَيّ ابنا خلف, وعقبة بن أبي معيط, وعمرو بن العاص, والأسود بن البختريّ, وبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب, قالوا: استأذن على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك, يريدون الدخول عليك. فأذن لهم, فدخلوا عليه, فقالوا: يا أبا طالب, أنت كبيرنا وسيدنا, وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا, فنحبّ أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا, ولنَدعَه وإلهه. فدعاه, فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تُرِيدُونَ؟» قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك. قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك, فاقبل منهم فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أرأيْتُمْ إنْ أعْطَيْتُكُمْ هَذَا هَلْ أنْتُمْ مُعْطِيّ كَلِمَةً إنْ تَكَلّمْتُمْ بِها مَلَكْتُمُ العَرَبَ, وَدَانَتْ لَكُمْ بِها العَجَمُ بالخَرَاجِ؟» قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها, فما هي؟ قال: «قُولُوا: لا إلَهَ إلاّ اللّهُ» فَأبَوْا واشمأزوا. قال أبو طالب: يا ابن أخي قل غيرها, فإن قومك قد فزعوا منها قال: «يا عَمّ ما أنا بالّذِي أقُولُ غيَرها حتى يِ أتُوا بالشمْسِ فَيَضَعُوها فِي يَدِي, وَلَوْ أتَوْنِي بالشمْسِ فَوَضَعُوها فِي يَدِي ما قُلْت غيَرها». إرادة أن يؤيسهم. فغضبوا وقالوا: لَتكفنّ عن شتمك آلهتنا, أو لنشتمنك ولنشتمنّ من يأمرك فذلك قوله فَيَسُبّوا اللّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسبّ الكفار الله عدواً بغير علم, فأنزل الله: وَلا تَسُبوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله فَيَسُبّوا اللّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ.

10763ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَيَسُبّوا اللّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ قال: إذا سببت إلهه سبّ إلهك, فلا تسبوا آلهتهم.

وأجمعت الجمعة من قرّاء الأمصار على قراءة ذلك: فَيَسُبّوا اللّهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ بفتح العين وتسكين الدال, وتخفيف الواو من قوله: عَدْوًا على أنه مصدر من قول القائل: عدا فلان على فلان: إذا ظلمه واعتدى عليه, يَعْدُو عَدْوًا وعدواناً, والاعتداء: إنما هو افتعال من ذلك. رُوى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «عدوّا» مشددة الواو.

10764ـ حدثني بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن عثمان بن سعد: فَيَسُبّوا اللّهَ عُدُوّا مضمومة العين مثقلة.

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك: «فَيَسُبوا اللّهَ عَدُوّاً» يوجه تأويله إلى أنهم جماعة, كما قال جلّ ثناؤه: فإنّهُمْ عَدُوّ لي إلاّ رَبّ العالَمِينَ, وكما قال: لا تَتّخِذُوا عَدُوّى وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ ويجعل نصب «العدوّ» حينئذ على الحال من ذكر المشركين في قوله: فَيَسُبوا. فيكون تأويل الكلام: ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعو المشركون من دون الله, فيسبّ المشركون الله أعداءُ الله بغير علم. وإذا كان التأويل هكذا كان العدوّ من صفة المشركين ونعتهم, كأنه قيل: فيسبّ المشركون أعداء الله بغير علم, ولكن العدوّ لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة نصب على الحال.

والصواب من القراءة عندي في ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك, وغير جائز خلافها فيما جاءت مجمعة عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: كَذَلِكَ زَيّنا لِكُلّ أُمّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمّ إلى رَبّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

يقول تعالى ذكره: كما زيّنا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن, كذلك زينا لكلّ جماعة اجتمعت على عمل من الأعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذي هم عليه مجتمعون, ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون, يقول: فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا, ثم يجازيهم بها إن كان خيراً فخير وإن كان شرّاً فشرّ, أو يعفو بفضله ما لم يكن شركاً أو كفراً.

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ آيَةٌ لّيُؤْمِنُنّ بِهَا قُلْ إِنّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنّهَآ إِذَا جَآءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: حلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم, وذلك أوكد ما قدوا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدّها: لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ يقول: قالوا: نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدّق ما تقول يا محمد مثل الذي جاء من قبلنا من الأمم. لَيُؤْمِنُنّ بِها يقول: قالوا: لنصدقنّ بمجيئها بك, وأنك لله رسول مرسل, وأن ما جئتنا به حقّ من عند الله. وقيل: «ليؤمنن بها», فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لمجيء الآية. يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: قُلْ إنّمَا الآياتُ عِنْدَ اللّهِ وهو القادر على إتيانكم بها دون كلّ أحد من خلقه. وَما يُشْعِرُكُمْ يقول وما يدريكم إنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ. وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من إيمانهم من مشركي قومه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10765ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنّ بِها إلى قوله: يَجْهَلُونَ سألت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية, واستحلفهم ليؤمننّ بها.

10766ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح: لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنّ بِها ثم ذكر مثله.

10767ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب القرظي, قال: كلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

قريشاً, فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً, وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى, وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة؟ فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدّقك فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أيّ شَيْءٍ تُحِبونَ أنْ آتِيَكُمْ بِهِ؟» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً, فقال لهم: «فإنْ فَعَلْتُ تُصَدّقُونِي؟» قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبغك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو, فجاءه جبريل عليه السلام, فقال: لك ما شئت إن شئت أصبح ذهباً, ولئن أرسل آية فلم يصدّقوا عند ذلك لنعذّبنهم, وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال: «بَلْ يَتُوبَ تائِبُهُمْ». فأنزل الله تعالى: وأقْسَمُوا بالله... إلى قوله: يَجْهَلُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: وَما يُشْعِرُكُمْ أنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ.

اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله: وَما يُشْعِرُكُمْ أنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ فقال بعضهم: خوطب بقوله: وَما يُشْعِرُكُمْ المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمننّ, وانتهى الخبر عند قوله: وَما يُشْعِرُكُمْ ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأ. ذكر من قال ذلك:

10768ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَما يُشْعِرُكُمْ قال: ما يدريكم. قال: ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَما يُشْعِرُكُمْ وما يدريكم أنّها إذَا جاءَتْ؟ قال: أوجب عليهم أنها إذا جاءت لا يُؤْمِنُونَ.

10769ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: سمعت عبد الله بن زيد يقول: إنما الآيات عند الله, ثم تستأنف فيقول: أنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: إنّمَا الآياتُ عِنْدَ اللّهِ وَما يُشْعِرُكُمْ: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ثم استقبل يخبر عنهم فقال: إذَا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ.

وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف: «أنّها» على أن قوله: «أنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ» خبر مبتدأ منقطع عن الأوّل, وممن قرأ ذلك كذلك بعض قرّاء المكيين والبصريين.

وقال آخرون منهم: بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه, قالوا: وذلك أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية, المؤمنون به. قالوا: وإنما كان سبب مسألتهم إياه ذلك أن المشركين حلفوا أن الآية أذا جاءت آمنوا, واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل يا رسول الله ربك ذلك فسأل, فأنزل الله فيهم وفي مسألتهم إياه ذلك, قل للمؤمنين بك يا محمد: إنما الآيات عند الله, وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ففتحوا الألف من «أن». وممن قرأ ذلك كذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة, وقالوا: أدخلت «لا» في قوله: لا يُؤْمِنُونَ صلة, كما أدخلت في قوله: ما مَنَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ, وفي قوله: وَحَرَامٌ على قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنّهُمْ لا يَرْجِعُونَ وإنما المعنى: وحرام عليهم أن يرجعوا, وما منعك أن تسجد.

وقد تأوّل قوم قرءوا ذلك بفتح الألف من: أنّها بمعنى: لعلها, وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبَيّ بن كعب. وقد ذُكر عن العرب سماعاً منها: اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئاً, بمعنى: لعلك تشتري وقد قيل: إن قول عديّ بن زيد العبادي:

أعاذِلَ ما يُدْرِيك أنّ مَنِيّتِيإلى ساعَةٍ فِي اليَومِ أوْ فِي ضُحَى الغَدِ

بمعنى: لعلّ منيتي وقد أنشدوني بيت دُرَيد بن الصّمة:

ذَرِيني أُطَوّفْ فِي البِلادِ لأنّنِيأرَى ما تَرَيْنَ أوْ بَخِيلاً مُخَلّدَا

بمعنى: لعلني. والذي أنشدني أصحابنا عن الفراء: «لعلني أرى ما ترين». وقد أنشد أيضاً بيت توبة بن الحُمَيّر:

لَعَلكَ يا تَيْساً نَزَا فِي مَرِيرَةٍمُعَذّبَ لَيْلَى أنْ تَرَانِي أزُورُها

«لَهّنَك يا تيساً», بمعنى: لأنك التي في معنى لعلك وأنشد بيت أبي النجم العجلي:

قُلْتُ لشَيْبانَ ادْنُ مِنْ لِقائِهِإنا نُغَدّي القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ

يعني: لعنا نغدي القوم.

وأولى التأويلات في ذلك بتأويل الآية, قول من قال: ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله, أعنى قوله: وَما يُشْعِرُكُمْ أنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤمِنُونَ, وأن قوله «أنها» بمعنى: «لعلها».

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة في قرّاء الأمصار بالياء من قوله: لا يُؤْمِنُونَ ولو كان قوله: وَما يُشْعِرُكُمْ خطاباً للمشركين, لكانت القراءة في قوله: لا يُؤْمِنُونَ بالتاء, وذلك وإن كان قد قرأه بعض قراء المكيين كذلك, فقراءة خارجة عما عليه قرّاء الأمصار, وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذهابها وشذوذها.

وإنما معنى الكلام: وما يدريكم أيها المؤمنون لعلّ الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجَلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخّروا به.

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَنُقَلّبُ أفْئِدَتَهُمْ وَأبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوّلَ مَرّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أوّل مرّة, لأن الله حال بينهم وبين ذلك. ذكر من قال ذلك:

10770ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَنُقَلّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصَارَهُمْ كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوّلَ مَرّة... الآية, قال: لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ورُدّت عن كلّ أمر.

10771ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَنُقَلّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصَارَهُمْ قال: نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أوّل مرّة. وقرأ: كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوّلَ مَرّة.

10772ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَنُقَلّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصَارَهُمْ قال: نحول بينهم وبين الإيمان, ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون, كما حلنا بينهم وبين الإيمان أوّل مرّة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لـو ردّوا مـن الآخـرة إلى الدنيا, فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك, فلم يؤمنوا في الدنيا. قالوا: وذلك نظير قوله: وَلَوْ رُدّوا لعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ. ذكر من قال ذلك:

10773ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملـوه, قـال: وَلا يُنَبّئُـكَ مِثْـلَ خَبِير: إنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا على ما فَرّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ وَإنْ كنْـتُ لَمِـنَ السّاخِرِينَ أوُ تَقُولَ لَوْ أنّ اللّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ المُتّقِيـنَ أوْ تَقُـولَ حِيـنَ تَـرَى العَذَابَ لَوْ أنّ لي كَرّةً فأكُونَ مِنَ المُحْسِنينَ يقول: من المهتدين. فأخبر الله سبحانه, أنهم لو ردّوا لعادوا لما نهـوا عنـه, وإنهـم لكـاذبون, وقـال: وَنُقَلّـبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصَارَهُمْ كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوّلَ مَرّة قال: لو ردوا إلـى الـدنيا لحيـل بينهم وبين الهدى, كما حلنا بينهم وبينه أوّل مرّة وهم في الدنيا.

وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أخـبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آيـة ليـؤمننّ بهـا, أنـه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرّفها كيف شاء, وأن ذلـك بيـده يقيمـه إذا شـاء ويزيغه إذا أراد, وأنّ قوله: كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوّلَ مَرّة دليل على محذوف من الكلام, وأن قوله «كما» تشبيه ما بعده بشـيء قبلـه. وإذ كـان ذلـك كـذلك, فـالواجب أن يكـون معنـى الكلام: ونقلـب أفئـدتهم فنزيغهـا عـن الإيمـان, وأبصارهم عن رؤية الحـقّ ومعرفـة موضـع الحجـة, وإن جـاءتهم الآيـة الـتي سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله ومـا جـاء بـه مـن عنـد اللـه كمـا لـم يؤمنـوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرّة قبل ذلك. وإذا كان ذلك تأويله كـانت الهـاء مـن قوله: كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ كناية ذكر التقليب.

القول في تأويل قوله تعالى: وَنَذَرُهُمْ فِي طُغيانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

يقول تعالى ذكره: ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها عند مجيئها في تمرّدهم على اللـه واعتـدائهم فـي حدوده, يتردّدون لا يهتدون لحقّ ولا يبصرون صواباً, قد غلب عليهم الخـذلان واستحوذ عليهم الشيطان.